الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

مشروع مذكرة لنيل شهادة الماجستير في النحو والصرف بعنوان:

الموضوع :المجهودات النحوية عند الجزائريين المحدثين

(عبدالجليل مرتاض أنموذجا)

إعدادالطالب: تحت إشراف:

عبدالقادر بن بوفلجة د. نورية شيخي

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور	**عبد الجليل مصطفاوي**	**أستـاذ التعليم العالي**	**جامعة تلمسان**	**رئيسا**
الدكتور(ة)	**نورية شيخي**	**أستاذ محـاضر"أ"**	**جامعة تلمسان**	**مشرفا**
الدكتور	**عبد الحكيم والي داده**	**أستاذ محاضر "أ"**	**جامعة تلمسان**	**مناقشا**
الدكتور	**هشام خـالدي**	**أستـاذ محاضر "أ"**	**جامعة تلمسـان**	**مناقشا**
الدكتور(ة)	**لطيفة عبو**	**أستـــاذ محاضر "أ"**	**جامعة تلمسـان**	**مناقشا**

السنة الجامعية:2013-2014 م /1434 -1435هـ

وما من كاتب إلا سيفنى* ويبقى الدهرما كتبت يداه**

فلا تكتب بكفك غيرشئ* يسرك فى القيامة أن تراه**

﴿ثناء وشكر﴾

الحمد لله واهب النعم، المتفضل على خلقه بالحِكم، وأشكره على نعمه التي لاتُعد وآلائه التي لاتحصى، وأقدم ثنائي على صاحب المشروع والدنا الدكتور عبد الجليل مرتاض أدام الله في عمره وأبقاه خدمة للغة الضاد و خاتم الأديان، وشكري الجزيل إلى السيدة نورية شيخي الدكتورة التي أشرفت على إخراج هذا البحث المتواضع، وإلى أساتذتنا الكرام الذين أدلوا لنا مما جادت بهم قرائحهم ونصائحهم التي نحتت في قلوبنا وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد حسين النجار –متعه الله بالصحة والعافية– وإلى زملائي في ما بعد التدرج أشكرهم جميعا على صبرهم وتواصلهم وما أدلوه من تعب ونصب في سبيل تخرج الدفعة، وإلى القائمين على الكلية وخاصة قسم اللغة والأدب العربي .

*******إلى كل هؤلاء أقدم شكري وعرفاني لهم *******

﴿إهداء﴾

إلى أمي الحبيبة أهدي هذا العمل قد يكون في ميزان حسناتِكِ.

إلى أبي قد يكون لك حسنة في كل حرف كتب من هذه المذكرة.

إلى زوجتي التي وقفت بجنبي وسهرت معي في إعداد هذا البحث.

الحمد لله الذي خلق الألسنة واللغات، وجعلها دليل الأفئدة والمجتمعات، فكانت رحمة من عنده وآية من الآيات، يجمع الله بها الأمم وما تفرق من شتات، ويُعلي بها فيجعل منهم أئمة ومنارات، ويُسفِل بها جبابرة ويُسقط رايات، ثم الصلاة على أشرف من بَلّغ بالبيان، وتلا الذّكر وعُلِّم القرآن، فكان أفصح من نطق بالضاد وأكمل الإيمان، فبيّن شُعَبه وأيقظ الغافل ونبّه الوسنان وشرُفت العربية به وبلغت الآفاق، ففاقت لغات الدنيا وأضحت خير مذاق، وانبثقت منها علوم آلات، من لم يُدارسها حرُم المكرُمات، فكان أشرفها علم النحو والصرف، تستبين به المعاني، فلا يُغض عنه الطرف، أما بعد: فإن عنوان البحث هو:

(المجهودات النحوية عند الجزائريين المحدثين(عبد الجليل مرتاض نموذجا)

وكان **الدافع** لهذا البحث الرفع من مستوى عمل الباحثين في الجزائر، وإبراز قدراتهم اللغوية سيما وقد أصبحت اللغة العربية في غير المستوى الذي كان يعرف به أبناء هذه البلاد، فإنما اللغة تعرف بقدرات أهلها والاهتمام الرسمي بها، ولا أعرف-حسب علمي- عَلَما بعد استقلال الجزائر يضاهي خاتمة أعلام العربية العلامة البشير الإبراهيمي في اللغة العربية بعده، مما يدل على أن سلسلة الأعلام التي كانت تزخر بها الجزائر أصبح عقدها منفرطا، يحتاج إلى إعادة ربطه، وحبل جسرها خرِقا يستدعي ثَلْم الشق الذي اصبح يهدّد انقطاع لُحمة العلم بين الأجيال، وتعدّ جهود عبد الجليل مرتاض من هذا القبيل، إلى جانب جهود باحثين آخرين من أمثال الحاج عبد الرحمن صالح ، وصالح بلعيد، وآخرون هنا وهناك في جامعات قطر الجزائر، ومما أعجبني في كتاباته هو الرجوع

إلى مصادر التراث العربي، مع ما فيها من مزج من كتابات في علوم اللسان المعاصرة. و**أهداف** هذا البحث تتلخص في بعث هذه اللغة من خلال محبيها و منتصريها، من خلال طرح القضايا اللغوية المعاصرة مع ما تحمله هذه اللغة من إمكانات وذخائر في تراثها، تجعلها لغة رائدة فإذا استوى عودها استقام أمر أبنائها، فهي بمثابة الروح التي تنفخ في الأفراد والجماعات، تصنع لهم عزّا، وتبني لهم صرحا، وتجعل لهم حصنا من نيل الأعداء وجهل الأبناء، ولذلك آثرنا اختيار موضوع البحث عن جهد من جهود هؤلاء الأعلام، وعطاء من عطاء جنود الحصن، ونظرا في عمل هؤلاء المحبين، ومنهم أستاذنا الفاضل عبد الجليل مرتاض صاحب التآليف اللطيفة في اللغة العربية، والظريفة في العلوم الإنسانية، ولست أدعي أني أعطيت الرجل حقه من البحث، وكتبه كثير عناية، وإنما هي ومضات سريعة، ووقفات قصيرة، وجهد مُقِلٍّ، عسى أن يستفيد القارئ من عمل باحث في تراث الأمة، يسعى في تحديث لغتها من أعماق مخزونها، ولذلك جاء هذا العمل المتواضع في ورقات، تمخضت عن قراءة لبعض المواضيع الهامة، وما جاء فيها من آثار الباحث ولكنّ الوقت لم يكن ليكفي استقصاء البحث عن كل مقولة أو رأي فيها، أو بحث وتحرّي عن المسائل اللغوية والنحوية، أو التنظيرات اللسانية التي تناثرت فيها، فكان العمل شاقا في الإحاطة بها، والعمل على تحريرها وإدلاء الآراء الموافقة أو المخالفة لها. وقد تضمن البحث قسمين من ثلاثة فصول:

القسم الأول

الفصل الأول حيث جاءت فيه ثلاثة مباحث، يتناول المستويات قبل وضع النحو، ثم وضعه والدراسات القرآنية التي سايرت وضعه وتطوره، وتشخيص لجغرافيا اللسانية العربية.

وأما **الفصل الثاني**، فجاء في ثلاثة مباحث أيضا، وتناولت ما بعد وضع علم النحو و ما قيل عن المؤثرات فيه في القديم من مثل تأثير الفكر اليوناني، وتأثير الفكر اللساني الحديث، ومدى مسايرة اللسانيات العربية هذه التيارات الوافدة من الغرب، ويختتم بآثار ونبذ من آراء عبد الجليل مرتاض اللسانية بخاصة.

وأما القسم الثاني فهو يضم:

الفصل الثالث ويتضمن الجانب التطبيقي في تحليل لساني لرواية عبد الجليل مرتاض "أنتم الآخرون" من مستويات أربع :الصوتي والفونولوجي والتركيبي والدلالي.

واحتوت خطة البحث ما يلي:

القسم الأول:النظري

الفصل الأول آراء عبد الجليل مرتاض في تشكل الحركة اللسانية

المبحث الأول آراءه في المستويات اللسانية قبل وضع النحو

1 - السليقية عند العرب

2 -اللحن ومحاربته عند العرب

المبحث الثاني آراءه في وضع النحو

- بوادرالدراسات القرآنية

- وضع النحو وحلقات اكتماله

المبحث الثالث تشخيص اللهجات العربية (الخصائص والتوزيع)

-مفهوم اللغة و اللهجة

- عوامل انتشار اللهجة

الفصل الثاني: مباحث لسانية عند عبد الجليل مرتاض (بعد وضع النحو)

المبحث الأول حول التأثير اليوناني على النحو العربي (في القديم)

1 -مفهوم مصطلح النحو عند العرب واليونان

2-اهتداء العرب إلى المصطلحات النحوية

3-مقارنة بين النحو العربي والأرسطي

المبحث الثاني مباحث الفكر اللساني (الحديث)

1-الفضاء الدياكتولوجي وعالمية اللغةالعربية

2-بقاء اللغة في استعمالها

3-اللغة المكتوبة والشفوية

المبحث الثالث: آثار لسانية لعبد الجليل مرتاض

-في البنيوية

-في لسانيات النص

-في الوظيفية

القسم الثاني: التطبيقي

الفصل الثالث :الجانب التطبيقي

التحليل اللساني لرواية:"أنتم الآخرون..."

1- المستوى الصوتي
2- المستوى المورفولوجي
3- المستوى التركيبي
4- المستوى الدلالي

مدخل:

إن العلوم اللسانية في اللغة لعربية على قدر واسع من البحث والتنظير فضلا على الأداء والتأطير ولذلك شرفت هذه اللغة بأعظم كتاب في التاريخ الإنساني، حيث وسعت أنواع علومه، وشمل هو مختلف لهجاتها، فكانت وعاء الوحي، فحفظ لها مكانتها، وزاد من عليائها، لكن الهِمَمَ قصرت عن هذه المكانة، وتخلت النفوس عن هذه المَزية، وأصبحت علوم العربية بعد عصر الانحطاط حبيسة الأدراج، فتسمّت مخلفاتها بـــ"كتب التراث"، و لم تتطور إلى ما أصبحت عليه اليوم لغات بل لهجات من مناطق ضيقة من الأرض، وأضحت وريثة لغات أكل الدهر عليها وشرب، مع ذلك بقيت اللغة العربية في منأى عن ذلك وفي الوسع القيام بأعمال تُرجع هذه اللغة إلى سابق عهدها من مخزونها المكنون في "تراثها" ،فضلا عما تملكه من مزايا تجعلها في مواكبة الركب اللغوي الحضاري، فهي لغة حيّة ما حيِيت فيها مبادرات أهلها في النهوض بها، والقيام بها على أحسن الأحوال، ومن هنا كان بحثنا عن بعض الجهود التي تسعى لإعطاء هذه اللغة ما تستحقه من عناء البحث وأعباء النظر، ومنها جهود بعض اللسانيين المحدثين من الجزائريين من أمثال عبد الجليل مرتاض، وقد سلكت في هذا العمل مناهج من كلا القسمين :أحدهما النظري، واتبعت فيه المنهج التحليلي «هذا المنهج أكثر ما يستخدم في لدى الباحثين في حصر أراءهم في مضمن العمل الأدبي أومضمون موضوع ما»، حيث التجأت إلى تحليل بعض آراء عبد الحليل مرتاض ورؤيته اللساني في مختلف القضايا اللغوية التي تتعلق بالعربية خاصة، كما سلكت المنهج المسحي «وهومن المناهج الرئيسة في البحوث

الوصفية»،[1] حيث قمت بمسح لكتب عبد الجليل مرتاض على أساس افتكاك وصف لها، ولبعض الآراء المنعقدة فيها، وإن كان الوصف غير شامل ودقيق، فقد آثرت مجمله وأحيانا بعضا منه، لأن ذلك مما يسترعي تجميع الآراء المتشعبة، والنظريات المختلفة في القضايا اللسانية الحديثة خاصة، مما يشق على التوسع في البحث، مع الابتعاد عن النقد في بعض الأمور التي تحتاج إلى بحوث مستقلة ومناقشة عبدالجليل مرتاض فيها، لأني مما أراه من الورود بالاشتمال الوارد في قول الشاعر:

أوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ *** مَا هكَذَا يا سعدُ تُورَدُ الإبلُ

أما الجانب التطبيقي فقد اتبعت فيه المنهج الوصفي مع المنهج الفني، حيث « يحتاج هذا المنهج إلى خصائص وألوان الدراسات الفنية » وهذه الدراسات الفنية تتمثل في شكل مستويات لسانية أربع وهي :الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، فنأمل أن يكون بحثنا هذا قد اشتمل على ما ينبغي التعريج عليه من البحوث التي تدور حول أعمال الأعلام، وفي هذا المقام يجدر الكلام عن ترجمة موجزة عن عبدالجليل مرتاض فهو:

عبد الجليل بن عبد القادر مرتاض ولد في02ديسمبر1942

و من **شهاداته العلمية:**- دبلوم الليسانس في اللغة العربية وآدابها (جامعة وهران، جوان 1973).

- دبلوم المنهجية في اللغويات (جامعة الجزائر، جوان 1975).

[1]- اللآلىء المنظومة في أمالي البحث العلمي ومناهجه المعلومة، رضوان محمد حسين النجار، مكتبة كنوز للكتاب، تلمسان، ط1/1426هـ/2009م، ص92

- دبلوم الدراسات المعمقة في فقه اللغة العربية (جامعة الجزائر، 1977).

- شهادة الماجستير في فقه اللغة العربية (جامعة الجزائر، ديسمبر 1982).

- دكتوراه الدولة في اللغويات "لسانيات"(جامعة وهران،1994).

وقد كان:

- أستاذ التعليم الثانوي 1973-1978.

- أستاذ مساعد في جامعة تلمسان 1984-1987.

- أستاذ مكلف بالدروس في جامعة تلمسان 1984-2001/06/06.

- أستاذ التعليم العالي:06/06/ 2001إلى الآن.

- وهو أستاذ مشارك و زائر في أكثر من جامعة جزائرية لتدريس و تأطير طلبة الدراسات العليا، ومشرف على رسائل جامعية في دكتوراه الدولة و الماجستير و مناقشا لها، و مسهم في تأهيل أساتذة جامعيين داخل الجزائر و خارجها.

- رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تلمسان، 1978-1981.

- مدير معهد اللغة و الأدب العربي بجامعة تلمسان، 1981-1984.

- مديرا لمعهد الوطني للتعليم العالي للغات و الأدب العربي (تلمسان)، 1984-1990.

– كما كانت له مهمات أخريات و ما تزال منها:

– عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ1988 إلى الآن.

– عضو اللجنة الوطنية لبرنامج اللغة العربية.

– عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) منذ 1988 إلى الآن.

– عضو المجلس الأعلى للغة العربية منذ 1978 إلى الآن.

و من مؤلفاته:

1– العربية بين الطبع و التطبيع – ديوان المطبوعات الجزائرية .1993

2- البنية الزمنية في القص الروائي ديوان المطبوعات الجامعية، .1993

3- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، دار الأشرف، بيروت .1988

4- التحليل اللساني البنيوي للخطاب– دار الغرب (وهران) ط:2000.

5- الموازنة بين اللهجات العربية – دار الغرب (وهران).

6- تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى – دار الغرب (وهران).

7- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي– دار الغرب (وهران).

8- مقاربات أولية في علم اللهجات– دار الغرب (وهران) ط:2006/2 .

9- مفاهيم لسانية دي سوسورية- دار الغرب (وهران)

10- اللغة والتواصل- دارهومة (الجزائر) ط: 3 .

11- التحولات الجديدة للسانيات التاريخية- دار هومة (الجزائر) ط:.4

12- دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة- دار هومة (الجزائر) ط:2.

13- التهيئة اللغوية للنحت في العربية- دار هومة (الجزائر)

14- الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية- دار هومة (الجزائر) 2008.

15- في مناهج البحث اللغوي- دار القصبة (الجزائر) 2003.

16- مباحة لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث- دارثالة (الجزائر).

17- دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث- دار ثالة (الجزائر) 2005.

18- في رحاب اللغة العربية ' سنة .2007

19- الظاهر و المختفي (أطروحات جدلية في الإبداع والتلقي) .2005

20- في عالم النص و القراءة سنة:2006.

أما إبداعه الروائي فيتجلى فسما يلي:

1- رفعت الجلسة (رواية) مطبعة النيل(القاهرة) .1989

2- عقاب **السنين** (رواية) **رابطة الأدب العربي الحديث(القاهرة) 1990.**

3- **دموع** وشموع (رواية)اتحاد الكتاب العرب (دمشق).2001

4- أنتم الآخرون (رواية)دار الغرب (وهران) .2004

5- لا أحب الشمس في باريس- دار هومة (الجزائر)2005 .

6- ما بقي من نعومة أظفار الذاكرة (رواية) دار الغرب (وهران)2007.

و أبحاثه ودراساته هي كالتالي:

- أبحاث و دراسات في مختلف الدوريات و المجالات العربية المحكمة أكاديميا (في مختلف الأجناس :لغة، لسانيات، مصطلحات، نقد لساني ،آدا ب، سيميوطيقا، نحو و صرف، تحاليل للنصوص، و خاصة ما يتعلق باللغة العربية و علومها ونشاطها عبر السنين).

27- أعمال علمية أخرى في اللغة العربية و علومها وحقوقها قيد الطبع .

و له نشاطات علمية أخرى:

- مدير مخبر " تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية "منذ 2002.

- مدير مجلة "المصطلح" التي صدرا لعدد الأول منها في مارس 2002 والعدد السادس في ماي 2008و هي تابعة للمخبر.

– عضو في هيئة التحرير لمجلة"اللغة العربية " التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر) منذ 1999 إلى الآن.

– عضو في هيئة تحرير مجلة "المجمع الجزائري للغة العربية ".

– خبير في مجلات جامعية وطنية عديدة و جامعات جزائرية و عربية.

– خبير في جائزة اللغة العربية التي يمنحها المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر كل سنتين.[2]

بعد هذا العرض الموجز عن عبد الجليل مرتاض محور هذا البحث المتواضع لا بأس بإطلالة عن تاريخ النحو في الجزائر، فقد كانت الجزائر قديما تسمى بلاد المغرب الأوسط، وأصبحت من زمن الفتح بعد أن خضعت لدين الإسلام، وتعرّبت على يد فاتحيها، وتوطّدت عربيّتها بعد غزو بني هلال لها، حصنا من حصون الذبّ عن لغة دينها، و قلعة من قلاع تثبيتها وتعليمها، فأخذ علم النحو النصيب الأوفر فيها وشَهُر عنها أول نظم ألفية[3]، في النحو فيها لابن معطي[4] فكان لها سبقُ فضلٍ على ألفية ابن مالك، أشهر ألفية في النحو، واشتهر عنهما قول أحدهم ممن نظر في الألفيتين معا وقارن بينهما، أن الإنصاف يقتضي أن نقول أن " نظم ابن مالك أجمع وأوعب، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب" [5]

[2]- مجلة اللغة و الاتصال، مختبر اللغة العربية والاتصال ،جامعة وهران،العدد2011/11

[3]- وتسمى " الدرة الألفية في علم العربية "

[4]– هو: يحيى بن معطي، ولد بالجزائر (564هـ/1146م)، كان إماما مبرّزا في العربية، قرأ على الجزولي، وسمع من ابن عساكر، وأقرأ النحو بدمشق ثم بمصر وتصدر بالجامع العتيق، وصنف الألفية في النحو، والفصول في النحو، والعقود والقوانين في النحو، وكتاب حواش على أصول ابن سراج، وشرح أبيات سيبويه نظم، وشرح كتاب الجمل للزجاجي، وتوفي (بالقاهرة) (628هـ/1231م) ، ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية1979-1399هـ، ج2، ص 344

[5]– تاريخ الجزائرالعام، عبد الرحمن الجيلالي، دار الأمة، طبعة 2010 ج2 ، ص137

كما أن مختصر المقدمة الآجرومية عن صاحبها ابن آجروم الصنهاجي، وقطر الندى لابن هشام قد حظيا بعناية العلماء بها. وعرف علماء الجزائر بحفظ متون النحو وبعض الشروح وإدراك مسائلها عن ظهر قلب حتى أصبحوا لا يعانون في ذلك رهقا ولا مشقة، فهذا ابن مريم يخبر عن محمد الحاج المناوي(ت955هـ) أنه كان يقول" ألفية ابن مالك عندنا كخبر الجلوس" فهي عنده محفوظة معروفة يتحدثون بها في المجالس ويتندرون، و ضرب ابن حمادوش في رحلته مثلا لبعض الطلبة، محاولا إقناعهم بضرورة تعلم الحساب والنحو، بأن أهل تونس والأندلس كانوا يبدأون أولادهم بتعلم هذين العلمين ليذوقوا لذة العلم، فالنحو والحساب عند ابن حمادوش من العلوم التي تفتح شهية التلاميذ لأنها من العلوم العقلية.[6] فأصبحت هذه الثلاثة أمهات تعليم النحو فيها، فالمستوى الأول كان في المقدمة الأجرومية للمبتدئين والصغار، والمستوى الثاني كان في قطر الندى والمستوى الثالث في ألفية ابن مالك، وكان العلماء يتناظرون في كتب القدماء من أمثال الكتاب لسيبويه، والجمل للزجاجي، وكتب أبي علي الفارسي ما بين تعاليق وشروح لها، واشتهر عبر العصور أعلام في النحو، ذاع صيتهم في المشرق والمغرب، في مختلف العصور الإسلامية من عهد المرابطين(472-539هـ/1079-1145م) اشتهر منهم الحسن بن علي التيهرتي (ت501هـ/1108 م) وهو من شيوخ القاضي عياض، كان يشرح الجمل للزجاجي، والمقتضب للمبرد، والإيضاح لأبي علي الفارسي، والكامل للمبرد، وفي عهد الحفصيين(627-943هـ/1229-1536م) اشتهر يحيى بن معطي الزواوي، ومحمد بن الحسن القلعي(ت 673 هـ - 1274م) له" الموضح في علم النحو"

[6]- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب، بيروت، الطبعة الأولى 1998م، ج2، ص158

و" نشر الخفي في مشكلات أبي علي الفارسي"، وفي عهد المرينيين وبني عبد الواد (الزيانيين) (633-962هـ/1235-1554م) اشتهرفقهاء خاصة بالنحو ابن قنفذ القسنطيني(ت811هـ/1409م) صاحب الإبراهيمية في مباديء العربية و" آية السالك إلى ألفية ابن مالك"، ومحمد بن مرزوق الحفيد وله "إيضاح السالك في شرح ألفية ابن مالك" وكان يُقرأ عليه كتاب سيبويه والإيضاح لأبي علي الفارسي والكافية لابن حاجب. واشتهر في العهد العثماني يحيى الشاوي(ت1041هـ-1631م) وعائلة الفكون خاصة عبدالكريم بن الفكون(ت1073هـ/1663م) فقد ذكر كيف كان يتعلمون النحو حتى أنه تعلم الأجرومية بعدة شروح، ومع ذلك قال:" ولم أحصل على طائل إلاّ على رفع الفاعل ونصب المفعول وخفض المجرور"، حتى حضر مجلس شيخه التواتي، ومما استرعى انتباهه المناظرات بين صاحبه ابن راشد وشيخه التواتي وكان عمدة صاحبه ابن بابشاذ على الجمل، وعمدة نظر الشيخ سراج التسهيل، فلم يتواردا على مورد واحد[7] وهذا مما يدل على أن كثرة الشروح مع التنوع عن أخذ الشيوخ في هذه العصور كان سمة لنحويي هذا الزمان في الكثرة والتوسع وكانت رغبة العلماء والطلبة في الرحلة للاستزادة في الطلب ومعرفة شروح مختلف العلماء للمتون العلمية خاصة المتون الثلاثة(الأجرومية وقطر الندى والألفية وربما شذور الذهب وغيرها من مصنفات ابن هشام وابن مالك مثل التسهيل ولامية الأفعال)[8] والعينة من ذلك ماذكره ابن حمادوش في رحلته أنه قرأ على شيخه عبد السلام القادري الألفية بفاس، وشيخه سعيد الحميري كذلك[9] هذين شرحين أخذهما في رحلته بعد أن أخذه من مسقط رأسه، ثم عمل لنفسه شرحا

[7]- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دارالغرب، ط1، 1987م، ص107 بتصرف

[8]- ينظر ببلوغرافيا المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون، مختار بوعناني، دار هومه، الجزائر، طبع 2001، خاصة مادة شرح.

[9]- رحلة ابن حمادوش، عبدالرزاق بن حمادوش الجزائري، تحقيق: أبو القاسم سعدالله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص47، و49

بعد رحلته سماه:"السانح في حواشي المتن والشارح على ألفية ابن مالك" عام1161هـ[10] و لم يقف الأمر عند ذلك بل هناك من علماء الجزاء من طارت شهرتهم في الآفاق، وأقاموا في مختلف البلدان العربية خاصة في المشرق، وقد جمع عمار هلال ذلك في مصنف فريد، مع ذكر أسمائهم والبلدان التي استوطنوها[11] نذكر منهم يحيى بن معطي الذي استوطن القاهرة ومكث فيها، وأحمد الشمني القسنطيني (ت872-1468م) شيخ السيوطي، ويحيى الشاوي (ت1041هـ-1631م) ارتحل إلى الشام ومصر وتركيا وأقرأ ألفية ابن مالك، وكان سيبويه الأوان، حتى كان يصحّح نسخ شرح المرادي على الألفية من حفظه[12] ،وألف كتابا في أصول النحو جعله على أسلوب الاقتراح للسيوطي، وشرح التسهيل لابن مالك[13] إلى زمن الاحتلال الفرنسي «انقطعت الدراسات النحوية واللغوية إذن بانقطاع تيار التعليم العام، وقد عرفنا أن تعليما مقيدا جدا ظل متواترا في بعض الزوايا التعليمية مثل زاوية ابن أبي داود وزاوية طولقة وزاوية الهامل. وكان شيوخ هذه المؤسسات يستعملون النصوص و الشروح القديمة، وقلما يخرجون عنها إلى غيرها، وهي لا تكاد تخرج عن شرح قطر الندى، وشرح ابن عقيل على الألفية، وكذلك شرح الأجرومية للشريف ابن يعلى، وربما لا يدرسون الأشموني إلا في المعاهد الإسلامية خارج الجزائر. [14] ومع ذلك اشتهر أدباء ولغويون ونحويون ذوو قامة من أمثال محمد بن يوسف أطفيش(ت1332هـ - 1914م) صاحب الشروح

[10]- نفس المرجع ص268

[11]- ينظر العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين،14/3 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية،ط2،2010م

[12]- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، ج3، ص177

[13]- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله ، ج2، ص161

[14]-نفس المرجع ، ج8، ص42

العديدة والتآليف البديعة مثل أرجوزة النحو في خمسة آلاف بيت، ونظم المغني لابن هشام[15]. ومحمد بن أبي شنب(ت 1247هـ -1929م) له تآليف لسانية قيمة، وهوأستاذ العربية في كلية الجزائر، منحته الجامعة الجزائرية لقب الدكتور في الآداب له "شرح الجمل للزجاجي" و"شرح شذور الذهب"، وفي البحوث اللغوية المقارنة "الألفاظ التركية والفارسية الباقية اللهجة الجزائرية" و"الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر"وغيرها كثير[16]. وخاتمة المحققين وكبار اللسانيين والعربية الشيخ البشير الإبراهيمي، ثم تدرج زوال هذه العلوم مع الاستقلال و بناء المدرسة الجزائرية الحديثة، فقل الاهتمام بتدريس النحو، وانفتحت الجامعة الجزائرية على غرار الجامعات العربية الأخرى-خاصة المغاربية- على الدرس اللساني، متأثرة بالثورة اللسانية عند الغرب، وأصبح الوطن العربي ينتج أفكارا في الحقل اللساني بما يترجم ويُقعَّد عند الغرب، دون أن تحظى هذه اللغة بما تستحقه من ماضي زاخر وعطاء حاضر تجعل منها لغة رائدة تصلح لأن تكون ميدانا للبحث والتنظير اللساني بما تكتسبه من خصائص لسانية، وعلى ذلك درج أعلام الفكر اللساني العربي في الجامعة الجزائرية من أساتذة محاضرين، وكتاب باحثين، وطلبة نابغين يطول بنا المقام سرد أسمائهم وتعداد مؤلفاتهم إلا أنه يكتفي بنا المقام، وينتهي بنا الأوان إلى عمل أستاذ محاضر، وكاتب فاحص، وناقد بصير **عبد الجليل مرتاض**، ولست هنا أدعي أني استقصيت البحث في مؤلفاته، ولا نقّبت عن مثالب أفكاره، و لم أجرؤ على ذكر هنات كتاباته ، وإنما هذا ما تيسر لي إيراده وتحقق لي إيفاده، والله تعالى من وراء القصد.

[15]- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية 1400هـ - 1980م، ص20

[16]- نفس المرجع، ص190

الفصل الأول:

آراء عبد الجليل مرتاض في تشكل الحركة اللسانية

المبحث الأول: آراءه في المستويات اللسانية قبل وضع النحو

المطلب الأول: السليقية عند العرب

المطلب الثاني: اللحن ومحاربته عند العرب

المبحث الثاني: آراءه في وضع النحو

المطلب الأول: وضع النحو ونشأة مصطلحاته

المطلب الثاني: الأعمال التي سبقت كتاب سيبويه

المبحث الثالث: تشخيص اللهجات العربية (الخصائص والتوزيع)

المطلب الأول: مفهوم اللغة و اللهجة

المطلب الثاني: عوامل انتشار اللهجة

المبحث الأول: آراءه في المستويات اللسانية قبل وضع النحو

المطلب الأول: السليقة عند العرب

المطلب الثاني: اللحن ومحاربته عند العرب

المطلب الأول: السليقية عند العرب

1-في مفهوم السليقة: من البداهة عند مؤرّخي العربية أن العرب نطقوا على سجيتهم هذه اللغة المتداولة عندنا في المحافل الرسمية، وهذه السجية التي هي يطلق عليها "السليقة" تتمثل في أنها لغة مثل غيرها من اللغات السامية لها ميزة الإعراب في أواخر الكلم، والانحراف عن الإعراب فيها يسمى لحنا، ونشأ عن هذين المفهومين خلاف فيهما وتوسع الكلام فيهما بعد تأسيس علم النحو ومن هنا يبدأ **عبد الجليل مرتاض** مباحثه في اللغة والنحو، فهو يقول:«لم يكن يولد إلا عن نظام يضبط قواعد اللغة العربية ويرسي قواعد إبقاءها، ذلك لأنها لغة في أصلها محكمة البنيان، مفصحة للبنيان، مفصحة للبيان، منضبطة اللسان، فهي لغة الإبانة، واختارها الله للرسالة والديانة وأصحابها أهل مروءة وصيانة، فلا غرو أن يكون المُفْلِق فيها سليقيا لا يقبل اللحن ولا يعرف الوهن، من هنا كانت السليقية تسمية سجية وطبع كالشجاعة والمروءة والكرم وعزة النفس والغيرة على العرض وغيرها من الطباع والسجايا* العربية قبل الإسلام »[1] . والنحو بوصفه علم مؤسّس له قواعد وأسس سبقه الإعراب بالمَلَكَة، «فقد كان العربي يكتسب لغته الفصحى من خلال الممارسة والاستعمال دون أن يدرك ما لها من نظام نحوي أو صرفي، وكان يسمى هذا النوع من الاكتساب "السليقة".»[2] فالسليقية هي أساس التواصلات العربية في القديم عندهم، ثم جاء وضع النحو ليحفظ لها عربيتها المتمثلة أساسا في الإبانة عن الحركات في أواخر الكلم في اللغة العربية، وهذا –

*يقصد بها الأخلاق العربية مثل الكرم والشجاعة والمروءة وإكرام الضيف والغيرة على العرض...الخ

[1] – الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض دار هومة–الجزائر ،ط2، 2009 ص64.

[2] – مقالات في اللغة والأدب ،تمام حسان ،عالم الكتب –القاهرة ،ط1/ 1427هـ-2006م ،ص214

في ما أظن- هو مذهب جمهور اللغويين والأدباء ومنهم **عبد الجليل مرتاض**، لكن ثمة من يذهب إلى غير هذا -من المُحْدثين- أن العرب ما كانت تقوله من الشعر هو من قبيل التكلف منهم شوقي ضيف، فهو يطرح إشكالية-كما اصطلح عليه- "الطبع والتكلف" في صنعة الشعر، باعتبار الشعر ديوان العرب وهو أهم مصدر سماعي في تلقي اللغة العربية، وإن كنا بصدد اصطلاحَيْ: السليقة والاكتساب فالسليقة ترادف الطبع، والاكتساب يرادف التكلف. يقول في ذلك-أي شوقي ضيف-:« فالشعر الجاهلي ليس تعبيرا حرّا بل هو تعبير فني مقيد ليس تعبير الطبيعة والطبع، بل هو تعبير التكلف والصنعة، أما الفكرة التي تذهب عندنا إلى تقسيم الشعراء إلى أصحاب طبع وأصحاب صنعة، والتي نرى انسدادها في العصر الحديث، فأكبر الظنّ أنّها في حاجة إلى شيء من التصحيح، فإن أقدم أثار الشعر العربي ونماذجه لا تؤيد هذا التقسيم الذي لا يتفق وطبيعة الشعر وحقائقه، فكلُّه شعر مصنوع فيه أثر التكلف و الصنعة.» [1] ومع أن شوقي عقّب كلامه هذا بكلام الجاحظ في القول بما قاله الجمهور من الطبع والسليقة، حيث قال الجاحظ: «وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك مكابدة ولا إجالة فكة ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، فتأتيه المعاني إرسالا وتنثال عليه الألفاظ انتثيالا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرِّسه أحدا من ولده.» [2] أورد كلاما له آخر يرى فيه تناقض الجاحظ في كلاميه، وهو قوله: «وكذلك كل من جوّد في جميع شعره ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر، حتى يُخرِج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة، وكان

[1]- الفن ومذاهبه، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة، د ت ط، ص20

[2]- البيان والتبيين، عمرو بن عثمان الجاحظ، مكتبة الخانجي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، د ت ط، ج2، ص19

يقال : لولا أن الشعر استعبدهم، واستفرغ مجهودهم، حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة، ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب اللفاظ لذهبوا م=هب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهوا ورهوا، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا.» [1] والرأي- فيما أحسب- في هذا أن شوقي ضيف تأول كلام الجاحظ بما لم يذهب إليه الجاحظ من القول بالسليقة، فإنما أورد الجاحظ ذلك القول ليدل على غاية عند بعض الشعراء من أمثال زهير بن أبي سلمى في حولياته، حيث غالب الظنّ أنه إنما قصد التنقيح وزيادة الدقة في الكلام والاختصار فيه عند خاصة الشعراء، فإن العربي يقول كلاما يسهب فيه، ثم بعد فترة يرى فيه الحذف والزيادة على حسب تغير المشاعر والظروف، وإنما قال كلامه الأول ليس عن خطأ أو لحنا فيه، ولكن الكلام المتأخر هو الأنسب والأجمل والأفضل. أضف إلى ذلك لم يكن الشعر وحده متداولا من الفصيح من سليقة كلام العرب، فالفصيح من الكلام لم يكن نوعا واحدا من أنواع النصوص، فلقد كان هناك الشعر العربي بأشكاله المختلفة من قصيد إلى رجز، وكان هناك النثر العربي من خطب ومخاطبة وسجع، كما كان هناك القرآن الكريم والحديث الشريف بعد ذلك وكان لكل واحد من هذه الأنواع بنية خاصة ومفردات خاصة تشيع فيه، وأسلوب معين يتجه به إلى سامعيه وشجاعة معينة في استعمال الرخص النحوية والصرفية التي تتحدى الاستعمـــال المطرد. [2]

[1]- البيان والتبيين، أبوعمرو عمان الجاحظ، ج2 ، ص87

[2] – ينظر مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى2010م

2-ردود عبد الجليل مرتاض:

أولا: من زعم تقدم علم النحو على السليقة: لم يرض **عبد الجليل مرتاض** إلى ما ذهب إليه العلامة ابن فارس في أسبقية علمي الإعراب والعروض، ومعرفة العرب لهذه المصطلحات، ولكن الأيام أتت عليها حتى كان الخليل وسيبويه فجدداها لكون المطبوع مستغنٍ بطبعه عن معرفة قواعد العروض لنبوّ ذوقه عن المزاحف منها والمستكره.[1] وأفضل من ذلك كان على لسان الخليل حينما سئل عن العلل التي يعتلّ بها في النحو فقيل له «:عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك فقال :"إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها.»[2] فهذا من باب الأدب في العلم، و هوالردّ على هؤلاء الأعلام بمثلهم أو بأقدر منهم، فأين ابن فارس من الخليل رحمهما الله؟ فهي الطريقة المثلى في التعامل مع هؤلاء في الرد على بعض الشذوذ الذي لايخلو منه عالم جهبذ أو لغوي نحرير، وإلا فقد اكتسبت العربية اسمها من الإعراب أو العروبة أو العروبية أي الفصاحة والوضوح والبيان، على أصح الأقوال. من أجل ذلك سمى العرب أنفسهم عربا وسمّوا سائر الأمم عَجَما(أي لا يُفهم عنهم ما يقولون)، فاللغة العربية أقدم اللغات الحية، وليس ثمت في العالم لغة محكية أقدم منها[3].

[1]- ينظر الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض ص14

[2]- ينظر الإيضاح في علل النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، ط3، 1399هـ/1979 م، ص66

[3]- ينظر تاريخ الأدب العربي، عمر فرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة1981م، ج1، ص35

ثانيا: على من زعم تقدم العامية على الفصحى: ويمثل هذا الرأي أحمد عبد الغفور في زعمه بأن «العامية أقدم من الفصحى، ثم أصبحت موجودة مع الفصحى لوجود بعض الأخطاء في أشعار الفحول مثل بيت طرفة الذي خرج على القاعدة، فلم يبن أحد الأفعال الأمرية على السكون كقوله: إِضْرِبَ عنك الهُمُوم طَارِقَها *** ضَرْبَك بالسَّيفِ ،قوْنَيْ الفرسِ[1]

وأن العرب جميعـــا في الجاهلية كانوا يتحدثون الفصحى[2]، ويزعم أن العامية غير موجودة فإن الدليل يُعْوزه،كما أن لسان كل عرب الجاهلية لم يكن على مستوى واحد من البيان والفصاحة الإعراب» [3] وكان ردّ عبد الجليل مرتاض على عبد الغفور في هذا الرأي من معين تراث أعلام العربية من أمثال ابن جني الذي أورد البيت في الخصائص و لم يَعْزُه إلى أحد، وإن كان قد ذكر أن أبا زيد الأنصاري هومن رواه وهو موجود في نوادره، في حين ذكر بعض اللغويين أنه مصنوع على طرفة، وذكر هذا أبو حاتم الذي قال :أنشدني الأخفش بيتا مصنوعا لطرفة، وعدّ ابن جني هذه اللغة في باب الضعيف في القياس القليل في الاستعمال، وهو مرذول مطروح»[4] .

وقد أزيد على ما نقله عبد الجليل مرتاض من نقل عن ابن جني نقلا عنه آخر، هو أبلغ من ذلك حيث وصف ابن جني العرب بقوله:« قوة حسّ هؤلاء القوم أنهم قد يلاحظون بالمُنّة والطباع، ما نلاحظه نحن عن طول المباحثة والسماع.» [5] ومما وجدته من كلام الجاحظ ما نقله عن بشر المعتمر

[1]-البيت لطرفة بن العبد، ذكره بديع يعقوب انه في ملحق ديوانه، والشطر الثاني بقوله: بالسوط قونس الفرسِ، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ، 1417هـ- 1996م، ج4 ، ص83

[2]- المراد بالفصحى ما اجتمعت عليه العرب، وحكموا فيها قريشا في سوق عكّاظ ومجنّة وذو المجاز.

[3]- ينظر الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض ص18

[4]- نفس المرجع ص18-19 بتصرف

[5]- الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية1424هـ-2003م، ج2، ص476.

قوله:« فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فهم ذكروا العِيَّ والبكيء، والحصِر و المفحَم، والخطِل والمسهب، والمتشدّق والمتفيهق والمهمار، والثرثار والمكثار، والمهذار، و لم ذكروا الهُجْر والهذر، والهذيان والتخليط، وقالوا رجل تِلقّاعة(كثير الكلام)، وفلان يتلهْيع في خطبته، وقالوا فلان يخطيء في جوابه، ويحيل في كلامه، ويناقض في خبره، لولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمّى البعضُ البعضَ الآخر بهذه الأسماء»[1] فهذه الألقاب في حق من وجد فيه عثرات في كلامه صنفته العرب وأعطته هذه الألقاب، بخلاف الفصيح الذي وصفت بالبليغ، والفصيح والمُبين. وعلى كل فهذا المنهج في الرد يبين منهج **عبد الجليل مرتاض** في الرد على الأقران بما لم يتحصل لهم أيضا من كتب التراث من علم بما قاله الجهابذة في مثل هذه الحالات النوادر، وهو اختصار الطريق دون اللجوء إلى المنازعات، فوجود رد مثل هذا مِن مَن لا يُختلَف في تقدمهم وإمامتهم في العربية ومعرفتهم بكلام وروايات العرب هو المنهج الذي ينبغي اتباعه لتقليل المنازعات الجانبية التي تأخذ جهدا فيما ينبغي إنفاقه فيما يفيد اللغة ويزيد من استمراريتها، وقطع الطريق أمام المناوشات الشاذّة التي تكثر علينا أقوالا وأراء لا تغني عن العربية من شيء إلا فتح باب الجدال فيما لا طائل فيه.

[1]- البيان والتبيين، أبوعمرو عمان الجاحظ، ج2 ، ص145

المطلب الثاني: اللحن ومحاربته عند العرب

1-**مفهوم اللحن:** المتبادر إلى الأذهان أن المراد باللحن وخاصة في اللغة الخطأ، وقد أورد **عبد الجليل مرتاض** مبحثا خاصا به في فصل اللحن من كتاب الفسيح، رأى أن اللحن: «بل وجدنا في بعض المواضع يدل على الفطنة والذكاء وقوة الحجة .»[1]، ومن أعجب ما وجدت في معنى اللحن: اللهجة، وهو الذي ذكره إبراهيم أنس: « وقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما تسميه الآن باللهجة بكلمة "اللغة" ، وبـــ "اللحن" حينا آخر، وقد يروى لنا أعرابيا يقول في معرض الحديث عن مسألة نحوية " ليس هذا من لحني ولا لحن قومي"»[2]. وعرفه عبد الرحمن الحاج صالح: «بأنه ما ليس من كلام العرب»[3] والكلام على اللحن يقود إلى البحث و الغوص في كتب البيان العربي وأعلامه مثل البيان والتبيين للجاحظ(ت255هـ)، والكامل للمبرّد(ت 285هـ)، والعقد الفريد لابن عبد ربه(ت328هـ)، فهذه الأمهات مع ما فيها من تراث زاخر تحمل في طياتها وقائع وأحداث وربما منازعات لسانية، أو حتى أقوال ومذاهب لسانية فضلا عن الكلام في اللحن وتصوياته، مما جعل **عبد الجليل مرتاض** يجعل من هذا كله مصدرا هاما ومحطات لاستخراج الوقفات اللسانية؛ ذلك لأن اللحن مرتبط باللغة والنحو والبيان على اعتبار معناه الخطأ، أما على اعتباره الفطنة والذكاء، فإن ذلك ممّا فتح مجالا لاستبطان الكتب التي حوت على أثر عظيم، وضمت المباحث اللغوية والنحوية واللسانية على العموم، التي قام بها- بجدارة- قدامى اللغويين

[1] –االفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض، ص64

[2] –اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلومصرية ، ص15

[3] – الفصاحة واللحن في اللغة العربية، كريمة أوشيش حمّاش مجلة اللسانيات، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربي، الجزائر، العددان: 14،15، 2008-2009م

والنحويين، ووطّدوا هذه المباحث بحزم في اللسان العربي بتجريده من كل خصائص أجنبية عنه، أو بتسخير بعض القواعد العلمية في العملية اللسانية العربية التي تظهر في فقه اللغة، كما نجد ذلك جليا في كتب الأدب والنقد من مثل الكامل للمبرد (ت 285هـ) قال المبرد: « هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الأدب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر، وموعظة بليغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة والنسبة فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، أو شرح ما يعرض فيه، فيكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا.» [1]، وابن قتيبة في أدب الكاتب (ت276) يقول في مقدمته: « فلما رأيت هذا الشأن إلى نقصان وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره جعلتُ له حظا من عنايتي، وجزءا من تأليفي، فجعلتُ لِمُغفِل التأديب كتبا خفافا في المعرفة، وفي تقويم اللسان واليد، يشتمل كل كتاب منها على فن، وأعفيته من التطويل والتثقيل، لأنشطه لتحفُّظِه ودراسته إن فاءت به همته وأقيِّد عليه بها ما أضلّ من المعرفة، وأستظهر له بإعداد الآلة لزمان لإ لدالة أو لقضاء الوطر عند تبين فضل النظر، وأُلحِقه-مع كلال الحدِّ و يُبْبس الطينة- بالمرهفين، وأُدخله- وهو الكوْدَن- في مضمار العتاق. وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم، ومن الكتابة إلا بالاسم، و لم يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة، ولكنها لمن شدا شيئا من الإعراب، فعرف الصّدر والمصدر، والحال والظّرف، وشيئا من التصاريف والأبنية، وانقلاب الياء عن الواو، والألف عن الياء، وأشباه ذلك.[2]» والنقل عن كتب اللغة والأدب وأعلامها كثير من مثل: فقه اللغة وسر العربية

[1]- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرّد، مؤسسة المعارف، د ت ط، ص02

[2]- أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دت ط، ج1، ص 11

للثعالبي(ت430هـ)، والصاحبي لابن فارس(ت395هـ)، ، والبيان والتبيين للجاحظ، «فالسلف لو لم يدرسوا اللغة في ذلك العصر لكانت اللغة العربية التي ندرسها الآن على صورة أخرى أحدث عهدا في التاريخ ولكانت مصادر قواعدها أشعارا يمنعون الاحتجاج بها في النحو اللغة، بل لربما أصبح الاحتجاج بشعر البارودي وشوقي وحافظ وغيرهم، على نحو ما يفعل الغربيون من الاحتجاج بلغة المعارين من أهل الأدب من بينهم »[1].

2- ظهور اللحن: وبالرجوع بالقول في اللحن بمفهومه اللغوي وهو الخطأ، ينتابنا أمر مهم ألا وهو أنه كان قبل الإسلام الشعر ديوان العرب، فهو مصدر ثروتهم اللسانية، ولم تكن تلك الحروب والمشاحنات القبلية في التقاتل بالسلاح فقط، بل كانت مباريات شعرية، وكان ذلك أدعى لوفرة الجودة الشعرية حيث أنه كانت تؤول حتما إلى الجودة اللسانية، وذلك بقلة اللحن عندهم، حيث ينظر أي الكلام أجود بيانا، وأي الشعر أحسن قافية وميزانا .[2] أما مع مجيء الإسلام وبعده، فقد ظهر اللحن باختلاط العرب مع الأجناس، وهي ظاهرة في الصدر الأول، بل في العهد النبوي فقد أورد **عبد الجليل مرتاض** عن صاحب الخصائص ذلك الأثر الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يلحن في كلامه وبحضرته فقال: « أرشدوا أخاكم فقد ضل.» [3] وإن وقع في نفسه ارتياب في صحة هذا الأثر، لكن ذلك لا يمنع أن يكون محاربة اللحن غير بعيد عن العهد النبوي في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث وضعت حروب الرّدّة

[1] -ينظر اللغة بين المعيارية والوصفية، تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة2000م

[2] – الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض، ص 64.

[3] –الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ينظر المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت د ت ط ، ج 2 ، ص477

أوزارها في موطن العرب (الجزيرة العربية) واتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثر دخول الأعاجم على اختلاف أجناسهم الإسلام. وعلى ذلك الرأي عند **عبد الجليل مرتاض** في بداية ظهور اللحن ووجود رد فعل من الخليفة عمر بن الخطاب – والوقائع في ذلك معروفة عنه في كتب التاريخ والحديث– هو بداية تكوّن اللبنة الأولى للحركة اللسانية العربية وعقد له "فصل ظهور اللحن" مع أن الخليفة عمر بن الخطاب كان حازما في محاربة اللحن في اللغة العربية.

3– **اللحن والدراسات القرآنية:** سرعان ما انتقل هذا اللحن إلى القرآن الكريم، وظهر الخلاف في القراءات القرآنية، ووصل النزاع إلى تخطئة كل فريق الآخر، وامتد إلى التقاتل والتنازع، وهو ما كان ما يميز عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث جمع القرآن على مصحف واحد، ومن ثم قلّ الخلاف في القرآن، وكانت بداية عهد جديد في الدراسات اللسانية بدأت بالدراسات القرآنية قبل وضع اللبنة الأولى لعلم النحو على يد أبي الأسود الدؤلي في عهد الخليفة على بن أبي طالب رضي الله عنه–كما سيأتي الكلام عنه– وهذا ما يؤكد سبق الدراسات القرآنية علم النحو في الوضع ومنه نلمس قول **عبد الجليل مرتاض**:« وإنما كانت هذه الدراسات القرآنية في طابعها اللغوي باعتبار أن القراءات القرآنية هي وجهة للغات العرب، وجمعها كان يتطلب معرفة القراءات الواردة فيها، ومن ثم كانت هناك قراءات أثرت في الدراسات النحوية ومرجعها إلى لهجات العرب التي نزل ببعضها القرآن الكريم، ولكن النحاة لم ينظروا إليها من خلال هذه الحقيقة ومن هنا جاء بعضها على خلاف قياس النحاة، مما أدى إلى احتدام الجدل والنقاش بينهم في محيطها» [1] و ينبغي

[1]-الفسيح في اللسانيات العربية، عبد الجليل مرتاض، ص157

الالتفات إلى أن الزمن الذي توطدت فيه القراءات القرآنية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري كان التأليف في غريب القرآن ثم غريب الحديث، والمؤلفات فيه تعلوا إسنادها إلى الصحابي عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما فإنه قيل له كتاب في ذلك، حتى إذا انتشر علم النحو واستقرّ وصفه بعد قرن من الزمن بعد ظهور مصنف "الكتاب" لسيبويه(ت175هـ)، ظهر التصنيف في علم القراءات في القرن الرابع الهجري، كان من جملة ما حكّموا في المفاضلة بين القراءات الوجوه النحوية، ونص ابن النديم على أن لابن السراج (ت316هـ) كتاب: "الاحتجاج في القراءة" وللقاريء النحوي أبي طاهر البزاز (ت349هـ) كتاب:" الفصل بين أبي عمرو والكسائي"، ولابن مقسم (ت362هـ) كتاب:" احتجاج القراءات"، ثم جاء أبو علي الفارسي ت فألف كتابه: "الحجة في علل القراءات السبع"، ثم مكي بن أبي طالب الأندلسي (ت437هـ) كتاب:" الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها"، وأزمنة تأليف هذه الكتب بدءا من ابن السراج متقاربة، ومذهب مؤلفيها في تحكيم مذاهب النحو في القراءات أقرب منهم في التوجه إلى الأمثال، سمة اهتم بها هذا النوع من التأليف في العهد العباسي.[1] غير أنه بالتأكيد أن الدراسات اللسانية كان الاهتمام فيها بالألفاظ في عمومها ويدخل في ذلك ضبط حركاتها، ومعاني مفرداتها أو بصفة أخرى البحث في الحقل المعجمي من معاني الكلمات وتمييز العربي من المعرّب والأفصح في اللغة سبق البحث عن أسباب الرفع والنصب والجرّ، وهلم جرّا« فالبحث النحوي لا شك أنه بدأ متأخرا عن جمع اللغة، لأنه لا يمكن القيام به دون مادة توضع تحت تصرف النحوي، وبعبارة أخرى لأن تقعيد القواعد ما هو إلا فحص لمادة لغوية ثم جمعها بالفعل ومحاولة لتصنيفها، واستنباط الأسس والنظريات التي

[1]- ينظر مقدمة تحقيق حجة القراءات عبد الرحمن بن زنجله، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة 1418هـ-1997م

تحكمها. »[1] وهو ما وقع في علم النحو بعد ذلك، فابتداءه –كما سيأتي في مبحث القياس في اللغة العربية– قام على عناصر بنيوية من صميم العربية، واعتمد فيه على صور فيزيائية سمعية المتمثلة في حركات الإعراب، من رفع ونصب وخفض لها في شكل الشفتين، ومدار ذلك قصة أبي الأسود الدؤلي التي ذكرها أبو الطيب اللغوي(ت 351) وغيره، «أن أبا الأسود جاء إلى زياد فقال: ابغني كاتبا يفهم عنّي ما أقول، فجيء برجل من عبد قيس فلم يرض فهمه، فأُتي برجل من قريش، فقال له: إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه وإذا ضممتُ فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرتُ فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعتُ شيئا من ذلك غُنّة فاجعل النقطة نقطتين ، ففعل.»[2] وقد أصبحت هذه المفاهيم المحسوسة مجرّدة تستعمل في معاني ذهنية من فاعلية ومفعولية وابتداء وخبر وتوابع وغيرها، وهكذا كان وضع علم النحو من مفهوم إلى مصطلح «فالظاهرة النحوية التي تم تحديدها بمصطلح نحوي معين أنواع، أطلق على كل نوع منها مفهوما نحويا يميزه عن غيره من الأنواع، وهكذا تعددت المفاهيم النحوية إلى أن صار كل مصطلح نحوي مقيدا أو مختصا بصفة أو إضافة مفاهيم نحوية. »[3]

[1]–البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة التاسعة 2010م

[2]– مراتب النحويين، أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د ت ط

[3]–النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، مصطفى سويرتي ص31

المبحث الثاني: آراءه في وضع النحو

المطلب الأول: وضع النحو ونشأة مصطلحاته

المطلب الثاني: الأعمال التي سبقت كتاب سيبويه

المطلب الأول: وضع النحو ونشأة مصطلحاته

مفهوم النحو: عرفه ابن جني بقوله: « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره،كالتثنية والجمع والتحقير والتكير والإضافة والنب والتركيب، وغير ذلك . ليلحق من لي من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فيطق بهاوإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها .»[1] ويظهر من تعريف ابن جني أن المقصود من علم الصرف هما: علم الإعراب، بمعرفة أحوال تغير الكلم في الآخر لفظا أو تقديرا، وعلم الصرف أو التصريف على حد سواء بما مثله من عناوين من تثنية إلى آخر كلامه. وارتبط مفهوم النحو في الدراسات اللغوية الحديثة بمصطلحات ثلاثة:

1-علم الصرف: وهو مستوى من مستويات التحليل اللغوي يبحث عن الوحدات الصرفية Morphème.

2-التركيب(النظم): Syntax وهو مستو من مستويات التحليل اللغوي يدرس ترتيب الكلمات في جمل، والطرق التي تتألف بها الجمل من الكلمات .

3-النحو: Grammaire فهذا المصطلح له ثلاثة مفاهيم، وكثير من علمـــاء اللغة يستعمله بمعنى Syntax في مقابل المورفولوجي Morphology ، لكن الغالب من علماء اللغة المحدثين على أنه يضم الصرف، والنظم، أما تشومسكي فيتضمن هذا المصطلح عنده المكونات الثلاثة: الفونولوجي والتركيبي والدلالي.[2]

[1]- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1424هـ/2003م، ج1 ص 188

[2]- ينظر: التركيب والدلالة والسياق (دراسة نظرية)، محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية د ت ط ، ص

2-ظروف نشأته: إن نشأة النحو العربي عند **عبد الجليل مرتاض** ليس وليد زمن معين -فهو عمليا- كان موجودا وكان يطبق في الحياة اليومية، يقول في فصل نشأة النحو:« ومن البعيد عن الصواب في نظري أن نعنون مثل هذه الأبحاث باصطناع كلمة "نشأة" النحو العربي لأن النحو العربي بمعناه العلمي أو التطبيقي على الأقل كان قد نشأ مع هذه اللغة نفسها في أول نشأتها المجهولة وظل صاحبها طوال حياتها السالفة يتطور بتطورها ويخْمُل بخمولها، ولربّما زالت بعض قواعده بزوال ظواهر منها، إلى أن وصلنا ناضجا كنضجها ومدهشا للناس كإدهاشها لهم.»[1]

من هذه الفقرة يتبين لنا مذهب **عبدالجليل مرتاض** أن نشأة النحو أو صناعة النحو -بتعبيره الخاص- هو عربي خالص ويحمل في طياته نظرية التطور في اللغة، « فالكلام المضبوط الذي يبنى على التقعيد ويسمونه صناعة يقوم على الاستقراء الناقص بأن يختار أهل النظر من بيانات موضوع البحث نموذجا محدود المساف يسمّونه: "العينة"، وقد سماه النحاة "المسموع".»[2]

حيث قام على ثلاث مرتكزات:

أ – نشأته في ظروف مجهولة، فقد كانت ممارسة اللغة ممارسة طبيعية في حياة العرب، حيث كانت العرب تُعْرب كلامها دون تكلف كما سبق في الكلام عن السليقة، فهي التي تعتبر حاضنة اللغة العربية يصعب التأريخ لها ومعرفة ظروف نشأتها حتى إن الكلام فيها يقود إلى نفس الكلام عن المسألة التي ثار الجدل عليها والمنازعات التي قامت حولها، ألا وهي مسألة اللغة هل هي توقيفية أم

[1] – الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض دار هومة–الجزائر ،ط 2/ 2009 ص95.

[2]- مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، تمام حسان، ص51

توفيقية ؟ فكذلك مسألة "السليقة" أو بالأحرى مسألة "الإعراب عن ملَكَة" هل وجد مع وجود اللغة أم بعدها؟

ب – أنها قامت على خصائص بنيوية ،حيث أن قواعد اللغة عامة والنحو خاصة قامت على ما توفر من كلام العرب، و ما وصل إلى جامعيها ،«والبحث النحوي بدأ متأخرا عن جمع اللغة، وتقعيد القواعد ما هو إلا فحص للمادة اللغوية، ثم جمعها لتصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها» [1]حيث كان استقراء هذه القواعد والتنظير لها وفق ما توفر ووصل من جمع المادة اللغوية، وهو ما يسمى بـــ" السماع" في اللغة وهو أحد مصادر اعتماد أصالتها، وهو القاعدة التحتية للتقعيد اللغوي، وما لم يسمع منه كان يسمى شاذا أو ضعيفا أو دخيلا.

ج– اكتمال النحو أو نضجه ففيه إشكال في مسألتين كثر الحديث عنهما خاصة عند المُحْدثين وهما: أحدهما تأثر النحو العربي بآثار اليونان والهنود خاصة المنطق الأرسطي ،وله مبحث مستقل والآخر مسألة أول واضع للنحو، وما هو منقول ومستفيض في الأحاديث وأمهات الكتب من كتب التراجم والتاريخ كما سبق هو أول واضع لعلم النحو أبو الأسود الدولي[2]، فقد كانت مثار جدل حول أسبقية الوضع. والصحيح أن أبا الأسود كما هو متواتر صاحب وضع هذا العلم، ونرجه في العنصر الآتي.

[1]- البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة 9، 2010م، ص 81

[2]– أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدّي بن الدّيل بن بكر الدّيليّ وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير، كان من سادات التابعين وأعيانهم، حِب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهد معه وقعة صفّين، وهو بصري وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا، وهو أول من وضع النحو، قيل إن عليا رضي الله عنه وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب :"اسم وفعل وحرف ثم رفعه إليه وقال له تمم على هذا ."ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د ت ط، ج2، ص535.

3-أبو الأسود الدؤلي ووضع النحو: إن **عبدالجليل مرتاض** ينكر هذا الجدل، بل ينكر على من أنكر نسبة وضع النحو إلى الأسود الدؤلي[1]، حتى إنه ينقل عن متأخري النقاد كابن قتيبة وابن النديم مقولات مهمة بل في غاية الأهمية في هذه المسألة، منها ما نقله عن ابن قتيبة قوله "وهو يُعد في الشعراء والتابعين والمُحَدِّثين والنحويين لأنه أول من عمل في النحو كتابا، وولي البصرة لابن عباس وقد أسن " وعن ابن النديم في قوله "وهذا يقوي ما ذهبت إليه بأن أعمال أبي الأسود ظهرت في مرحلتين :مرحلة تنقيط المصحف، ومرحلة تأليف في النحو نفسه، ولكنا لا ندري هنا أهذا الكتاب لأبي الأسود في النحو أو في غيره؟ " [2]، و ربما أخذ عن هذا المعنى عبد العال سالم مكرم قوله: «إن أبا الأسود من أجل صيانة القرآن الكريم قام بعملين خطيرين، أحدهما: ضبط المصحف ضبطا إعرابيا حتى لا تنحرف الألسنة عن النهج الصحيح أثناء قراءته، وثانيها: وضع الجذور الأولى لنشأة النحو.[3]» وقد حسم ذلك السيرافي بقوله: « وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي»[4]، أي أكثر العلماء على أن وضع النحو هو من صنع أبي الأسود، ومنهم من يرفع ذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى قال القفطي أنه رأى في مصر في أيدي الوراقين جزءا من أبواب النحو يجمعون على أنها مقدمة علي أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود.[5] ولو سلّم الأمر لم يبعد ذلك ليقال أن فعل أبي الأسود من إشارة علي بن أبي طالب ولا يترل الأمر عنهما.

---

[1] – ينظر الفسيح في ميلاد اللسانيات، عبد الجليل مرتاض، ص 121.

[2] – نفس المرجع ص 122.

[3]- اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ-1995م، ص11

[4]- ينظرأخبار النحويين البصريين ومراتبهم، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، ط1، 1427هـ-2006م ص37

[5]- ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر لعربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط1 1406هـ-1986م، ج1، ص40

المطلب الثاني: الأعمال التي سبقت كتاب سيبويه

إذا كان **عبدالجليل مرتاض** قد أدلى بدلوه في مسألة أول واضع لعلم النحو وبروز مصطلحاته مثل أي علم مستقل، فهو يعيب على البعض الذين يتحدثون عن النحو إزاء مصنفاته في ما بعد سيبويه، لأن مرحلة ما بعد أبي الأسود إلى عصر سيبويه فترة جديرة بالدراسة الموضوعية، وتقليب صفحات كتب القدماء، والتنقيب في كتب التراجم وتاريخ الأدباء، والبحث عن الكتب المؤلفة في النحو لأنها تعتبر مرحلة متطورة بعد عصر أبي الأسود الدؤلي، و مهيئة لعصر سيبويه، حيث انتهت عملية تدوين علم العربية، فهي تاريخ حاسم في العلوم اللسانية العربية، وهذه الفترة بحق فترة تبلور وتكون علم النحو ونضجه، حيث أرسيت قواعده، ولنا النقل المهم عن **عبدالجليل مرتاض** من الفسيح قوله: « ولنا أمل عظيم في أن تبحث هذه الفترة المحصورة ما بين عصر أبي السود وتلامذته وعصر ما قبل التأليف سيبويه للكتاب بحثا مستقلا عما جاء بعدها* لأن هذه الفترة هي النحو بعينه وهي السلاح القوي لتفنيد مزاعم عرب غلاة، ومستشرقين متعصبين. ».[1] وقد جعل لهذه المرحلة مراحل لجمع المادة عند سيبويه، فهو يراه بجانب أنه عالم موسوعي جامع لهذه المرحلة حيث أدى به إلى تأليف ذلك السفر العظيم من علوم العربية، وفارقة في تاريخ لسانياتها.

*- وقد كنت –وأنا أعد هذا البحث– اخترت عنوانا فرعيا وهو "الحلقة المفقودة من تاريخ النحو" ثم وجت هذا العنوان في كتاب وقد قال في مقدمته "وقد كنت أنتظر من طلاب الدراسات العليا أن يقدموا لنا دراسات نحوية لهذه الفترة ليعثروا على هذه الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي لتكون في مكانها الصحيح في سلسلة تطور النحو العربي قبل الخليل وسيبويه نولكن مع الأسف لم تظهر حتى هذه اللحظة أي بحوث في هذا الميدان وقد استطعت بحمد الله أن أعثر على هذه الحلقة المفقودة وصحبت رجال هذه الحلقة–يقصد الذين تُرجم لهم في هذه المرحلة–الذين أسسوا بنيان النحو العربي".

*ينظر الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي، عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1413/2هـ-1993م، ص07 بتصرف

[1] – الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض ص 124.

والعناصر التي تميز هذه المرحلة أي مرحلة ماقبل سيبويه:

- أعمال ابن أبي اسحاق[1]. ت 117 هـ
- المناظرات بين الرعيل الثاني بعد ابن أبي اسحاق
- اشتراك القُرَّاء في الدراسات النحوية.
- الدراسات بعد ابن أبي اسحاق.
- أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175 هـ[2]

و يجعل عبد **الجليل مرتاض** أعمال الخليل هي أهمها على الإطلاق بل يذهب إلى أبعد من ذلك وهو أن الخليل جمع النحو قائلا: "بل يظهر لي أن الخليل بن أحمد ربما يكون قد جمع القواعد النحوية كلها في قصيدة تعليمية، وليس هذا شيئا صعبا على رجل عقله أكثر من علمه ،وعثرت له على بيتين من في النحو وردا في المقدمة في النحو لخلف الأحمر[3] وهما:

فانسُقْ وَ صِلْ بِالْوَاو قَوْلَك كُلَّهُ *** وَبِلا وَ ثُمَّ وَ أَوْ، فَلَيْسَتْ تَصْعُـــبُ

الفَاءُ نَاسِقَةٌ كَذلِكَ عِندنَـــــا *** وسَبِيلُهَا رَحْبُ الْمَذاهِبِ مَشْعَـــبُ [4].

[1]- عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي،، وهو أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل ' ينظر طبقات النحويين، أبي الطيب اللغوي ص 12 طبقات النحويين واللغويين، أبوبكر الزبيدي ص31

[2] – نفس المرجع ص 123/124.

[3]-وقد جزم خلف الأحمر بذلك ونسبها إلى الخليل. ينظر مقدمة في النحو، خلف الأحمر، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات إحياء التراث القديم وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1381هـ–1961م

[4] – الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،عبد الجليل مرتاض، ص 125.

لقد وقف **عبدالجليل مرتاض** في هذه المحطة التاريخية من العلوم اللسانية خاصة النحوية موقف المتبحر والناقد الذي يجدر الانتباه إليها، بل شد الرّحل إلى غياهِب كتب التراث في البحث والتنقيب بدقة وجِدّ عن هذه المرحلة من البحوث اللسانية العربية، وتكمن أهميتها أن كتاب سيبويه جاء في عصر ترجمة الكتب اليونانية، وقد كثر الكلام عن الخليل واتصاله بالهنود وأخذه عنهم المبادئ اللسانية، مما ثار جدل في قضية تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي وسنعقد له بحثا في فصل قادم إن شاء الله، وكثير من كلام الخليل وآراءه مبثوثة في كتاب سيبويه، وبالتالي نرى خطورة هذه الآراء التي ظاهرها مسلَّمات عند الكثير في تأثر النحو العربي بالتراث الهندي واليوناني، وبتجاهل هذه المرحلة التي أشار إليها الدكتور عبد الجليل نرى قيمة وجدارة هذا البحث في استقلالية النحو العربي وعدم تأثره، بل انعزاله في مرحلة تشكله عن باقي الثقافات الأجنبية، بل هو يمتاز بخصوصية عربية تتلاءم مع البنية اللغوية العربية. وقد أثار مسائل جديرة ملموسة في رؤية هذه أهمها:

1 – تساؤلات حول القصيدة النحوية الخليلية.

2 – كتاب عيسى بن عمر[1] المسمى "الجامع" وأوهام مشبوهة عن كتاب سيبويه.

3– تصنيفات عيسى بن عمر الأخرى.[2]

[1]– عيسى بن عمر الثقفي، قال الخليل:« أخذ العلم عن أبي عمرو جماعة، منهم عيسى بن عمر الثقفي، وكان أفصح الناس، وصاحب تقعير في كلامه، واستعمال الغريب فيه وفي قراءته»مات سنة149هـ،
ينظر طبقات النحويين، أبي الطيب اللغوي ص21 ، طبقات النحويين واللغويين، أبوبكر الزبيدي ص40

[2]– ذكر أبو الطي اللغوي : وألف عيسى بن عمر في النحو كتابين : كتابا مختصرا، وكتابا مبسوطا، سمى أحدهما الإكمال والآخر الجامع، وفيهما ينظر: مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، ص23

4 – إسهامات أبي عمرو بن العلاء.[1]

5 – مقدمة خلف الاحمر. [2]

فهذه الكتب والتصنيفات تمثل بحق هذه الفترة من تاريخ النحو قبل زمن سيبويه، فإذا توقف الباحث عندها وأمعن النظر فيما تبين له أن علم النحو، لم يخرج دفعة واحدة في كتاب سيبويه لو لم تسبقه هذه الأعمال من هؤلاء الأعلام. والأمر كما قال صالح بلعيد: أنه ثمرة عمل جماعي، وهو مستقى من أستاذه الخليل، ومن أهل الثقة، ومن وصف العربية في كثير من لغاتها.»[3]

ويضاف إليها أعمال أبي جعفر الرؤاسي ومعاذا الهرّاء، أولهما قد صنف كتابا اسمه "الفيصل" ويقال إن الخليل قد اطلع عليه واستفاد منه، وأما الآخر فقد غلب عليه الاشتغال بالأبنية حتى قيل: إنه واضع علم الصرف[4]،

[1]– أبو عمرو بن العلاء بن عمار العريان، قال الزبيدي: وفي بعض الروايات اسمه: زبّان بن العلاء بن عمار ين العريان بن عبدالله بن الحصين التميمي المازنيّ. وله أخ يقال له أبوسفيان زعم النسابون أن اسميهما كنيتاهما. قال الخليل:« فكان عبد الله–أي ابن أبي إسحاق– يقدّم على أبي عمرو في النحو، وأبو عمرو يقدّم في اللغة. ينظر طبقات النحويين، أبي الطيب اللغوي ص1 ، طبقات النحويين واللغويين، أبوبكر الزبيدي ص40

[2]–هوخلف بن حسان، ويكنى أبا محمدوأبا محرز، كان أعلم الناس بالشعر،أخذ النحوعن عيسى بن عمر، واللغة عن أبي عمرو، و لم ير أحد أعلم بالشعر والشعراء منه، وكان يضرب به المثل في عمل الشعر، وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية . ينظر طبقات النحويين، أبي الطيب اللغوي ص46

[3]– مقالات لغوية، صالح بلعيد، دار هومه الجزائر، 2009، ص25

[4]– البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر ص126

بل قال السيوطي عن أبي جعفر الرؤاسي[1] هذا: «هو أستاذ الكسائي، وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو، وكان رجلا صالحا، وقيل: إن كل ما قيل في كتاب سيبويه: "وقال الكوفي" إنما عنى به الرؤاسي هذا، وكان له عم يقال له معاذ الهرّاء[2]، وهو نحوي مشهور، وهو أول من وضع التصريف.»[3]

[1]- ذكره أبو الطيب في مراتبه وقال: وممن أخذ عن أبي عمرو- يعني بن العلاء-* عالم أهل الكوفة، وليس بنظير هؤلاء الذين ذكرنا ولا من قرب منهم- يعني ممن جاؤوا بعد أبي الأسود- ينظر مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي ص24

[2]- معاذ بن مسلم الهرّاء، عم الرؤاسي، قال السيوطي: لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا. توفي سنة187هـ.

ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ج2، ص 291

[3]- المزهر في علوم اللغة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالرحيم محمد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1432هـ 2010م، ص747

وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ج1، ص 82

المبحث الثالث:

تشخيص اللهجات العربية (الخصائص والتوزيع)

المطلب الأول: مفهوم اللغة و اللهجة

المطلب الثاني: عوامل انتشار اللهجة

المطلب الأول: مفهوم اللغة و اللهجة

إن صورة اللسانيات العربية لا تكتمل عندنا إلا إذا كان هناك تصور خاص بجغرافيا وأطلس اللغة العربية، ولذلك فإن **عبد الجليل مرتاض** خاض في غير كتاب، وفي غير موضوع يتعلق باللسانيات في اللسانيات الجغرافية أو بما يسمى علم اللهجات –فهما علم واحد عنده–وإن كان يفرق بينهما في اللغة، إلا أنه أخذ الموضوع من منظور تشخيصي، وآثر في مواضع عديدة ولا سيما في كتابيه الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة ودراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة الجانب التطبيقي، وقبل الكلام عن اللسانيات الجغرافية، ينبغي فك المصطلحات وإخضاعها للمفهوم الواجب استيعابه، وهو الفرق بين اللغة واللهجة.

1-مفهوم اللغة: ولا أقصد في تعريفها اللغوي، وإنما المفهوم الذي يراد منه اللغة، ولذلك عرج عبد الجليل مرتاض عليها بقوله: «إن كتب المعاجم العربية قديمها و حديثها اهتمت بمفرد "اللغة". وما اشتق منها في كلام العرب من مصادره، ولا سيما الجاهلي، والقرآن الكريم، والحديث النبوي، ومصادر لغوية قديمة ومتأخرة يرى أنها دلت على أبعاد دلالية متنوعة منها ما هو قريب من صميم اللغة، ومنها ما لا علاقة له ثبات بهذا المعنى»[1]. ومع ذلك لما غلبت مفردة "اللغة" المتعارف عليها الآن، وهو ما كان لها قواعد نحوية وصرفية، وتراكيب (سانتكسية و مورفوسانتكسية) –على حد تعبير **عبد الجليل مرتاض**– فهي أعلى من اللهجة، ولهذه الأخيرة فرع منها، وأما اللسان «فهو

[1] – نفس المرجع ص 10.

أعلى من ذلك وهو النسق العام الذي يشمل مختلف اللغات الإنسانية المتواجدة على المعمورة ولذا فإن الترجمة مثلا تكون ممكنة اللسان أولا، واللغة ثانيا»[1]. والكلام حسبما يبدو **لعبد الجليل مرتاض** «هو ما يتلفظ به أي فرد من الأفراد في نطاق لغة من اللغات، وإذا اللهجة أخفض درجة من الثلاثة وهي الكلام ثم اللسان ثم اللغة، ولذلك فإن التكلمات اللهجية المحلية تبعا لكل منطقة جغرافية يجب ألا تهمش من هذه التقسيمات الثلاثة، لأن تكلما فرديا واحدا قد يتحول إلى لهجة ولربما تحول إلى لغة.» [2] وقد عرف إبراهيم أنس اللغة بأنها:« مجموعة الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة

2-**مفهوم اللهجة** مفهوم اللهجة عند الدارسين العرب من خلال سياق كلامهم حسب تعبير **عبد الجليل مرتاض:** «يقصدون باللهجة تحت اسم اللغة ما ينفرد أو يتميز به كل جهة من الجهات المتكلمة في شبه الجزيرة العربية، وقد يريدون بها كلاما فرديا أو يعنون بها ما يتوسع فيه عالم من علماء اللغة »[3] وهذا التعريف الذي نراه عند **عبد الجليل مرتاض** يريد به المفهوم المتداول عند القدماء تحت مسمّى اللغة، فهو نجده حين يأتي بتعريف اللهجة بالمفهوم الحداثي وهو« تكلم جهوي متغير تختلف مميزاته الصوتية والصوتية وكذا خصوصياته التركيبية» «والعرب القدماء حينما كانوا يشيرون إلى تلك الفوارق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح "اللهجة" على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث ،بل إنهم لم يستعملوه قط في كتبهم، وغاية ما

[1] – نفس المرجع ص57.

[2] – نفس المرجع ص 19

[3] – نفس المرجع ص17

وجدناه عندهم ما تردده معاجمهم من أن "اللهجة" هي للسان أو طرفه أو جرس الكلام، ولهجة فلأن لغته التي جُبِل عليها فاعتادها ونشأ عليها، وإنما كانوا يطلقون على اللهجة اللغة»[1] ، ووجدتُ لإبراهيم السامرائي قولا يشنِّع فيه على مصطلح "اللهجة"، ويقرّر أن مصطلح "اللغة" هو الأنسب والذي ينبغي أن يسار إليه، فيقول: «ولا أريد أن أستبدل بهذا الاسم ما يسمى في عصرنا "لهجات" فقد كانت دلالة اللغة أصدق من لهجة فيما اضطلع به في هذا الدرس، ولا أريد بـــ "اللغات" ما أراد به اللغويون الأقدمون من إفادة القلة والندور، بل إنها لغات لاختلاف بعضها عن بعض دلالة وأبنية.»[2] وعلى ذلك فإنه ينبه على أمر جد مهمّ في الدراسات اللسانية ويعتبر خطأ في حق اللهجات العربية وهو أن «مفهوم لهجة يدل في كل حال فضاء ضيق، وأن مفهوم اللغة يدل على فضاء رحب»[3] ، وجاء بمثال ذلك من اللهجة الطائية في كسر همزة المضارع ثم ما لبث أن أصبحت سائدة في العربية الشمالية، ووجدت أن أنيس فريحة ذكر ذلك مشيرا إلى أن اللهجة قد لا تعدوا شيئا ناقصا، قائلا:« وأفضل دليل عندي على أن اللهجات ليست انحطاطا لغويا هو كون بعضها سابقا في الزمن اللغة الفصحى ،خذ مثلا كسر حرف المضارعه في العامية نقول: "يِكتب ،يِشرب " وكسر حرف المضارع (وهو لغة قديمة) سابق في الزمن للفترة التي اعتبرت فيها لغة قريش اللغة الأدبية الفصحى ،فكيف يحق لنا أن نعتبر هذه الظاهرة —كسر حرف المضارع- انحطاطا لغويا» [4]

[1]-اللهجات العربية، عبده الراجحي،مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى 1420 هـــ-1999م، ص59

[2]- في شعاب العربية، إبراهيم السامرائي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى،1410هـ/1990م، ص164

[3]- اللسانيات الجغرافية، عبد الجليل مرتاض ص19

[4] - اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة ،دار الجيل بيروت ،الطبعة الأولى ،1409هـــ/1989م

3- **المنهج اللساني في تدوين اللغة عند العرب** يقول عبد الجليل مرتاض «اتبعوا منهجا متقاربا في تدوين اللغة على أساس نظرية وحدة اللغة، دون التفات كبير إلى الخصائص اللهجية الداخلية لكل منطقة. »[1] فهو بهذا يلفت الانتباه إلى هذه المسألة باستخلاص عنصر مهم في غاية الدقة، جدير بأن يطرح في حقول اللغة والدلالة، ألا وهو المنهج الذي اعتمدوه في الجمع دون التفريق اللهجي فالعلماء الذين جمعوا اللغة كالأصمعي والخليل بن أحمد في مصنفات معينة حتى تحفظ اللغة، فكان السماع عندهم أحد وسائل جمع المدونات اللغوية، وكان المروِيُّ له يعتمد منهجا في سماعه بالاستقراء القائم على وصف ما يسمع من تراكيب، لا متناهية لكنها متشابهة من حيث قواعدها لا من حيث خطاباتها ومستوياتها، فيلجأ إلى سمعها وتسجيلها أو حفظها وعرضها ثم استخراج القواعد[2]، فالسماع يكون أولا، ثم يكون العرض (بالمشافهة أوالكتابة)، وعنصر العرض بنوعيه، يدرجه **عبد الجليل مرتاض** في الاستعمال والتوظيف، وهما عاملين في انتشار اللهجة، لكنهما يخضعان لإطار معين وهو الزمان والمكان، « فعاملا الزمان والمكان أداتان أساسيتان لأية دراسة لسانية ميدانية تسعى أن تكون ذات طابع عقلي ونهجي، وإذا كان عامل الزمن أمرا مفروغا منه أي لابد أن تكون المدونة محددة ومضبوطة في في عصر معين، بصرف النظر عن طوله أو قره حسب حالات اللغات وتماشيا مع قدر معلوماتنا الأولية والمؤكدة من عناصر هذه اللغة ، فإن عامل المكان أكثر من ضرورة لأنه مدونة يصعب —إن لم أقل- يستحيل على أي دراسة لغوية أن

[1]- اللسانيات الجغرافية، عبد الجليل مرتاض ،دار الغرب ،الجزائر ،دت ط ص ،ص57

[2]- ينظر الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة، دار الغرب، وهران، طبعة2009، ص45

تفيد وتضبط من عاملها الزمني لأن هذا الأخير لا يتقيد إلا بالمكان.»[1]. والخلاصة أن المنهج في جمع المادة اللغوية واللهجية اعتمد على اللسان وتدوينه مشافهة أوكتابة مقيد بالزمن والمكان حتى يتم توزيع كل جهة حسب لغتها(لهجتها) حتى تكون مقبولة أو مطروحة، « وأما كلام العرب فيحتج بكلامهم بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتُدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين و لم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريٍّ قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم.» ثم استطرد الفارابي في ذكر-حسب ما نقل عنه السيوطي- القبائل العربية المجاورة للأمم الأخرى من الشرق من الفرس والذين اختلطوا بالهنود، ومن الغرب من المخالطين لمصر والأقباط، ومن الشمال من الين خالطوا الروم، ومن الجنوبمن الذين خاطوا الحبشة. [2]

[1]- التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومه، الجزائر، طبعة2002، ص133

[2]- الاقتراح في علم أوصول النحو، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعارف، حلب، سوريا، د ت ط ص19

المطلب الثاني: عوامل انتشار اللهجة

وبالحديث عن الخصائص اللهجية يكمن الكلام عن علم اللهجات، فقد تطرق **عبد الجليل مرتاض** إلى الموضوع بغاية الدقة في المخزون التراثي لهذه اللهجات بل في القرآن الكريم، وعلى كل فهو يجعل كلا من علم اللهجات والجغرافيا اللسانية متباينان بحيث: "أن أول علم منهجي، لساني عرفه العرب هو اللسانيات الجغرافية أولا ،وعلم اللهجات ثانيا.»[1] فهو يوافق ماذهب إليه دوسوسير من أن علم اللهجات يدرس من لهجة منطقة ما مع لهجة أخرى ، فلا يكون الجامع بينهما المكان الجغرافي، يقول دوسوسير في ذلك:« إن فكرة اللهجة الطبيعية لا تستقيم ولا تنسجم مبدئيا مع فكرة المنطقة سواء كان نطاقها واسعا أو ضيقا، ويجب أن نختار أمرا واحا من أمرين: إما أن نعرف اللهجة بما تشتمل عليه من خصائص كلية، وحينئذ يتعين أن نحدد بقعة على الخريطة وأن نقتصر على ناحية واحدة، وكلما ابتعدنا عنها افتقدنا بالضرورة تلك الخصائص، وإما أن نعرف اللهجة بإحدى خواصها، وحينئذ نقتصر على سطح هو السطح الذي يغطي مساحة معينة ننشر فيها الظاهرة المدروسة»[2] ، وعلى ذلك درج **عبد الجليل مرتاض** في كتابه: "تراكيب لهجية جزائرية في ظل الفصحى " حيث قارن بين العامية الجزائرية والصقلية، ثم الأندلسية، ثم البغدادية، وقال:« بل كان بودي لو خضعت هذه القراءة إلى تصنيف منهجي، بحيث تكون كل الظواهر اللهجية مرتبة حسب الظاهرة التي تنسب إليها، ولكن رأيت أن هذا المنهج ينبغي أن يقوم

[1] – اللسانيات الجغرافية، عبد الجليل مرتاض، ص 39

[2] – محاضرات في اللسانيات العامة، فرديناد دوسوسير ص298

على التفكيك أولا، وعلى إعادة البناء ثانيا، وعلى المقارنة ثالثا، فضلا عن قيمة دراسة اللهجات الثلاث إلى جانب العربية في الآن ذاته، وهي دراسة تتطلب سنوات من الجهد»[1]

ومن عوامل اللهجة حسب ما يراه **عبد الجليل مرتاض** ثلاثة وهي:

1 – عامل التواصل الشفوي .

2 – عامل جغرافي .

3 – المنظومة اللسانية ، التي تدل على عيوب صوتية تارة وعوائق صوتية أخرى، ما هو متناثر في مدونات الشعر القديم"[2].

وهذا يوافق ما ذهب إليه أنيس فريحة، من أن «سبب نشوء اللهجة ثلاثة عوامل :

1-المغايرة الفردية

2-اتساع الرقعة الجغرافية

3-احتكاك لغة بلغة أخرى

وإن وقع تباين في تسمية هذه العناصر إلا أنه لا مشاحة في الاصطلاح، لأن محتواها متقارب وبينهما تشابه ، ففي العنصر الأول وهو السماع الذي يعتبر أهم مصادر اللغة والنحو العربي، ففيه الكثير من التباينات اللغوية التي تفرز اللهجات والاختلافات على المستويات النحوية والدلالية والمعرفية، إلا أن أنيس فريحة جعل التباين بشكل أصغر وأدق على مستوى الفرد حيث يقول

[1]- تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، عبدالجليل مرتاض،دارالغرب،وهران2005 م

[2] – نفس المرجع ص12

:«لقد أثبت لنا علم اللغة أن لكل إنسان لهجته الخاصة، وأن هناك لهجات في اللغة بقدر ماهناك أفراد يتكلمون هذه اللغة .»[1]

وأما العنصر الثاني فهو الأطلس اللغوي والتموقعات الجغرافية إذا ما أخذنا في رسمها حسب التوزيع الجغرافي لكل قبيلة، فإننا نتحصل على لهجة على حسب كل موقع بل إن العامل الجغرافي كان الفاصل في التراكيب (السانتكسية) [2].بينما عند أنيس فريحة جعل التشتت العرقي للقبائل ويعني خارطة الحدود بين تراب كل قبيلة ذلك أن القبيلة أو« المجتمع إذا انحل إلى مجتمعات بسبب ضعف الروابط التي كانت تربطه سابقا، أو بسبب فقدانها فإن المجرى يميل إلى تشعب وانقسام، وعندها تظهر الفروقات اللغوية بسرعة ووضوح» [3]

وأما العنصر الثالث الذي يتمثل في عيوب صوتية تارة وعوائق صوتية أخرى، ما هو متناثر في مدونات الشعر القديم" [4] أي لغة كل قبيلة، لكن أنس فريحة يرجع إلى الاحتكاك اللغوي حيث:« عندما تدخل لغة جديدة إلى بقعة جغرافية جديدة فإنها لا تدخل إلى فراغ لغوي، يجب أن يكون هناك قوم وأقوام يتكلمون لغات مختلفة، وفي هذه الحالة يحدث واحد من أمرين :إما أن تتغلب لغة الفاتح فتحتل المرتبة الأولى فتصبح لغة البلاد الرسمية، وإما أن تتغلب لغة المغلوبين بفضل تقدمهم في الحضارة أو بسبب قلة أفراد الجماعة العسكرية المجتاحة، وفي الحالتين يطرأ تغيير في اللغتين سواء أقامت الأولى أم انتصرت الثانية » [5]

[1] - نفس المرجع ص

[2] – اللسانيات ص 28.

[3] - اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة ص88

[4] – اللسانيات الجغرافية، عبدالجليل مرتاض ص 59.

[5] - اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة ص89

ومن هنا يتبين لنا موقف آخر يكشفه **عبد الجليل مرتاض** في استقصاء بعض الأقاويل والنظريات لدى الدارسين العرب القدامى في علم اللهجات، وكأنه يشير إلى صراع قائم في بطون أمهات الكتب، وهو العصبية القبلية والسياسية على غرار ما كان معروفا عند القراء-حتى في زمن عثمان رضي الله عنه- بحيث أن بعض اللغويين العرب القدماء كانوا أكثر نزعة إلى تكلمات أخرى ويظهر أن ذلك كان يرجع عند هؤلاء إلى عامل ذاتي بتفضيل منطقة لهجية على أخرى، «بل إن ظهور الخلاف اللهجي على مستوى منطقة واحدة مثل قراءة ابن كثير قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجئون لأمر الله﴾[1] وهو مكي، فالأصل أن يقرأ بالتسهيل وهي لغة قريش ولكنه قرأ ذلك بالتحقيق، وهي لهجة المناطق الأخرى مثل تميم وقيس وأسد.»[2]، وهي من القبائل التي سبق القول بأنها أكثر القبائل قبولا في أخذ اللغة عنها .

[1] – الآية 106 سورة التوبة

[2] – اللسانيات الجغرافية، عبد الجليل مرتاض ص 61.

الفصل الثاني

مباحث لسانية عند عبد الجليل مرتاض (بعد وضع النحو)

المبحث الأول:حول التأثير اليوناني على النحو العربي (في القديم)

المطلب الأول:مفهوم مصطلح النحو عند العرب واليونان

المطلب الثاني:اهتداء العرب إلى المصطلحات النحوية

المطلب الثالث:مقارنة بين النحو العربي والأرسطي

المبحث الثاني:مباحث الفكر اللساني (الحديث)

المطلب الأول:الفضاء الدياكتولوجي وعالمية اللغةالعربية

المطلب الثاني:بقاء اللغة في استعمالها

المطلب الثالث:اللغة المكتوبة والشفوية

المبحث الثالث:آثار لسانية لعبد الجليل مرتاض

المطلب الأول: في البنيوية

المطلب الثاني: في لسانيات النص

المطلب الثالث: في الوظيفية

المبحث الأول:

حول التأثير اليوناني على النحو العربي (في القديم)

المطلب الأول:مفهوم مصطلح النحو عند العرب واليونان

المطلب الثاني:اهتداء العرب إلى المصطلحات النحوية

المطلب الثالث:مقارنة بين النحو العربي والأرسطي

المبحث الأول:حول التأثير اليوناني على النحو العربي (في القديم)

المطلب الأول:مفهوم مصطلح النحو عند العرب واليونان

إن مسألة تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي يحتاج إلى وقفة، وعقد مقارنة بين المنطق الأرسطي والمنطق النحوي العربي؛ وإذا كان بعضٌ من عناصر النحو العربي مأخوذ من تراث اليونان، فهل تأثر بالمنطق الأرسطي؟ وهل أثر تراث اليونان في اللسانيات العربية؟ على غرار تأثيره في فلسفات وعقائد وجدت بعد حركة الترجمة أوفي مذاهب الفرق الإسلامية؟ وللخوض في مبحث النحو العربي والنحو اليوناني، و إيجاد عناصر الالتقاء بينهما يجدر بنا الانطلاق من المصطلح نفسه أو مصطلح "النحو".يقول **عبدالجليل مرتاض:** «وعلى هذا فإن كلمة "النحو" بمعناها الاصطلاحي كلمة عربية وتقرب جدا من كلمة "السلوك" الذي هو Grammatikفي أوربة بصورة Grammaireفي الفرنسية، ولكن هذا الاقتراب في المعنى الاصطلاحي لأن أية لغة تخضع لهذا السلوك فينحوها الذي تقاس عليه، ولأن طبيعة تقسيم أي لغة خاضع بطبيعة إلى هذه التقسيمات المتشابهة في اللغة الإنسانية، فكل لغة حيث متطورة فيها اسم و فعل وحرف.»[1]

إن هذا النص يكشف لنا الطابع الذهني للمصطلح، فهو ترجمة متواضعة بما يطلقه الذهن على أية دراسة لسانية للغة ما، «ولأن المفاهيم الأساسية التي اتخذها المناطقة بنيت على اللغات الصورية

[1] – الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، عبدالجليل مرتاض، ص116.

بينما يمكن للسانيات الخالصة أن تنبثق من تحليل داخلي للغات الطبيعية .»[1]والأمر لا يقتصر على هذا التقسيم الذهني فقط، وإنما حتى الاصطلاح المتواضع عليه عندك للغة –كما أشار **عبد الجليل مرتاض** في كلامه السابق– أن كلمةGrammatikعموما في اللغة اللاتينية ثم في اللغات الوارثة لها كالفرنسية، و الإيطالية، والإسبانية، والرومانية ،والبرتغالية، والانكليزية، كلها تشير إلى نفس الاصطلاح بنفس اللفظ تقريبا، «ومن الناحية التاريخية والاشتقاقية لم تكن كلمة Grammatik تعني في البداية أكثر من فهم الحروف، وإن كثيرا من القضايا التي تندرج ضمن علم اللغة كانت تناقش ضمن المسائل الفلسفية، وعليه لا يمكن الفصل في هذه المرحلة التاريخية من البحث اللغوي بين الدراسة النحوية والصرفية للغة والدراسة الفلسفية لها. »[2] وإذا ما أردنا أن نتحقق من ذلك فينبغي علينا أن نكشف فعلا ما هي معاني السلوك والنحو في اللغة العربية، فنجد جليا أن ابن جني عندما عرّف النحو أنه :«انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها»[3]، ولكن معظم الناقلين لهذا التعريف عنه يقفون عند هذا، ولكن ابن جني يضيف شيئا مثيرا، فهو يقول في –تمام التعريف– :«وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحو تنحوا كقولك :قصدت قصدا، ثمّ خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم.»[4] إذ هو يشير إلى التواضع الذي اصطلح على هذا العلم، فكان من

[1] – الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، جاكبسون ص54.

[2] – الفلسفة واللغة (نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة)، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى 2005، ص 11

[3] – الخصائص،لأبي الفتح عثمان بن جني،ج1، ص88

[4] - نفس المرجع ص88

الممكن الاصطلاح عليه اسم :المسلك، أو المنهج، أو القصد مثلما سمي بالنحو كما ذكر ابن جني أنه مصدر من نحا نحوا، وذلك من قصة علي ابن أبي طالب في قوله لأبي الأسود-كما تناقلته كتب التراجم والتاريخ- قال الحموي: « وحدث آخرون في سبب وضع النحو أن أبا الأسود دخل على علي، فوجد في يده رقعة، قال أبو الأسود: فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال :إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم، فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه ثم ألقى إلي الرقعة، وفيها مكتوب :الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبيء به، والحرف جاء لمعنى، وقال لي :اُنْحُ هذا النحو، وأضِف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة :ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر-أراد بذلك الاسم المبهم، قال أبو الأسود: فكان ما وقع إلي إن وأخواتها، خلا لكن، فلما عرضتها على علي- عليه السلام- قال لي:وأين لكن؟ فقلت :ما حسبتها منه، فقال :هي منها، فألحقتها، ثم قال :ما أحسن هذا النحو الذي نحوته، فلذلك سمي نحوا .»[1] فكان من الممكن أن يقول له اسلك، أو انهج، أو اقصد، فيسمى حينها علم المسلك، أو المنهج، أو المقصد من خلال اشتقاق الاسم من فعل الأمر، كاشتقاق اسم النحو من فعله "انح" فهي معاني توضع لما أشيرت له. [2]

[1]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب، الطبعة الأولى، ج 4، ص 1467

[2]-ينظر الفسيح في ميلاد اللسانيات، عبد الجليل مرتاض ص13

المطلب الثاني:اهتداء العرب إلى المصطلحات النحوية

في معرض الكلام عن النحو و مصطلحاته، أثار **عبدالجليل مرتاض** إشكالا لا يطرحه عدد من النقاد والذين يشككون في وضع النحو العربي: «كيف اهتدى علماء اللسان إلى هذه الألوف من المصطلحات اللسانية في ظرف لم يتجاوز القرن من الزمن؟ ما هذه الثروة اللسانية الهائلة المشتقة لكما من لغة شفهية بدوية لم يسبق لها أن صيغت في فلسفة و لا علم، بل لم يسبق أن رسمت في مجال إلا نُتفا من النقوش الحجرية البدائية المعزولة هنا و هناك؟[1]

وهذه الإشكالية ينبغي معالجتها من كتب التراث، التي نقلت لنا هذه الأخبار ونتفا من أقوال القدماء، وغررا من جمل تعبيراتهم، وهي التي تدل حقيقة على أن النحو العربي من العربية بذاتها، لأن من خصائصها آليات تجعل منها لغة ولود، وهي لغة تعبر بنفسها عن نفسها، ولا أدل على ذلك مما نجده في كتب اللغة مما يشار إليه وهومن قواعد اللغة: "النحت" و"الاشتقاق"، وتعتبر هذه الصورة النمطية في اللغة العربية، وهي التوليد البنيوي الذي يزيد في نمائها، ولا يكون إلا بضوابط وضعها علماء العربية في مباحث الصرف الذي الحق بالإعراب وسمي بالنحو . فالنحت والاشتقاق متقاربان في ذلك من حيث دلالتهما على نمو الألفاظ «إلاّ أن الاشتقاق أدل على الحيوية وأشبه بطريقة توالد الأحياء في زيادتها ونموها، بخلاف النحت فطريقته أشبه بطريقة الجوامد في زيادتها، ونموها عن طريق اللصق والإضافة»[2] وقد عمل عبد الجليل مرتاض كتابا أسماه" التهيئة اللغوية

[1]–نفس المرجع ص؟

[2]- فقه اللغة، محمد مبارك، دار الفكر، بيروت، 1426هـ-2005م، ص112

للنحت في العربية"، ومما ذكره قوله: «مما راعى انتباهنا، ونحن نبحث في ظهور مصطلح النحت في علوم اللغة العربية أن هذا المصطلح لم يتواجد صراحة بهذا الاسم لدى النحاة المتقدمين»[1] فمثلا « الاشتقاق الصغير الذي هو أكثر الأنواع ورودا في اللغة العربية في دلالته الوضعية توليد بعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد.»[2]، بل إن ابن فارس ذهب إلى أبعد من ذلك أن: «سائر كلام العرب على هذا-أي الاشتقاق- عَلِمه من عَلِمه وجَهِله من جَهِله»[3] ،وإذا أحلنا مثالا على ذلك تبين المُراد، وأدركنا البُغية وبلغنا الحجة في أن مصطلحات النحو العربي مشتقة من قواعد لغته على لغتها والمثال الذي بين أيدينا النص المتداول ويستفيض شهرة في كتب اللغة، يكاد يبلغ مبلغ التواتر تلك القصة عن أبي الأسود الدؤلي ت69 هـــ أنه جاء إلى زياد بن أبيه ملتمسا أن يَبْغِيَه كاتبا حصيفا به فقال له أبو الأسود: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فاجعل نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فاجعل نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك فاجعل النقطة نقطتين»[4]، وهذا النص كما يضيف **عبد الجليل مرتاض** يبين لنا أن الدرس النحوي العربي «انطلق في سيرته الأولى من منطلق صورة صوتية سمعية فيزيائيا ودلاليا»[5]، وقد كان الاهتمام بالنحو في بدء أمره يطلق على تغيير أواخر الكلم، وكان اللحن يطلق على

[1]- التهيئة اللغوية للنحت في العربية، عبد الجليل مرتاض، دار هومه، طبعة2006، ص05

[2]- صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعةالعاشرة1983م

[3]-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق احمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418هـــ-1998م ص36

[4]- ينظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، الطبعة الأولى1993م، ج4، ص 1466.

[5]-في رحاب اللغة العربية، عبدالجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعةالأولى2007،ص04.

نصب ماحقه الرفع أو الخفض، أو خفض ماحقه النصب والرفع، وهلم جرّا، وقصة أبي الأسود التي تروى عن ابنته فلحنت "ما أحسنُ السماء "، أو "ما أشدُّ الحر" -على اختلاف الروايات في ذلك- بالضمّ، فلا يهم ذلك[1] وإنما صوب لها لحنها على الفتح، مع أن سبب وضع أبي الأسود يختلف في رواياته، بل يرفع ذلك إلى علي بن أبي طالب، فهذا ما يدل على أن هذه الفترة كانت فترة تقصي اللحن وتصويبه مع بدء ظهوره، والمسارعة في تصحيحه وتصويبه، كما أنها فترة —مع فترة الأمويين- كان أولوا الأمر هم أكثر الناس التزاما بالفصاحة وحفظا للغة، وكان اللحن عند بعض الموالي ومن دخل الإسلام حديثا، ومع سقوط الدولة الأمويةسنة132هـ، وتوسع الدولة العباسية وكثرة الوافدين على الإسلام من الأعاجم واختلاطهم بالعرب ازداد اللحن، وازدادت معه المباحث اللسانية في اللغة العربية خاصة النحوية، ولم يقتصر الأمر على التصويب في الإعراب في أواخر الكلم، بل زاد الأمر في البحث في التصريف و أبنية الكلم، وهذا ما يؤشر على أن وضع النحو العربي نابع من بيئته ودعوى تأثره بالنحو اليوناني(الأرسطي) له ما ينقضه، وهو رأي **عبدالجليل مرتاض**، وقد وجد من كُتّاب العربية من قال بتأثيره مثل شوقي ضيف فإنه قال :«وبذلك نفهم السر في أن عقل البصرة كان أدق وأعمق من عقل الكوفة وكان أكثر استعدادا لوضع العلوم، إذ سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني وما وضعه أرسطوطاليس من المنطق وحدود أقيسته»[2] والمبحث الآتي يثبت نقيض ذلك.

[1]-إنباه الرواة على أنباء النحاة،جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الأولى1406هـ/1986م، ج1-ص51

[2]-المدارس النحوية، شوقي ضيف، دارالمعارف، مصر، الطبعة الثانية، د ت ط، ص21

المطلب الثالث:مقارنة بين النحو العربي والأرسطي

لعل ما أغرى الجموع الذين قالوا بتأثير التراث اليوناني وبالأخص المنطق الأرسطي على النحو العربي هو التسلسل الزمني والتعاقب الحضاري لكل من اليونانية ثم العربية، «وكذا الآراء الأوروبية المسبقة التي ترى في اليونان مصدرك لتجديد علمي في العصور الوسطى» [1]ثم وجودكمٍّ منا لمصطلحات في كل من العلوم المنطقية والنحو اليوناني وفي النحو العربي، «ومردّه كما يرى حسن حنفي أن منهج الأثر و التأثر يرجع إلى نشأة المستشرق في بيئة أوربية تخضع ثقافتها للأثر والتأثر، فقد نشأت الحضارة الأوربية ابتداء بالبحث اليوناني في أوائل عصر النهضة وإحياء التراث العقلي القديم لإنقاذها من قطيعة اللاهوت وسلطان الكنيسة، فظن المستشرق بطاقاته الثقافية وتكوينه الفكري أن اليونان هم مصدر كل حضارة وأن الحضارة اليونانية هي السحر الذي يسري في كل حضارة تتصل به»[2] و يعقد **عبدالجليل مرتاض** مبحثا يقارن فيه بين النحو العربي والأرسطي، وجعل ثلاث مفارقات بينهما.

الأولى وصفية: تتعلق ببنية اللغة، وهي أن اللغة العربية من حيث الاستقراء تنقسم إلى ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف، وهي مكونات يرتكز عليها النحو العربي، والعلاقات القائمة بينها هي محور العلاقات النحوية التي جاءت في أبواب النحو من فاعل ومفعول والظرف والتمييز وغيرها، وهذا التقسيم الثلاثي للنحو العربي «يشبه ما ذهب إليه مارثون MARTHONفي المنطق الأرسطوطاليسي إذ أنّ أرسطو لم يخص –هو أيضا– في الكلام إلى ثلاثة اقسام وهي:

[1] –النحو بين العرب واليونان، إبراهيم خليفة شعلان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1/1429هـ–2009م،ص58

[2] -الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين، عباس أرحيلة، منشورات كليةالآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،اط1،1419هـ/1999م، ص67

Rhème ,Sundesmos ,Onama وربما هذا الذي أغرى الكثير وخاصة الغربيين بدعوى تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو.»[1]، وهذا التقارب في القسمة العقلية تمليه الخاصية اللغوية في تكونه من أسماء وأحداث(أفعال) ورباط بينها، وربما تغاير ذلك عند العرب واليونان من الناحية الدلالية والوظيفية، واشتبها في التسمية والاصطلاح، وهو من باب التوافق العقلي، لكن من الناحية البنيوية يوجد فارق بين اللغة العربية واليونانية، «حيث أن العربية–من المسلم به عند علماء الاستشراق – قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداته وقواعدها، وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى، ويرجع السبب في هذا إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين، وبقائها في منطقة مستقلة منعزلة، فقلّت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى، و لم تذلل لها سبل كثيرة للبعد عن أصلها القديم»[2]، ويرى بنفنيست أن أرسطو قد استفاد كثيرا من دراسة اللغة اليونانية، لأن تحليل المقولات الأرسطية مستوحى من البنية الخاصة باللغة اليونانية، ولكن أرسطو لم يوظف كل ما هو موجود في اللغة اليونانية، وإنما انتقى بعض الجوانب لأغراض خاصة، لأن ما كان يشغل فكر أرسطو ليس النحو، وإنما المعايير المنطقية والأنطوبولوجية، بالرغم من وجود فكرة كانت متداولة في تاريخ الفلسفة والمنطق على سواء، وهي أنه مادامت مقولات أرسطو مقولات اللغة اليونانية وأن مقولات الفكر هي مقولات اللغة فإنه بالنتيجة ستكون خاصة باليونان فقط[3]. و المنطق كُتب بلغة اليونان ومباحثه فكرية -كما سيأتي-وليست لغوية «وهو أداة صناعية لحسن توجيه عقلنا عند معرفة الأشياء تعلق الأمر بتعليمه لأنفسنا أو بتعليمه الآخرين، وتقوم هذه الأداة الصناعية في النظر

– القياس في النحو العربي، من إلياس، دار الفكر، دمشق، الطبعةالأولى1405هـ–1985م ص122

[2]–فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر،القاهرة،الطبعة السابعة،د ت ط، ص168.

[3] - ينظر الفلسفة واللغة (نقد"المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة)، الزواوي بغورة، ص25.

والتأمل الذي يمارسه الإنسان حين جرّد العمليات الأربع الأساسية للفكر وهي: التصور، والحكم، والاستدلال،والترتيب، وجميع هذه العمليات الأربع قد تتسم على نحو طبيعي، وقد تتسم أحيانا حتى من لدن أولئك الذين لم يتعلموا أي قاعدة من قواعد المنطق على نحو أفضل مما يقوم بها أولئك الذين تعلموها»[1]

الثانية منهجية: وتتعلق بالعلة والقياس، ولعل ذلك مرجعه إلى الثقافة الإسلامية المؤثرة في اللغة العربية، فالقياس هو روح اللغة العربية وأساس توسعها حتى قال ابن فارس: «أجمع أهل اللغة –إلا من شذّ عنهم– أن للغة العرب، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض.»[2] فعلماء العربية استنبطوا قواعد النحو باستعمال الاستقراء في فحص الكلام العربي، وأجروا على منواله الكثير من القواعد التي تتناسب مع بنيته، فالقاعدة تطرد وفق ما تقتضيه صياغة الكلام العربي، «وليس بمستطاع المتحدث باللغة أن يضع لفظا لكل غرض، أو تركيبا لكل حديث، وإذا كان هذا شأن اللغات فإن لغتنا العربية بلغت الذروة في دقتها، وتناسقها ووضوح طرق استعمالها، فأمام المتحدث لها منهج مرسوم يسير وفقه في توليد الألفاظ من المواد اللغوية وقواعد ونظم موروثة في استعمالها وتراكيبها، فليس عليه إلا أن يسمع ما يقوله العربي ويسير على منواله، وهذا هو **القياس** الذي يؤدي إلى الاقتصاد في المجهود الذي يجنب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد ويحفظ للغة قواعدها وينمي ألفاظها»[3]، أضف إلى ذلك إن المنطق وإن احتوى على القياس فشكله مغاير للقياس اللغوي عند العرب، فالكلام العربي يحتاج إلى مقدمة واحدة ليتوسع ويعلم المخاطب، بينما القياس عند

[1]– المنطق أو فن توجيه الفكر،أنطوان أرنولد،و بييرنيكول، ترجمة عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، الطبعة الأولى2007م، ص31

[2]–الصاحبي في فقه اللغة،لابن فارس ص35

[3]– القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، عبدالغفار حامد هلال، دار الصحوة، القاهرة،ط1431/1هـ–2010م، ص73

المناطقة لا يكون إلا عن مقدمتين إحداهما تلزم الأخرى حتى تكون النتيجة.[1] بحيث تكون الملازمة في هذين المقدمتين مع الحتمية في النتيجة تؤدي اليقين الذي لا مناص عنه، وهذا الانتاج والتحصيل الذي أبهر المتأثرين بالمنطق الأرسطي، ولعله المَطَبّ الذي وقعوا فيه وأدخلوه في النحو العربي في الأزمنة المتأخرة، حتى صار عندنا نحن في هذه الأزمنة نعتقد حصوله مع ولادة النحو، « والشواهد المختلفة تدل على أن العرب قد خالفوا المنطق الأرسطي ورفضوه وأنشأوا منهجا خاصا بالبحث لا يبتعد كثيرا عما يسمى الآن بالمنهج التجريبي.»[2] فالمنهج العربي في استخلاص قواعد النحو كان في تأثيره نابعا من تأثر علماء العربية بالفقه الإسلامي، على أننا نجد من الفقهاء من نبغوا في العربية والنحو، فكانت الصلة وطيدة بينهما، ولا ينبغي الاعتقاد بما سابق لأوانه من تأثرهم بفلسفة اليونان، ولّما لم يلجوا إلى لغتهم إلا في الزمن المتأخر، « وهذه الكارثة التي نزلت بنا ابتداء من القرن الرابع والخامس(الهجري) وهي أن السلوجوسموس-وهو استنتاج والاستقراء وكلاهما مقابل الأنالوجيا*- بدون إجهاد الفكر غالبا وبسبب الوضوح أيضا الذي تتصف به الحدود مع اعتقاد الفلاسفة العرب والذين تأثروا بهم أن القياس العربي والفقهي خاصة لا ينتج هذا اليقين المتبادر بسهولة إلى ذهن العوام من الناس والقليلي الفهم للقياس العربي. »[3]

وأما العلة، فهي «في الجملة صنفان : علة تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم، وعلة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم، وهم للأولى أكثر

[1]-ينظر نقد النثر،قدامة بن جعفر،دار الكتب العلمية،بيروت،1416هـ/1995م ص19 فما بعدها.

[2]- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضةالعربية، د ت ط، ص174

[3]- منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر 2012، ص354

استعمالا وأشد تداولا»[1] وقد ذكر الزجاجي أنواع العلل: التعليمية والقياسية والجدلية[2] والأخيرة التي يراها **عبدالجليل مرتاض** لم تعد تجدي نفعا أما الأخرى فهي عربية إسلامية، لأن العلة هي أحد أركان القياس، والحكم يدور معها وجودا وعدما، والعلة عند المتكلمين توسع في المفاهيم ، بينما عند الدارسين العرب تنحصر في كلام العر وعلى ذلك فالقياس هو على حساب البنى اللفظية لا العقلية، ولذلك ذكر ابن جني أن علل النحويين أقرب منها إلى الفقهاء دون المتكلمين .

الثالثة: غائية وهي أن أرسطو لم يدرس اللغة للغة، بل درس اللغة للفكر ولذلك فدراسته لبعض الظواهر اللغوية لم تكن إطلاقا ذات بنية ولا علاقة بالبحوث اللغوية[3]، وقسم الكلام في غير واحدمن كتبه (العبارة، الطوبيقا–وتعني باليونانية الجدل[4]- الشعر، الخطابة) تقسيما يتماشى مع خصائص اللغة اليونانية، ونجد هذا التقسيم أكثر شمولا في كتابه الشعر الذي لخصه أبو الوليد ابن رشد تلخيصا حسنا، حيث يشير أرسطو إلى أن الأقاويل التي ينحل إليها كل كلام شعري سبعة أصناف: المقطع، الرباط، الفاصلة، الاسم، الكلمة، التعريف، القول[5].

وانطلاقا من عنصر الفكر، فإن **عبد الجليل مرتاض** يرى أنه و اللغة متزاوجان وعليه ينبغي التفريق بين اللغة ذات الاستعمال الواسع، وبين اللغة الأم (لغة مسقط الرأس) فهي التي تعبر عن مكامن الشخص: «لأن تجريد الشخص من لغته الطبيعة لا يعني إلا محاولة فاشلة لتجريده من فكره، أي

---

[1]- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص48

[2]- ينظر الإضاح في علل النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثانية، 1399هـ- 1979م، ص67

[3]- في رحاب العربية، عبدالجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر2007ص16.

[4] -تاريخ الفلسفة اليونانية، كرم يوسف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى1430هـ/2009م

[5] - في رحاب العربية،عبدالجليل مرتاض ص17.

* مأخوذ من شرح نفس المؤلف، عن منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص304

محاولة القضاء على وجوده، لأن الفكر اللغوي عمل غريزي من خلال لغة الأمومة أو لغة مسقط رأسه على بلورة كل المعطيات والمفاهيم مجردة أو مجسدة، حسب الحالات المتصلة بالعادات اللغوية، في لحظة لا واعية.»[1].

من هذا النص نرى **عبدالجليل مرتاض** وهو يطرح نظرية لغة الأمومة، يريد بذلك أن الإنتاج اللساني العربي ما هو إلا نتاج للفكر العربي الخالص وما أخذته اللسانيات العربية عن اليونانية، فهومن اللاحق الذي أثره الفكر اليوناني على الفكر العربي عند بعض الفلاسفة العرب من أمثال الفارابي وابن سينا، وهومن قبيل اللغو اللساني في هذه المصطلحات الأرسطية المترجمة في فترة لاحقة إلى العربية، «فالنحو العربي في عصوره المتلاحقة قد انفتح على المدارس الأخرى، ولكنه لم ينسلخ عن أصوله القديمة، بل ظل استمرارا لها»[2]، وهي لم تضف شيئا جوهريا إلى المصطلح اللساني العربي، «بل الانقطاع الذي حدث في فجر النهضة الأوربية هو السبب الذي جعل القول بفكرة تأثر العرب بالفكر اليوناني، ولذا أمكننا أن نقرّر افتراضا أن أهل الغرب لو انتبهوا لنظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ماهي عليه اليوم، بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما قد لا تدركه إلا بعد أمد»[3]

[1] – نفس المرجع،ص35.

[2]-المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، إسماعيل أحمد عمايرة ص 64

[3]-مباحث تأسيسية في اللسانيات، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط2010/2م ،ص31

المبحث الثاني: مباحث الفكر اللساني (الحديث)

المطلب الأول: الفضاء الدياكتولوجي وعالمية اللغةالعربية

المطلب الثاني:بقاء اللغة في استعمالها

المطلب الثالث:اللغة المكتوبة والشفوية

المبحث الثاني: مباحث الفكر اللساني (الحديث)

لاشك أن اللغة و الفكر مرتبطان، ومباحثهما فيا لفلسفة والفكر أو بالأحرى في الفكر اللغوي بما يسمى علم اللسانيات الحديثة لها مجال واسع، واللغة العربية ليست بمنأى عن هذه الدراسات، ولذلك أفرد **عبدالجليل مرتاض** لها كتابان مستقلان هما: "مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني"، وكتاب :"اللغة والتواصل (اقترابات لسانية وإشكالات التواصل للتواصليين الشفوي والكتابي) فهو بذلك أقحم نفسه في ميدان الفكر اللغوي، وحلل وانتقد ووافق واعترض، وخاض ذلك انطلاقا من تراث اللغة العربية، ويرى النقص في التفرط في الدراسات العربية، وينتقض على ذلك قائلا: «ينجم عن هذا الفضاء الديالكتولوجي Dialectologie في العالم العربي لم يكن ثريا ولا مؤسسا على قاعدة لسانية علمية تفرق بين ما هو مخبري، وبينما هو عاطفي أو جهوي حتى أصبح الخوض اليوم في هذا الموضوع أقرب في مفهوم البعض إلى إشكالية سياسية منه إلى إشكالية لغوية واقعية وطبيعية في الآن ذاته مما جعل أجانب هذا الغطاء يلاحظون هذا الفراغ الهائل في تسابق ون إلى سبره ودراسته بتعبيرهم لا بتعبيرنا عن ذواتنا حتى أنه يمكن القول بأن القراء كانوا أكثر واقعية من هذه الأنماط اللهجية من الفقلغيين (فقهاءاللغة) بأنفسهم»[1].

[1] – مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، عبدالجليل مرتاض، ص10.

المطلب الأول: الفضاء الدياكتولوجي وعالمية اللغة العربية

لم يقتصر **عبد الجليل مرتاض** على هذه الحقيقة في تاريخ اللغة العربية، أو بالأحرى في التاريخ اللساني العربي، وإنما أضفى عليها طابع العالمية المتمثل في ترجمة القرآن الكريم إلى لغات العالم، ولاشك أنه قلما ينتبه إلى هذه المحطة الكبيرة من اللغة العربية من خلال رؤية ذات ثقب في الفهم والرؤية البعيدة في دور القرآن الكريم وفضله على اللغة العربية بأن تتجاوز حدودها المكانية و الزمانية من خلال هذه الترجمة، يقول **عبد الجليل مرتاض**: «ومن هنا ندرك البعد اللساني العالمي الكلي للحديث النبوي: ﴿أنزل القرآن على سبعة أحرف﴾[1] مما سمح بترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات العالمية بما فيها تلك اللغات التي لا تتلاقى مع أرومة العربية.»[2]، وإن كان هناك اختلاف في معنى الأحرف السبعة أوصلها السيوطي إلى نحو أربعين وجها، وذكر العاشر وقال: «المراد منها أنه سبع لغات ، وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب والأزهري وآخرون، واختاره ابن عطية، وصححه البيهقي في الشُعَب، وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة، وأجيب بأن المراد أفصحُها»[3] وإلى هذا ذهب من متأخري التحقيق في العربية، فقال الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره: «ذهب جماعة أن المراد من الحرف لهجات العرب في كيفيات النطق، كالفتح والإمالة والمد والقصر والهمز والتخفيف، على معنى أن ذلك رخصة للعرب مع المحافظة على كلمات

[1] –صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى 1400هـ، ج ص339.

[2] – اللغة والتواصل، عبدالجليل مرتاض، دار هومه، الجزائر، د ت ط، ص 79.

[3]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالةناشرون،ط1 /1432هـ،2011م، ص 108

القرآن، وهذا أحسن الأجوبة لما تقدمنا-أي ما تقدم من ذكر وجوه معنى الأحرف السبعة.»[1] ، ولا يقتصر فضل القرآن فقط في توسع العربية في العالم، بمختلف لهجاتها، بل له سبق الفضل في بقاءها بتدارسه، «ونشوء بعض الاتجاهات اللغوية المعتدلة كالمذهب الكوفي، وإلا اندثر كل شكل من أشكال الكلام، ولما بقي غير مستوى واحد وهو مستوى اللغة التي تمثل الكل لا الفرد العربية»[2] شواهد **عبدالجليل مرتاض** على ذلك زوال تراكيب وسمات عربية التفت إليها من كتاب سيبويه «ونحن نعلم أكثر من خلال لغتنا العربية القديمة التي كانت تزخر بقواعد لسانية راقية لم يعد لها وجود الآن بل تلاشت منذ صدر الإسلام أو بعده بقليل فهل هناك من الكتاب والشعراء العرب المعاصرين من ينصب المصادر بعد "أما"؟ بل من يعرف هذا المستوى التركيبي في العربية القديمة، لم يقل سيبويه "أما علما فلا علم له[3]، وهل منا اليوم نحن يقولون: الترابَ لك، والعجبَ لك، ينصب التراب والعجب؟ بل ذكر إن بني تميم وناسا كثيرا من العرب ينصبونها، وهل منا اليوم من يجعل الجملة الفعلية أو الاسمية حكاية بعد القول، غير أن هذا من قواعد وأحكام أخرى أغزر من أن تحصرها.»[4]

[1]-تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للكتاب، طبع سنة2004م

[2]- العربية بين الطبع والتطبيع، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية 1993 م، ص112.

[3] – اللغة والتواصل،عبدالجليل مرتاض، ص83.

[4] – نفس المرجع، ص83.

المطلب الثاني: بقاء اللغة في استعمالها

من خلال هذه النظرة التاريخية العميقة العربية يثير **عبد الجليل مرتاض** مسألة في اللغة وربما عدها قاعدة نظرية في بقاء اللغة، ألا وهي أن اللغة لا تتحقق كمنظومة إلا باستعمالها ذلك لأن الاستعمال هو الذي يطيل عمر اللغة، وإنما وصلنا ما وصلنا من تراث العربية بما تحقق من استعمالها، أما أن تبقى حبيسة الكتب، فهي أشبه ما تكون بتلك الملفات الإدارية حبيسة الأدراج تنتظر من يخرجها من عالم الأرشيف إلى عالم الخدمة الفعلية، ونستلهم هذا من كلام **عبد الجليل مرتاض**: «والوجود اللغوي متى قاطعة الاستعمال أصبح عرضة للتلف والإهمال، ولاسيما بالنسبة لمجتمع بدوي يغلب عليه التواصل الشفوي المطلق والاكتساب اللغوي على السماع والتجربة المتكررة والعادات البلدية والشعبية في الاتصالات والخطاب، إن اللغة تحيا بالاستعمال لا بالدماغ الذي هو جهاز تكلف بهذا الاستعمال.»[1] فيبرز من هذا القول الذي هو تنظير لفكر لساني أن يلفت اهتمامنا أمران هما التواصل، واللغة الشفوية، فمن أفضل ما يمكن أن يكون من عوامل استمرار اللغة هما ركنا الاستعمال الذي أشار إليه **عبد الجليل مرتاض**: «والحقيقة التاريخية التي لا تغيب عن أذهاننا أن سبب ضعف العربية أو غيابها في الساحة العالمية، أصبح منذ أن أهملت من الدوائر الرسمية سيما بعد الاحتلال الاستعماري للمنطقة العربية وأصبحت لغة المستعمر هي اللغة المهيمنة »[2] وهنا كأنه يشير إلى ما ذكره ابن خلدون(ت732-808هـ)إلى القاعدة «أن المغلوب مولع

[1] –مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث،عبد الجليل مرتاض، ص65 – 66.

القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، مادة(رطن)، دار الفكر، تحقيق يوسف البقاعي

[2]- مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، عبد الجليل مرتاض، ص26

باتباع الغالب بما انتحله من العوائد والمذاهب »[1]، فالرّطانة- الكلام بالأعجمية-[2] في اللغة أصبحت سمة بارزة عند الشعوب العربية بل وربما في الدوائر الرسمية، ولا يفوتنا أن ننتبه لحقيقة تاريخية وهو اختلاط العرب باختلاطهم بالأجناس الأخرى بعد زمن الفتوحات ربما كان عاملا لذهاب بعض خصائص العربية، كما أشرنا إلى ذلك في القول الذي استدل به **عبد الجليل مرتاض** من كلام سيبويه، وقد قدمنا الكلام على اللحن ودوره في وضع قواعد اللغة، لكن ينبغي التنويه على أن سلف الأمة كانوا أحرص على اللغة على مَن خلفهم، حيث وضعوا القواعد اللسانية لها دون الحؤول باندثارها ولعل الكلام في هذا تقدم من **عبد الجليل مرتاض** في قوله: «الذي جعل السانتكسيين العرب الأولين يختصرون الزمن بفضل الإدراك العلمي السريع الذي كان يطبع الفضاء العربي الإسلامي في كل الميادين خلال تلك الفترة الروحية المبكرة، لأن التراكيب العربية الشفوية السليقية محكمة في نسجها»[3].

ويصف **عبدالجليل مرتاض** القائمين على هذه الفترة بالبساطة اللسانية القائمة على رد فعل طبيعي منهم، ولكنه كان فعالا: «فإن الذهنية العربية لهذه الفترة لكانت تتميز بعادة عضوية قائمة على التقليد، لكنه تقليد فاعل، وليس تقليدا متحجرا.»[4] وقد أوضح أن هذه العضوية والتقليد في وصف اللسانيين العرب يرجع إلى ذات اللغة، حيث وصفها من خلال السانتكس العربي القديم إذ أنها تجسد الفكر اللغوي الذي كان يمثل القاعدة اللسانية عند الرواد العرب من أمثال: عيسى بن عمر،

[1]- المقدمة، ولي الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق،ط1، 1425 هـ/2004م، ص283

[2]- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، مادة(رطن)، دار الفكر، تحقيق يوسف البقاعي

[3] – مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، عبد الجليل مرتاض ، ص26.

[4] – نفس المرجع، ص17.

ويونس بن حبيب وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم أنه متماسك ومترابط قبل التدوين، فصار الأمر فيه بعد ذلك في أخذ ورد وتطويل وتقعيد وتحليل وتدليل، وهو ما نص عليه **عبد الجليل مرتاض** بقوله: «وبالنسبة للغة العربية يمكن القول بأنه أكثر ترابطا بالنسبة لكل منها قبل عصر التدوين منها ما بعده، وإنما الصراع احتدم بين هاذين الأمرين بعد إخضاعها إلى عملية الجمع والتدوين، واستحداث مصطلحات لسانية لا قبل ألسنية اللغة فيها من ذي قبل للتعبير عن أجزاء وعناصر الكلام فيها، ولذلك حين دخل أعرابي سحب البصرة، وطاف بحلقاتها العلمية فيا لعلوم اللسانية انصرف عنها قائلا:*

مازال أخذهم في النحو يعجبني *** حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

حتى سمعت كلاما لست أعرفه *** كأنه زجل الغربـــــان والبوم

رفضت نحوهم والله يعصمني *** من التفحم في تلك الجراثيم» [1]

* وقد روى أهل التراجم أبو الطيب اللغوي والزبيدي والسيوطي هذه الواقعة في ترجمة معاذ بن مسلم الهرّاء، وصاحب هذه المقولة أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان فأجابه الهرّاء بقوله:

عالجتَهـــــا أمردَ حتّى *** بتّ و لم تحسنُ أباجادها

سمّيت من يعرِفها جاهلا *** يُصدرها من بعد إيرادها

سهّل منها كل مستصعب *** طودٌ علا أقران أطوادها

ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ج2، ص 291

[1]–اللغة والتواصل، عبد الجليل مرتاض، ص24

أسس التفكير اللساني عند العرب القدماء: ونعود إلى الكلام عن الفكر اللغوي عند الرواد العرب وتعاملهم مع العربية، فإن **عبد الجليل مرتاض** يرى الدرس اللساني عند العرب كان قائما على فكر مؤسس- وإن كان طابعها العفوية-فليس يعني تلك العشوائية والتلقائية في العربية.

ونلخص عناصر هذا الفكر في النقاط الآتية:

1- التعامل مع اللغة على أساس إدراك حسي والملكة اللغوية المتبادلة بين المتكلم والمتلقي، فيه إعلام لساني تتوفر فيه شروط الدراسة اللسانية على المستويات: المورفولوجي، والصوتي، والسانتكسي، والمعجمي...الخ.

2 – التعامل مع الرسالة الإعلامية الملتقطة (سماع، رواية) على أساس لغة language وليس كلام (parole)، ومنظومة لغوية، ويعتبر المطروح منها بمثابة الانزياح وتارة الشعرية تارة أخرى.

3 – التراتيب الملتقطة فضاءات من القواعد المحددة.

4 –الوجوه الإعرابية من الرفع تارة والنصب تارة في بعض الكلمات كانت تؤدي نفس الوظيفة السانتكسية، والأمثلة كثيرة في الشواهد الإعرابية والقرآنية، وهي تدل على التوسع أو بالأحرى العمق في البنية اللغوية.

5 –التعامل مع السانتكس العربي على أنه تركيب تعليمي غير متناه أي أن القياس الذي هو أساس السانتكس العربي إنما هو وجه توليدي بالصورة اللسانية الحديثة.

6 –انتقال العربية بعد هذه التعاملات مع السانتكس العربي جعلت منها لغة عفوية إلى لغة ذات منظومة محددة القواعد ذات توجه رسمي في التأليف والإلقاء حتى عند العرب أنفسهم، أي أنها أصبحت فنا يمارس.»[1]

إن هذه النقاط التي ذكرها **عبد الجليل مرتاض** ويراها مرتكزات الفكر اللساني العربي القديم هو نفسه ما تذهب إليه المذاهب اللسانية الحديثة –التي أعطاها مصطلح اللسانيات الجانبية– فإن القدامى كانوا يتعاملون مع اللغة وفق مواقف عقلانية وعلمية، لأنها كانت منظومة شفوية ثم أصبحت مكتوبة، إلا أنها كانت تقعّد، ولذا فإن هذه المرحلة تعتبر بحق المرحلة الحاسمة في تاريخ اللغة العربية على أساس انتقالها من لغة ملتقطة (شفوية) إلى لغة قابلة للدراسة كما عبر عن ذلك سوسير. و لا أدل على ذلك من أن النحو العربي يتعامل مع المادة اللغوية كلية، أي ينظر إلى الجملة ودورها في بناء النص من خلال دلالتها مع بعض الوحدات اللغوية التي كانت تؤدي وظيفة ما في النص أو الجملة، بينما الدرس اللساني الحديث يتعامل مع كل وحدة وظيفتها، وتبرير **عبد الجليل مرتاض** ذلك هو أن« الدرس اللغوي القديم عند العرب كانت عنايته مركزة على التركيب في ذاته أزيد ما انصبت جهوده على التحليل كان يسبق البناء من خلال التعامل مع المعطيات اللغوية الجاهزة سلفا، وأعني بها الخطاب الشفوي على وجه الخصوص»[2].

[1] – الفكر اللساني، عبدالجليل مرتاض، ص26 – 29.

[2] – نفس المرجع، ص 36.

وبعد معرض الكلام عن التواصل تحدث **عبد الجليل مرتاض** عن اللغة الشفوية-التي أسهب الكلام فيها في مواضع من كتبه، ولاسيما كتاب "اللغة و التواصل" وخرج بعض القضايا اللسانية، وعن اللغة الخطية، وتحليلاته انطلقت من حقائق تراثية لكن بمنظور اصطلاحي حديث، فهي نظرات لا يمكن أن تكون إلا للمُتبحِّر في كتب التراث يستلهم منها هذه النظرات اللسانية، وتستند عليها لتكون عاملا على بعث جهود لسانية تضمن للعربية استمرارها ضمن رؤية حداثية، ومع هذه المقاربة يلفت نظرنا إلى الأفكار التي طرحها في الكتاب آنفا-وإن كان الأمر يحتاج إلى عناية في هذه الوقفات اللسانية – في اللغة الشفوية التي أكد على أنها أسبق من الخطية وتأخر هذه منها ظاهرة طبيعية مرتبطة بتأخر اللغة عن الثقافة، باعتبار الأولى جزء من الثانية"[1].

[1] – نفس المرجع، ص 107.

المطلب الثالث: اللغة المكتوبة و الشفوية

تظل اللغتان الشفوية والخطية متصارعان فتبقى إحداهما طبيعية و الأخرى اصطناعية، غير أن هذه الطبيعة المنطوقة نواتها هي لغة الأمومة، وهذه الأخيرة كلماتها الفطرية تحولت إلى مداليل اصطلاحية، ودوالها الاعتباطية إلى رموز عقلية، وقد نبه **عبدالجليل مرتاض** على دقيقة في هذه الوقفة اللسانية وهي أن الرمز الشفوي الذي تقوم عليه اللغة الخطية شيء، وأن الفونيمية أو الوحدة الصوتية التي تقوم عليها اللغة الشفوية شيء ثان، فالعربية الخطية المرسومة بثمانية أو تسعة و عشرين رمزا شفويا هي غير العربية المنطوقة الممثلة بوحدات صوتية تفوق هذه الرموز الشفوية بكلمة صوتية أو فونولوجية غير مصورة حصرا علميا دقيقا مؤسسا على ما اعترى لغتنا الفصحى من تباينات فونولوجية في النطق والأداء بمعنى أن الرمز الشفوي أو الحرف في المرسلة المكتوبة لا يمكنه أن يشتمل على أكثر من وحدة صوتية واحدة، خلافا للمدونة الشفوية التي تحتوي في الغالب فونيماتها على أزيد من معلومة و يستدل على ذلك ما ورد في جمهرة اللغة لابن دريد: "أن أهل اليمن يقولون: "كمل في جمل، حيث يكون أداؤهم الصوتي بين الجيم والكاف، أي صوت ثالث لا هو بالجيم و لا بالكاف وأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا في هذا، حيث يقولون: الكوم في القوم، فيكون أداؤهم الصوتي للقاف الخالصة بين الكاف والقاف أشد.

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت*** وأكول لباب الدار مكفول أي:

لا أقول لقدر القوم قد نضجت *** وأقول لباب الدار مقفول[1]

وهذا من الإبدال الصوتي الذي لا يحدث تغييرا أزليا في الكلام العربي، أوكما أشار إليه **عبد الجليل مرتاض** بالتمايز سيمانطيقي للأصوات، ولكنه يستشهد على هذا الأخير أيضا من كتب التراث لأبي زيد الأنصاري في كتابه النوادر في اللغة، يقول في هذا: «ولعل أول وظيفة للتمايز سيمانطقي عند الطفل تلفظه الأولي و المبكر بين البكاء والميم في كلمتين: ماما / بابا، وفي اللغة العربية القديمة، نجد بعض التراكيب المنسوبة إلى العبريين لا تخلوا مما ذهبنا إليه أعلاه لأنه روي عن هؤلاء أو سمعوا أنهم كانوا يقولون: بأبأ الصبي أباه. إذ قال له: يا بابا، و مأمأ الصبي أمه، فهو يمأمئها، ودينا بأباه بأبأة و مأمأة»[2]. وقد أثار **عبد الجليل مرتاض** مبحثا يحتاج إلى دراسة عميقة و وافية عن البنية العميقة في اللغة الشفوية قائلا: « وليس معنى هذا أن اللغة الشفوية لا تحتوي مطلقا على مظاهر البنية العميقة ،لأن هذه الأخيرة موجودة في كل مجالات التأمل والاتصال ورموز الثقافة الشفوية، فكيف يخلو مجال لساني منها؟ ولكن قصدنا من هذه الفكرة التي تحتاج إلى بلورة متنقلة ودراسة عميقة و وافية أن البنية العميقة في اللغة الشفوية تكون ضمنية، وتتمثل بصورة مباشرة في ذهنا لمرسل أولا، والمرسل إليه ثانيا غير أن البداهة والفراسة والعفوية بين الباث والمتلقي قد تسمح لهما بالتفسير الدلالي المشترك في وقت واحد»[3].

[1] – اللغة و التواصل، عبد الجليل مرتاض، ص111.

[2] – نفس المرجع، ص112.

[3] – نفس المرجع، ص115.

ولاشك أنه قد استرسل في الكتاب عن اللغة الشفوية، وأعطى ملاحظات هامة عنها، وتكلم عن البنيوية وعلاقتها بها، وأن هذه اللغة عقد جماعي وصك فردي، واللغة الخطية عملت على قوقعتها والحد من تفتّحها كما أن القواعد عقد وفاة للغة الشفوية، وهذا الاهتمام باللغة الشفوية تجاوزه إلى حد تحليله ما أطلق عليه اسم "المدونة" الشفوية قديمة من الشعر الجاهلي ومن النثر أيضا، وجعل نموذجا منها خطبة قس بن ساعدة وعقد مقارنة ومفارقة بين اللغة الخطية و الشفوية، ولعل ما ينتهي إليه في بحثه هذا هو نتيجة انتبه إليها و سجل وقفة لسانية عندها و هي: انبثاق اللهجة عن اللغة الشفوية لا عن اللغة الخطية، وهذه مهمة في علوم اللسانيات. وقد علل دوسوسير ذلك بمثال وهو «أنه عندما يستعير شعب من شعب آخر في أخذ عنه حروف هجائه فقد يحدث أحيانا لأصول نظام الرسم الخطي ألا يحسن تخصيصها لوظيفتها الجديدة، فيضطر الناس إلى الاستعانة بوسائل منها على سبيل المثال استخدام حرفين للدلالة على صوت واحد.»[1] وهذا الذي ذكره قد يكون وجيها فإن الرسم القرآني الذي أحدثه عثملن بن عفان رضي الله عنه وما فعله أئمة اللغة بعده في إحداث نقط المصحف كان لغاية وهي حفظ الخصائص اللهجية للقراءات القرآنية كالإمالة والإشمام والروم.

[1]– محاضرات في علم اللسان العام، فرديناند دوسوسير، ترجمة عبد القادر قنيني، ص47

المبحث الثالث:آثار لسانية لعبد الجليل مرتاض

المطلب الأول: في البنيوية

المطلب الثاني: في لسانيات النص

المطلب الثالث: في الوظيفية

المبحث الثالث:آثار لسانية لعبد الجليل مرتاض

المطلب الأول: في البنيوية

يتجلى الأثر الكتابي لعبد الجليل مرتاض في هذا الحقل اللساني في كتاب " التحليل البنيوي للمعنى والسياق" فهو يتعرض فيها إلى الأثر الدلالي الذي يتركه السياق من خلال تحليل البنية اللغوية للنص، فالسياق والمعنى يتجاريان في تحديد معاني الكلمات إما بمفردها أو بمجموعها.

1-مصطلح السياق في التراث إن مسألة تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي السياق :«والدراسات التي قام بها لسانيون أمثال جورج مونان J.Mounan، وبريكل Brekel، ودُبوا Dubois الكلمات السياسية والاجتماعية في فرنسا من 1869 إلى 1872 أظهرت أن "السياق اللساني وصفه مجموعة من الأمارات الشكلية المحيطة بوحدة»[1] ويظهر مصطلح المحيط عاملا بارزا في مفهوم السياق، مما أدى إلى اختلاف اللسانيين (الغربيين) في مفهوم الإحاطة بين مصطلحي:Entourage و Environnement فيرجح **عبدالجليل مرتاض** المصطلح الأخير ،فإنه قال: « والواقع أن الإحاطة L'environnement في منظور اللسانيات التوزيعية أنسب استخداما من إلصاقها بالسياق، طالما أن التوزيعية تحدّد كحاصل إحاطات لوحدة لغوية في مدونة معطاة، وطالما أن الوحدة اللغوية وحدها نفسها لا تتضح إلا بتوزيعها، ومع ذلك –كما ترى– فإنا نشعر بشيء من التداخل مما يُعنى بالسياق تارة ومما يُعنى بالإحاطة تارة أخرى» ، وترجيحه هذا راجح إلى ذوقه في اللغة الفرنسية

[1]-التحليل البنيوي للمعنى والسياق، عبدالجليل مرتاض، دار هومه، الجزائر2010،ص07

الذي يظهر أنه صاحب باعٍ فيها، وإذا رجعنا إلى اللغة العربية نجد في تعريف السياق والمحيط والإحاطة يتبين لنا أن الوحدة اللغوية إنما تُحفظ دلالتها من خلال سياقها فيما يحيط بها، ذلك أن معنى السياق: التتابع، يُقال انساقت و تساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت[1]، بينما معنى المحيط :الحفظ والتعهد، وأحاط بالأمر إذا أحدق به من جوانبه كلّه، ومنه قوله تعالى (وأحطت بما لم تحط به) أي علمتُه من جميع جهاته، فيقتضي من هذا أن الوحدة اللغوية في السياق مرتبتها في التتابع، وما أحيط بها من هذا التسلسل هو حماية معناها ضمنه.

1-2تعريف المقام: ذكر **عبدالجليل مرتاض** تعريف المقام عن بعض الدارسين –و لم يذكر اسمه- بأنه :«مجموعة الوقائع المعروفة من قِبل المتكلم والمستمع وقت تحقيق فعل الكلام.»(2)

1-3بين السياق والمقام: يتضح من التعريفين أن السياق يتعلق بنظام اللغة، والمقام يتعلق بنظام الكلام، فهو بذلك يمشي على نمط التقسيم الثنائي الذي رسمه دوسوسير في مجموع الثنائيات التي نادى بهافي محاضراته، لكن **عبدالجليل مرتاض** في نفس الوقت «يميز بين ماهو لساني يتعلق بالسياق، وما هو غير لساني يتعلق بالمقام.»[2] وبالأحرى يسمى الأول السياق اللغوي والثاني الياق المقامي« وقد تتبع بعض الباحثين اهتمام الأصوليين بالسياقين اللغوي والمقامي في بعض كتبهم وفي مصطلحاتهم وتطبيقهم ذلك على النصوص للكشف عن المعنى، وهم في ذلك يتفقون – من حيث الجوهر- مع

[1]- نفس المرجع، ص08

[2]-نفس المرجع، ص06

نظرية السياق الحديثة. »[1] وقد ينتقل المقام إلى "السياق القريني"، وإنما يقال له قريني لأن المخاطَب يعلم حال المتكلم فيلجأ المتكلم إلى الاقتصاد في الكلام لاقتران علم المخاطَب بحال المتكلم، وهذا قريب من مذهب الأصوليين في أن الكلام الظاهر لا يصرف عن ظاهره إلا بقرينة صارفة عن الظاهر إلى غيره؛ ويستخلص هنا هو أن الانتقال من غرض إلى غرض آخر محكوم أساسا بالمقام،

أما في الدرس اللساني الحديث فقد افترضت نظريات لسانية ذات توجه تداولي(أو وظيفي) ثنائية "الفعل اللغوي المباشر/الفعل اللغوي غير المباشر" المقترحة في "نظرية الأفعال اللغوية" وتبنتها في إطار الثلاثية تميز بين ثلاثة مفاهيم هي "النمط الجملي" و"القوة الإنجازية الأصلية" و"القوة الإنجازية المستلزمة". المقصود بالنمط الجملي الصنف الذي تنتمي إليه الجملة صرفيا وتركيبا وتنغيميا.في هذا الباب صنف "دِكْ" الجمل أربعة أصناف: جمل خبرية وجمل إستفهامية وجمل أمرية وجمل تعجبية. ويقصد بالقوة الإنجازية الأصلية القوة الإنجازية التي تطابق النمط الجملي كالإخبار والسؤال والأمر مثلا؛ أما المراد بالقوة الإنجازية المستلزمة فالقوة الإنجازية غير المطابقة للنمط الجملي والناتجة عن نوعين مختلفين من الاستلزام: استلزام مقال واستلزام مقامي.»[2]

1-4السياق والدلالة: لاشك أن اللفظ يتعدد معناه بدلالته في نفسه، ولكن وضعه في سياق معين سواء كان لسانيا أو غير لساني (مثل الإشارة والصورة) قد تزيل عنه الدلالة الذاتية إلى دلالة أخرى، وهذا ما يسمى بدلالة النقل أو الاستعمال، «وهو إطلاق اللفظ وإرادة المعنى، ولكنه لا

[1]– محمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق ص23

[2]– الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 1431هـ-2010م، ص50

يحتاج إلى إرادة الإبلاغ، أي تفهيم المخاطب وإخطاره بمراده كما هو في واقع الأمر»[1] وعبر عنه دوسوسير بالاستبدال، لأنه يرى اعتباطية الدال والمدلول في العلامة اللسانية، يقول **عبدالجليل مرتاض**:« وهو بذلك-أي دوسوسير- يهتم بالوحدات اللسانية كماهي، التي نستطيع أن نلخّصها من خلال تقطيع/استبدال، لكن مسألة الدلالة الإجمالية لملفوظ، والتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في سياق ومقام خطاب تتدخل فيهما عوامل اجتماعية أو نفسية لم تطرح بالنسب إليه، مع أن كلمة بذاتها على الرغم مما حظيت به من تواضع اجتماعي ليست شيئا خارج السياق، بل ليست أكثر من انتساب إلى قاموس»[2] ولا يقف **عبد الجليل مرتاض** عند هذا الفهم، بل يُقرّه على ذلك ويستدل عليه من تراث العربية على ذلك : «قد نتفق مع دوسوسير بأنه لا يوجد في اللغة إلا الاختلافات اتفاقا لا يخلو من تحفظّ، فنحن نتلفظ صوتا بأكثر من صورة :

وقفت بها أُصيْلالاً أُسائِلها *** عيَّت جوابا، وما بالربعِ من أَحَدِ [3]

حيث لا مانع يمنعنا من نطق: "أصيلان بدل " أصيلالاً حتى قال العرب (ابن الأعرابي): النون تعقب اللام قد قالوا :الإبل والابن، و التّهْتان و التّهتال . »[4] وبعضهم جعل البنية اللغوية هي السياق الأصغر بينما السياق الأكبر الجزء الخارجي من الرسالة الأدبية التي تسبق الطريقة الأسلوبية [5]

[1]– قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، محمد ممد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2013، ص176

[2]- التحليل البنيوي للمعنى والسياق، عبدالجليل مرتاض، ،ص07

[3]- البيت للنابغة الجعدي، ينظر الديوان، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة 1416هـ -1996م

[4]-نفس المرجع، ص28

[5]- ينظرالنحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، محمد سويرتي، ص68

2-المعنى يتحدد المعنى بأشكال مختلفة، وقد جاءت مختلف النظريات اللسانية البنيوية بعد دوسوسير لتفسيره حسب مناهجها، وما أثر عنه من مصطلحات ومفاهيم ابتنيت عليها هذا الاختلاف اللساني، وتحددت رؤية كل فريق في تحديد معانيها، ومن هذه المصطلحات :الدال والمدلول، و العلامة، و الرمز، و المرجع، و الإحالة...إلخ . وفي معرض الكلام عن مختلف التوجهات اللسانية الغربية في مصطلح المعنى ودوره في التحليل البنيوي، نجد عبدالجليل مرتاض يعرضها معا الولوج في التراث العربي مع نقدها أحيانا .

2-1تعريف المعنى: ذكر عبد الجليل مرتاض في تعريف المعنى «عن بعض المعاجم اللسانية* الموسوعية تعريفات محالة على لسانيين بارزين كما يلي :

1-إن الكلمات المحالة على عالم و تجارب الإنسان مرتبطة تقليديا بمحتوى يقال له:" معنى"

2-معنى مجرّد، منها :"ختم الله على قلوبهم" "في قلوبهم مّرض"

3-يتسم المعنى تبعا لنمط العلاقة الذين تضطلع به العلامة مع ما يشير إليه من حقيقة أو مجاز.»[1]

هذه التعاريف وإن كانت عند الغربيين أسقطها عبدالجليل مرتاض على العربية وأوجد لها أمثلة منها، خاصّة المعنى الثاني، من مثل قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾[2] ففي تفسيرها قال الفراء: انقطع معنى الختم عند قوله :" وعلى سمعهم "»[3] وقال

[1]- التحليل البنيوي للمعنى والسياق، عبدالجليل مرتاض، ،ص43 بتصرف

[2]-الآية 07 من سورة البقرة

[3]-معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار ،ج1ص13،دارالكتب المصرية القاهرة،ط1422/3ه-2001م

ابن جُزّي (ت 292هـ-741م) :« الآية تعليل إيمانهم»[1] وهو عبارة عن إضلالهم، فهو مجاز. فالشاهد أن الجملة القرآنية معناها الضلال، فهي معنى مجرد وقد تكون من النوع الثالث حيث أنها مجاز، ولاشك أن هذه التعاريف والتقاسيم للمعنى إنما هي عقلية، يتحتم علينا التسليم لها لأنها ناتجة عن الاستقراء، ولذلك وجد من قال بالمعنى ومعنى المعنى، ومنهم عبدالقاهر جرجاني، والمعنى يتحقق بالترادف المعجمي وبذلك تكون مقابلة للعلامة أختها، وقد تكون العلامة في معناها سلسلة من العلامات قد تكون جملة أو نصا مطولا، فالنص المطول كما نقول أن القرآن كلمة الله، ومن الجملة قوله تعالى :﴿كلا إنها كلمة هو قائلها ﴾[2] فالضمير عائد إلى قول: لا إله إلا الله، فهي سلسلة من الكلمات.

2-2اصطلاحات المعنى: من المصطلحات التي اصطلح عليه **عبدالجليل مرتاض** في المعنى-تبعا لمصادر لسانية- المعنى المرجعي والمعنى البنيوي يقول في ذلك :«وترى بعض المصادر اللسانية أن أغلب المدارس اللسانية تحاول- ومنذ مدة – أن تدمج المعنى عبر تسميات مختلفة، فهي تميز عموما يتبع الوضع العلامات في ما بينها.»[3] structurel معنى مرجعي منتم إلى علامة واقع، ومعنى بنيوي وعلى هذا فإن المعنى المرجعي هو المعنى الأصلي والمعنى المرجعي هو الذي يقتضيه الاستعمال «وبذلك يكون الاستعمال مقابلا للقياس، فيتأتى من ذلك أن يكون الاستعمال دالا على السماع،

[1]- ينظر التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزيّ، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الفكـــر، د ت ط، ج 1، ص

[2]- الآية 100 سورة المؤمنون

[3]- التحليل البنيوي للمعنى والسياق، عبدالجليل مرتاض، ص43

وأن يكون القياس دالا على ما هو مقيس على المسموع»[1] وإذا تشعب القياس اطرادا مع السماع تشعبت المعاني وكانت لها أسباب في التغير فتنسب إلى المعاني، أو يأخذ أشكالا عديدة منها: «التوسع بالانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، أو التضييق أي التحويل من الكلي إلى المعنى الجزئي، أو النقل عند تعادل المعنيان لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، ويتضمن طرائق منها الاستعارة والمجاز المرسل، وأخيرا المبالغة وهي شكل من أشكال تبدل المعنى»[2]

ويتضح من خلال موقعه البيني للعلامات الأخرى في البنية اللغوية، ولا مجال للاستطراد في ذلك، فقد عاد **عبدالجليل مرتاض** كعادته إلى مكتبة التراث و وجد فيها ما يغنينا في ذلك، يقول:« ومما استرعى انتباهي، و أنا أتابع موضوع المعنى لغويا و بنيويا، أن يوجد ما يتقاطع معه في تراثنا اللساني العربي بشكل ما، إذ جاء عندهم:" يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام، كرجل و فرس وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب، ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو :السيف و المهند والحسام. »[3]

2-3المعنى في المذاهب اللسانية: لقد وقف **عبدالجليل مرتاض** عند بعض المدارس اللسانية وأوضح موقف كل منها حول مفهوم المعنى، ويطرح اتجاهين أساسيين للمعنى :

1-إما أن ينشأ من تفاعل العلامات اللسانية المتداعية في سلسلتها الكلامية داخل النظام أو البنية

[1]- اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب، إربد–الأردن، الطبعة الثانية 1429هـ–2005م، ص310

[2]– علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة السابعة، 1430هـ –2009م، ص 243 و م ابعدها بتصرف.

[3]- التحليل البنيوي للمعنى والسياق، عبدالجليل مرتاض ص45

2-وإما أن ينشا من علاقة توجّهنا إلى عوالم لم تتجاوز نطاق اللغة.»[1]

فقد بين مواقف هذه المدارس اللسانية كالتوزيعية، والبراغماتية، وأعلام اللسانيات من أمثال بنيفيست، وكارناب، وغيوم، وسوسير، وإن كان هذا الأخير رجح أن يكون أخذ بالاتجاه الأول تحت ما يسمى بالمدلول، «وهذا ما يفهم عن الجرجاني في دلائل الإعجاز عن اللفظ، فاللفظ عند هذا العالم في مقابل المعنى، هو ناتج عن إحكام النحو، فيمكن أن نستنتج إذن أن اللفظ في التراث هو البنية الصرفية-التركيبية للعبارة اللغوية المتحققة في سلسلة صوتية»[2] فهو يرى أن المعنى يحمل العلامة اللسانية التي هي أساس الدلالة، فالعلامة تدرس عما يحيط بها، والسياق عامل مهمّ في ذلك بدليل أن التبديل عنصر مؤثر في تبدل المعاني،كما أن العلامة ذات معنى واحد لا تتعدّد إلاّ بوصف زائد، ودليل ذلك من تراث العربية في المشترك والمترادف في النص المذكور آنفا في نص ابن فارس في الصاحبي، وما طرحه سوسير من أن الكلمة تشبه العملة بوجهي الفكر و الصوت غير سائغ، فإنه أهمل المعنى من جهة أن جعل اللغة فقط واسطة بين الفكر و الصوت، «فالمعنى سابق الوجود على تكون الفكر و ليس الفكر إلا عجينا لا يختمر من هذه المعاني» [3]، كما أن الوحدات الصوتية Phonèmes والوحدات الدالة والعبارة Phrase أو Syntagme أو Enoncé هذه المستويات الثلاث، والمستويين الأولين تمفصل مزدوج كما عند مارتيني، والعبارة عند بنيفست الوحدة الصغرى

[1]-نفس المرجع ص47

[2]- المنحى الوظيفي في الفكر اللغي العربي، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م، ص173

[3]-نفس المرجع ص49

للمعنى،[1] فهو يفرق بين المعنى والمدلول ويذهب إلى أن قصدية المتكلم أو الغرض الإبلاغي يكون عبر خاصية اللغة ،يقول: «ومن الهذر أن نفاضل بين لغة وأخرى إلا بما تمّ إنجازه بها من رجالاتها الناطقين بها، وكان علماء اللغة العرب على مسافة قريبة من التوفيق حين عرفوا المعنى بأنه القصد، وهذه الرؤية تتوافق مع آراء أبرز اللسانيين والسيمولوجيين الغربيين المحدثين الذين يرى فريق منهم (بريطو، وجورجمونان، وبويصنص) أن وظيفة اللغة الأساس هي التبليغ، غير أن هذا التواصل مشروط بالقصدية وإرادة المتكلم في التأثير على الغير» [2]

وظيفة اللغة ويتفق عبدالجليل مرتاض مع البراغماتيين في «أن العلامات اللسانية تدرس في ضوء ثلاثة أبعاد بحيث يعالج:

1- السانتكس العلاقات بين العلامات في الملفوظ المركب L'enoncécomplex.

2- علم الدلالة العلاقات بين العلامات والواقع.

3- البراغماتية في العلاقات بين العلامات ومستعمليها.» [3]

وخلاصة المبحث أن العلامة أو الكلمة المفردة أو الوحدة اللغوية لها دلالة في ذاتها، وهناك من الكلمات لا تكون كذلك، وسمّاه علماء اللغة "المهمل" فمثال الأول زيد، والثاني ديز.» وما يكون مركبا يسمّى كلاما، وشرطه السلامة المعنوية وهي أن يؤدّي معنى مقصودا، أي يحسن السكوت عليه، فإن من الكلام ما يكون مركبا و لا يحسن السكوت عليه مثل "إن قام زيد" فإنه كلام

[1]-نفس المرجع ص51

[2]-نفس المرجع ص54

[3]- نفس المرجع ص55

مركب يفتقر إلى التمام لأن السامع ينتظر ذلك . والقصد يبين المعنى والفكر يجسّده، وقد كان لعبد القاهر الجرجاني من هذا الكلام في الإعجاز، وما اشتهر عنه بنظرية النظم و مفاده: «أمر النظم في أنه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك، وأنا لو فرضنا ان تخلو الألفاظ من المعاني لم يُتصّور أن يجب فيها نظم وترتيب في غاية القوة والظهور، ثم ترى الذين لهجوا بأمر اللفظ قد أبوا إلاّ أن يجعلوا النظم في الألفاظ. ترى الرجل منهم يرى ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه»[1] وهذا المعنى مما سبق ذكره من اتفاق **عبدالجليل مرتاض** مع البراغماتيين أن لعلامات اللسانية تدرس في الأبعاد الثلاثة: السانتكس، وعلم الدلالة، والبراغماتية داخل العلامات اللسانية.

[1]–دلائل الإعجاز، عبد القاهربن عبد الرحمن الجرجاني،تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة الطبعة الثالثة1412هـ/1992م

المطلب الثاني: في النحو الوظيفي

لعل أهم أثر نجده لعبد الجليل مرتاض هو كتاب "الوظائف النحوية في مستوى النص"، وهو كتاب ينبغي للمطلع عليه أن يكون ملما بشيء من النحو، ومعرفة باصطلاحات نحوية غربية خاصة الفرنسية كون عبد الجليل مرتاض ينق عن اللساني الفرنسي مارتيني، وتشعبت مباحث الكتاب، وقد آثرت اختيار عناوين وأفكار أثارها في الكتاب مع أن القراءة فيه تبدو مملة لكثرة الاصطلاحات والمفاهيم النحوية التي تداخلت في النظرية الوظيفية النحوية.

1- اصطلاح النحو الوظيفي: إن التفاعل بين سلسلة العلامات اللسانية المركبة يجعل من هذه العلاقة تتحدد بما يسمى الوظيفة، وقد يكون من المركب في شكل وحدة مفردة لكنه مركب في الأصل، كما هو في المضمر في نحو "استقم"، فالفاعل فيها تقديره أنت، والتركيب بين العلامات هو لتجاور المعاني فيها وليس مجرد تجاور الألفاظ، وهو من عمل النحو و هذا الدور يعرف بـــ"وظيفة النحو" أو "النحو الوظيفي"، وقد آثر **عبد الجليل مرتاض** تسميتها بالوظيفة السانتكسية، وكأنه يحاول تعريبها دون ترجمة حرفية لها، على غرار عمله ذلك في مواضع كثيرة من كتبه . و ينبغي شرح التركيب الاصطلاحي لكل من النحو والوظيفة كل منهما على حدى، لأن السياق الذي نحن فيه هو مفهوم كل منهما عند اللسانيين المحدثين، لأن كل علم له اصطلاحه الخاص عند أهله وربما يختلف مفهومه عند أهل الفن الواحد، فقدسبق تعريف النحو في مبحث سابق لكن بتعريف القدماء وبشكله التقليدي المتداول عليه؛ ولكن مصطلح النحو عند اللسانيين

المحدثين- هو المقصود في هذا المبحث- فقد تقدم مفهوم عند العرب في مبحث" آراء عبد الجليل مرتاض في وضع النحو" لأن مبحث الوظائف النحوية هي من مباحث اللسانيات الحديثة خاصة الوظيفية في أبعادها التداولية، تبدأ من أعمال مدرسة براغ على رأسهم جاكبسون حينما فرقت هذه المدرسة بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي، فانتقل هذا المفهوم إلى دراسة الجملة وتركيباتها ووظائف عناصرها.

أ- أسس النحو: يوضح **عبد الجليل مرتاض** أنه يقوم على مبادئ أربعة:

أ-يعني الوصف التام للسان ويتضمن الفونولوجيا والسانتكس (قواعد التركيب لمورفيمات وسانتغمات) وعلم المفردات.

ب-وصف لمورفيمات نحوية ولفظية ودراسة لأشكالها من حيث إعرابها وتغييرها، ويتعارض مع الفونولوجيا (دراسة الفونيمات) ويختلط مع المورفوسانتكس (علم تراكيب البنى)

ج-وصف المورفيمات النحوية وحدها من تذكير وتأنيث وتصريف وحروف جرّ وروابط وصل وعطف، مع إقصاء المورفيمات المعجمية من أسماء ونعوت وافعال وظروف كيفية ،فيشرح بالسانتكس ويتعارض مع الفونولوجيا وعلم المفردات ،أي يتوافق مع دراسة الإعراب ويقصي دراسة تكوين الكلمات (الاشتقاق).

د-بالنسبة للتوليديين فإن النحو هو نموذج الكفاءة المثالية التي تقيم علاقة بين الصوت والمعنى (تأويل دلالي)أي تمثلا صوتيا لبنية سطحية وتأويلا دلاليا لبنية عميقة.

وكل التعاريف التي ساقها **عبد الجليل مرتاض** في مفهوم النحو عن اللسانيين بشكل عام لا تعدوا إلا شكل وصف، قد يكون عاما أو من جهة معينة أو السمة البارزة في هذا العلم ، وكلها جاءت عن طريق الاستقراء الناقص لكلام العرب، فهو عملية تشريحية ولذلك قال **عبد الجليل مرتاض** أن هذا التعريف ذات «طابع مافوق لساني Metalinguistique الذي يتعلق دائما بخطاب حول اللغة الإنسانية بعامة أو حول لسان طبيعي بخاصة.»

وهذا الذي عناه ابن جني في تعريفه للنحو بـــ"سمت كلام العرب" وهو وصف له، بينما أراد تمثله بقوله"انتحاء" ويقابل ما يسميه تشومسكي لا نحويا بل كفاءة المتكلم في سليقة. ولنا في ذلك القول المشهور لابن سلام في ابن أبي إسحاق: «أول من بعج بالنحو ومد القياس والعلل»[1] ،فالشرح يتضمن المعرفة والتشريح، بينما مد القياس يحتاج إلى تمرس وقدرة على تطبيق القواعد والأصول المستنبطة، فيكون مابين المعرفة والتطبيق ما أشار إليه **عبد الجليل مرتاض** عن اللسانيين من وصف خطاب اللغة وكفاءة في أدائها وإنتاجها. ومصطلح النحو لا ينطبق على مفهوم واحد، بل على عدة مفاهيم أهمها أربعة:

1- النحو في مقابل اللسانيات.

2- النحو باعتباره فرعا من فروع الدرس اللغوي.

3- النحو باعتباره نمذجة صورية للواقع اللغوي.

[1]- طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت1422هـ - 2001م

4- النحو بالمعنى الواسع أي النظرية.[1]

ب–مفهوم الوظيفة: إن مفهوم الوظيفة هو إسناد الشيء إلى أحد ما وطلب إنفاذه على الوجه المطلوب، وقد ورد في لسان العرب :« وظف الشيء على نقسه ووظّفه توظيفا :ألزمها إياه »،وقد يكون بمعنى الإتباع، «يقال وظف فلان فلانا يظفه إذا تبِعه » [2] وبين المعنيين الإاتباع والإلزام، يظهر أن اللغة العربية أفادتنا مفهوم الوظيفة، فالوحدات اللغوية تتبع بعضها البعض وتؤدي عملها على التي بعدها كعمل المبتدأ في الخبر، والفعل في الفاعل، وعمل حروف الجر والنصب والجزم في الفعل الذي يليها .

ج–**الفرق بين العلاقة والوظيفة:** يقرر **عبد الجليل مرتاض** أن هناك فرق بين العلاقة والوظيفة حيث يقول: «شتان ما بين العلاقة والوظيفة، إذ كل متكلم من حقه أن يتحكم فيما يسنده من وظائف للعناصر التي يراهن عليها في تبليغه مع غيره، ولكنه ليس بمقدوره أن يتحكم في العلاقة التي تتداعى بين العناصر ذاتها، لأن العلاقة تتم تلقائيا ودون سابق إشعار، بل التفكير في أي علاقة لاحقة يجعل التبليغ ضربا من المستحيل، والعلاقة السانتكسية تابعة للوظيفة السانتكسية، ولا تقوم إلا بها، والأولى لا تكون إلا كلية، بينما الثانية يمكن أن تكون جزئية، ويمكن أن تكون كلية، بل يمكن لعناصر منها أن تكون مستقلة لا تخضع إلى ترتيب معين، لأن مجرد التفكير في "علاقة" يقودك إلى التفكير في شيئين فصاعدا.» والذي حذا **بعبد الجليل مرتاض** التفريق بين العلاقة

[1]– المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي،أحمد المتوكل، ص 36

[2]ا–لسان العرب، مادة وظف

والوظيفة، هو أن التداعي بين العناصر التركيبية هي العلاقة التي لا يستطيع المتكلم التصرف فيها ، لأن تحكمه في التصور والفكر الذي يبقي التلفظ، بينما الملفوظ هو أداة التصور، « فمن أجل القدرة على إجراء عمليات تطبيقية، ملزمون بالإبقاء على خط فاصل بين مفردات وعلاقات حتى وإن كانت هاتان المجموعتان لا تتحددان إلا الواحدة من خلال الأخرى، لأن النحو يبقى نظريا متميزا عن المعجم حتى وإن لم يعبر إلا من خلاله، هكذا يسمح تحليل المكونين الصرفي والتركيبي باستكشاف المحتوى»[1] فإذا قال القائل : « الله موجود » فهو خطاب موجه لمن سبق له تصور في ذلك، بينما إذا قال: « إن الله موجود » فهذا التأكيد إنما هو خطاب لمن ليس له تصور البتة فيه، فهذه أداة التوكيد الزائدة في القول الثاني هي الوظيفة التي يستطيع المتكلم أن يتحكم فيها، بينما المبتدأ والخبر في القول الأول، واسم إن وخبرها في القول الثاني هو تداعي بين الملفوظين تلقائي، وهذا معنى قوله «العلاقة السانتكية تابعة للوظيفة السانتكسية»، ولعل هذا ما دفعه بالقول بالتفريق بين النظام النحوي والبنية النحوية، إذ إن النظام النحوي هو الذي يصون البنية النحوية من أن تتكرر على نفس النسق في أصواتها ووحداتها وعوامل صيغها، وهذه العناصر الثلاثة هي عناصر النحو بمعناه المعروف. ويدفعنا هذا إلى ضرورة إبراز دور النص في بلورة المفهوم العام، وتتخذ جزئياته المكونة من الجمل والفقرات تماسكا، أما الوظيفة فهي تؤدي الدور الدلالي « فوظيفة النص شرط جوهري لأن يفهم تتابع محض لجمل يتصل بعضها ببعض دون علاقة، فليست وظيفة تتابع

[1]– مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، جويف كورتيس، الدار العربية للعلوم ناشرون، .بيروت، الطبعة الأولى 1428هـ – 2007م

المنطوق فقط وثيقة الصلة بتماسك النص. »[1] و إنما سلسلة الوظائف المتنوعة المتتابعة تخدم العلاقة الكلية للنص؛ فالوظيفة خاصة جزئية(متعلقة بجزئية النص)، والعلاقة عامة(متعلقة بعمومه).

3-مفاهيم في نظرية الوظيفة النحوية:

يشير **عبد الجليل مرتاض** إلى أن مفهوم الوظيفة النحوية يختلف عند بعض اللسانيين في الوظيفية- التي هي في حقيقة الأمر ما هي إلا« فرع من فروع البنيوية، بيد أنها ترى أن البنية النحوية والدلالية والفونولوجية تحدذد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع.»

تنقسم النظريات اللسانية من حيث موقفها من علاقة بنية اللغة بوظيفتها قسمين:

نظريات صورية وأشهرها النظرية التوليدية التحويلية، لا تؤمن بأن للغة وظيفة معينة ولا تؤمن على الأقل بجدوى أخذ الوظيفة بعين الاعتبار في التنظير اللساني ونظريات وظيفية تنطلق من مبدأين منهجيين أساسيين :تأدية اللغة لوظيفة التواصل، وارتباط اللغة بوظيفتها هذه ارتباط "تبعية" تندرج في الفئة الثانية من النظريات ولعل هو ما أشار إليه **عبد الجليل مرتاض** في هذا **بقوله**: « إن مفهوم مصطلح الوظيفية عند " بوزي" BeouzeeK، وتسنيير Tsniere، ومارتيني Martinet يعدّ أساس السانتكس، بينما في منظور تشومسكي الأمر مختلف تماما معتبرا ان مفهوم الوظيفة ليس أكثر من تحويل derivee يعبّر عن إدراكين ذهنيين متباينين جدا في تنظيم الجملة، فالثلاثة يعتبرون ان هذا التنظيم ينجم عن ضرب من التجاذب الذي تمارسه العناصر الواحد منهما في الآخر، خلافا

[1]- إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ترجمة سعيد حسن بحيرى، ص272

لتشومسكي الذي يرى أن تنظيم الجملة يبدي مجموعة من الترسيمات المجرّدة الملخصة في قواعد النحو المستقلة عن الكلمات.»[1]

النظرية التوليدية التحويلية: يصف عبد الجليل مرتاض-كما سبق- قائم على التحويل، والتكافؤ في عدد الوحدات المُحوّلة من بنية إلى أخرى حيث يصير المفهوم غير دال، أي أن الدلالة تصير غائبة في التحول البنيوي كما في المثال الذي أوجده عبد الجليل مرتاض الآتي:

-صنع النجار الباب(سليمة نحويا ودلاليا)

-صنع الباب النجار(سليمةنحويا فاسدة دلاليا)

و كان الرأي عند تشومسكي وأتباعه استغراق التعميم عن طريق التشجير، وهو يصلح للغات التشجيرية التي لا تتأثر بالرتبة التركيبية، «واتضح أن المبدأ يخوّل للنظرية اللسانية أن تعمّم مباديء النحو الخاص بلغة ما على سائر اللغات اليشرية، ويجبرها على إقامة نموذج نحوي واحد لا غير؛ يفترض في أصوله والقواعد المستنبطة من إحدى اللغات البشرية أن تصدق على الباقي، وبذلك يمكن إضفاء مفهوم" الكلي" على ما هو "خاص" أونمطي"» [2] وهو لا يصدق مثلا على العربية وهي من نوع اللغات التوليفية يلزمها الرتبة، وباستقراء اللغات يظهر أن الوظيفة النحوية لا يمكن أن تكون كلها كلية في جملة، على أنه يمكن تكون من الوحدات ما تقم بوظيفة استقلالية، ومن خلال ما أورده **عبد الجليل مرتاض** مما استقاه من كلام مارتيني في مفهوم الوظائف النحوية

[1]- الوظائف النحوية في مستوى النص، عبد الجليل مرتاض، ص30

[2]- نظرية اللسانيات النسبية(دواعي النشأة) ، محمد الأوراغي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى 1431هـ-2010م

باعتبارين أحدهما الاستقلال التركيبي(السانتكسي) والآخر التوسع

الاستقلال السانتكسي: يحدّد عبد الجليل مرتاض المونيمات بأنها إما مفردات مجردة من السوابق واللواحق(les lexèmes) أوهي المورفيمات وهي الأدوات الصرفية، حيث أنها إما أن تؤدي وظيفتها بنفسها كالمفعول المطلق، أو تابعة لغيرها كالمعطوف الذي وحدته مرتبطة بما قبلها أو بعدها بحرف العطف، فهي في مرتبة بين بين، وأخرى تابعة بما بعدها كحروف العطف والجر[1] ويخلص من هذا الذي يتمثل في اللغة العربية ما ينطبق على لغات أخرى، وأفاد من ذلك التقسيم الذي ذهب إليه مارتيني الآتي:

1-المونيمات القائمة بذاتها والتي لا تحتاج إلى غيرها لتوضيح وظيفتها: غدا، يومئذ، عندئذ، أمس، حينا،...

2-مونيمات لا تنطوي على أية علاقة محددة مع سائر عناصر الملفوظ، وتكون ممكنة بالنسبة لعدة وظائف مختلفة تسمى عادة بالتوابع لارتباطها بغيرها.

3-مونيمات مرتبطة بمونيمات أخرى تمنحها أو تفضي عليها الاستقلالية، وهي المسماة المونيمات الوظيفية كروابط العطف، والاتباع، وحروف الجرّ.[2]

4-مونيمات هي أكثر تبعية منها حرّة، ولكنها تستفيد من الاستقلالية السانتكسية مكانتها في الخطاب غير محدّدة مستقلة بنفسها مؤلفة ملفوظة تامة، وتنطبق على الملفوظ الإسنادي المؤلفة من

[1]- الوظائف النحوية في مستوى النص، عبد الجليل مرتاض، ص47

[2]- الوظائف النحوية في مستوى النص، عبد الجليل مرتاض، ص48، 49 بتصرف

المسند والمسند إليه.

التوسع : يرى عبد **الجليل مرتاض** أن التوسع بمفهومه الوظيفي (التركيبي) هو من خصائص بعض اللغات خاصة الطبيعية مثل اللغة العربية، لأنها تؤدي وظيفة معينة وإسقاطها يسبب الخلل في المعنى، والقواعد الكلية في الوظائف اللغوية خاصة التركيبية ليست مطردة في كل اللغات ولنا أن ننقل كلامه في ذلك:« وخلاصة مافي المسألة كلها أن الوظيفية السانتكسية وظيفة عامة، ولكن طبيعتها لا يكون مطلقا يشمل كل اللغات، وهذا ما ألححنا إذ في كل لغة أبعاد لسانية عامة وأخرى خاصة وإلا فمن الهذر التفكير أن المفعول به الأول قومه والمفعول به الثاني"سبعين" والتمييز "رجلا" فضلات أو مجرد توسع في قوله تعالى واختار موسى.»[1]

لكنه ينتقد السانتكس الوظيفي " فإنه لا يعمل على التحقق من الاستقامة اللسانية من عدمها وحسب، ولا يأخذ بعين الاعتبار ما يسمى بالمقام la situation بالنسبة للسانتكس الوظيفي حدث خارج لساني، بل يسعى إلى الوقوف على كل لغة يستنتج منها أنها تستعمل كليا أو جزئيا بنسب متغيرة ثلاث حالات:

1-الوحدة السانتكسية إما استبدالية(أقسام الخطاب)، وإما تركيبية(مؤلّف مباشر)

2- الوحدة السانتكسية لا تجتزيء بدلالتها ذات العلاقة بسائر عناصر الملفوظ(مونيمات لا تعين بموقعها الوحيد بدلالتها)

3- الوحدة السانتكسية مكتفية بذاتها ولا مونيمة وظيفية.

[1]- الوظائف النحوية في مستوى النص، عبد الجليل مرتاض، ص69

هذا التحليل يؤدي بنا إلى أن أي لغة لها خمسة أضرب

1-مونيمات وتراكيب مكتفية بذاتها.

2-مونيمات وتراكيب تابعة

3-مونيمات وتراكيب وظيفية، مثل: من، في، قبل، بعد

4-مونيمات وتراكيب ملقبة صيغا أوكيفيات Modalites لا تحدّد الوظيفة لمونيمة أخرى بل تنوعه وتكملها مثل:ألـــ للعهد، والاستغراق والجنس.

5-مونيمات إسناديات Prespective لا يمكن أن تزول دون أن تقوضه، مثل: "هو"، فالعناصر الأخرى هي التي تحدّد علاقتها بالنواة الإسنادية.[1]

مما يلاحظ في استعمالات **عبد الجليل مرتاض** مما نقله عن مارتيني أنه استعمل مصطلح " مونيم" فهو وحدة أولية دالة تكون إما كلمة، أو جذعا، أو لاصقة، وتكون هذه الوحدات إما مستقلة أو تابعة ووظيفة كل منها تؤدى على حسب أهميتها من الجملة، والجملة تكون أول ما تكون نواة تتكون من المسند والمسند إليه، ثم يأتي التوسع فيها بعد ذلك، والوظيفة الأساس في الجملة النواة هي التي تكون بمثابة المحمول والموضوع عند المناطقة، ولكن **عبد الجليل مرتاض** لم يتقبل هذا المفهوم بمعنى أن التوسع والفضلة مجرّد زيادة لا قيمة لها قائلا: « إن ما لم أقدر على قبوله لسانيا منذ أول درس استوعبته في ميدان القواعد أن نعتبر الموضوع والمحمول عنصرين أساسيين، وما عداهما توسّع وتشعب أوفضلة. » وأتى بشواهد من اللغة تدل على أنه لا ينبغي التخلي عن أنواع التوسع

[1]- الوظائف النحوية في مستوى النص، عبد الجليل مرتاض، ص56 ، 57، 58بتصرف

، فقد يكون سائغا في اللغات الأخرى، ولكنه في اللغة العربية ليس كذلك، ويشير إلى أن هناك أكثر من مائتي تعريف للجملة مرتبطة بثلاثة معايير:

أ- نفسي:االجملة تعرّف حدسيا بوساطة الشعورللتعبير عن الفكرة التامة

ب- منطقي: الجملة المنطقية للمحدَّث به.

ج-صوتي: تحدّد الجملة صوتيا بالتوقفات والسكوتات. [1]

فهذا التصنيف عنده مع ما تقدم بيانه من أن السانتكس الوظيفي لا يأخذ بعين الاعتبار المقام، فهو بذلك يرى أن وظيفة المونيمات هي وظائف داخلية، بينما المقام له وظيفة خارجية وهي تتشابه مع نظرية النحو الوظيفي التي تقدم بها سيمون ديك، ونقلها عنه أحمد المتوكل؛ حيث جعل الوظائف التداولية الداخلية وظيفتان تسندان إلى موضوعين داخل حمل الجملةهما:" المحور" و"البؤرة"، بينما الوظائف الخارجية ثلاث وظائف "المبتدأ" و "الذيل" والوظيفة" وتكمن خاجية هذه الوظائف كونها تسند إلى مكونات تتموقع خارج الجملة[2]

النظرية القولبية:وما بين الوظيفية والتوزيعية يقف عبد الجليل مرتاض عند القولبية التي أسماها "بدعة غربية"(نظرية وضعها الأمريكي ك.ل بيك) تحقق نوعا من التصالح بين التوزيعية ونظرية تقليدية للوظائف) ويبسط الأمثلة عن ذلك، ويجعل من عناصر الاستبدال، والذي هو محور النظرية التوليدية، والتحويلات الاختيارية والإجبارية وهي من مكونات النظرية التحويلية، فالأولى قوالبية

[1]- الوظائف النحوية في مستوى النص، عبد الجليل مرتاض، ص65

[2]- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي،أحمد المتوكل، ص 94، 95

مجردة، والثانية قوالبية إجبارية، والثالثة قوالبية اختيارية.

الطفل شرب الحليب/الطفل: استبدالية بـــ: القط، زيد، صديق.

شرب: قولبية إجبارية، الحليب: قولبية اختيارية

المهمّ في هذه النظرية أسقطهافي شكل عربي هي:

الشكل الأول: مسندإليه اسم، ضمير(س)

الشكل الثاني: مسند فعل استعد (ص)

الشكل الثالث: مفعول به اسم، ضمير(ع)

فهي تتميز بالحرية والطلاقة بالنسبة إلى الإنجليزية والعربية على الأشكال الثلاثة الآتية:

ص + س ع زار عمرو زيدا / س + ع + ص زار زيدا عمرو / ع + س إياك نعبد– الله أرجوا [1]

ولعلّ هذا لمفهوم عند عبد الجليل مرتاض يتقارب مع تصنيف أحمد المتوكل حيث صنف الوظائف في نظرية النحو الوظيفي تتوزع على ثلاثة مستويات مستقلة، حيث يميز بين الوظائف الدلالية(منفذ، متقبل، مستفيد، أداة) ووظائف تركيبية(فاعل، مفعول) ووظائف تداولية(محور، بؤرة/مبتدأ، ذيل)[2]

[1] - الوظائف النحوية في مستوى النص، عبد الجليل مرتاض، ص124

[2] - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي،أحمد المتوكل، ص91

المطلب الثالث: في لسانيات النص

في مجال لسانيات النص يبرز مؤلف "لسانيات النص" و "التناص" لعبد الجليل مرتاض، فالمؤلف الأخير هو جمع لمقولات واصطلاحات ومفاهيم تتعلق بالتناص، وأما الأول فهو لا يعتبر كتاب تنظير في لسانيات النص فقط وإنما هو عمل ميداني تطبيقي على نصوص(مدونات) شعرية جاهلية و ينطلق من مفهوم" المدونة"

مفهوم المدونة: فهي عنده عينة من البحث اللغوي ويذكر مفهوم المدونة اللسانية :«عيناتها غير مادية، وما يفصح عنها متحرك في مداليله وثابت في دواله الصوتية الملفوظة أو المخطوطة، وعادة ما تخضع قراءتها إلى التأويل لا إلى الوصف فهي غير العينة المادية التي تخضع إلى الملاحظة و التجربة واستخلاص القواعد المشتركة لجميع العينات المادية المتقربة أومن نفس الجنس»[1]، ومما أثاره أيضا هو القواعد اللسانية المتعلقة بالمدونة ،«فالقواعد شيء والمدونة شيء ولا يمكن الخلط بينهما فالقواعد تنتمي إلى منظومة لسانية مغلوقة ذات أنظمة لسانية مفتوحة لاستعمالات متمايزة » ويعطي مثالا على ذلك و هو كتاب سيبويه ما هو إلا قواعد أي منظومة لسانية مغلقة من حيث التحري والاستقصاء الكلي للمادة اللغوية في اللسان العربي، ولكنه يكون أكثر من وصف وتنظيم تلك القواعد التي كانت تتضمنها لغة طبيعية شفهية [2]

[1]-لسانيات النص ص4

[2]-نفس المرجع ص5

هذا التدقيق في مفهوم المدونة جعل الكثير يعتبرون ما جمع من كتب التراث الواصفة للغة العربية مدونات، ولكنها كتب وافية معيارية تأتي بشواهدها من كلام العرب – باعتبار أنها أقرب إلى تلك النصوص في ضبطها والتعامل معها- لتُدلل على تلك القواعد التي تحدّد معايير انتظام الكلام وسلامته اللفظية والمعنوية، وعلى ذلك فيكون مفهوم المدونة.

وعرفها التواتي: «هي مجموعة محدودة متناهية من النصوص مسجلة أو منسوخة جمعت في مكان معين، وزمان معين وما يسمى: Corpus وشروط المدونة أن تكون غنية زاخرة بالكلام المسموع حتى تمثل لغة الكافة، وألا تحتوي على كلام الرجل الواحد أو الأفراد القلائل، أو على الكلام الشاذّ عن لغة الكافة»[1]، وعلى ذلك يكون مفهوم المدونة متصلا بالصفاء والنقاء اللغوي للغة المكتوب عنها، ثم التصنيف المستقل، ويمثل له من كتب التراث بـــ الأصمعيات و المفضليات، وعلى رأي **عبد الجليل مرتاض**فإن كتبا أخرى مثل البيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرّد، مع مافيها من كلام العرب الكثير إلا أنها تعتبر كتب وصفية معيارية وليست بمدونات. وما نقله التواتي عن المزهر فيما نقله عن صاحب الخصائص فيما يسمّى بـــ أغلاط العرب، فإن هذا مما أشارت إليه هذه الكتب المعيارية على بعض ألفاظ العرب، وليست على مدونات، فإن المدونة تحتوي على قدر من وجوه اللغة، وشواذّها أحيانا، والنادر أحيانا أخرى، وقليل الاستعمال في بعض ذلك، ويعجبني في هذا المقام ما قاله تمام حسان:«إذا كانت اللغة من صنع المجتمع فإن المنهج من صنع الباحث الفرد. فماذا صنع النحاة من السلف حتى يكون لهم منهج؟ لقد كونوا بنية ذهنية تجريدية

[1]– مفاهيم في علم اللسان، التواتي بن التواتي، دار الوعي، الجزائر طبعة2008م، ص112

مفارقة للاستعمال سموها "الأصول" فجعلوا لكل طائفة من العناصر أصلا ترد إليه مفرداتها فما وافق الأصل منها سمي "مستصحبا" وما كان مختلفا عن الأصل قيل أنه "معدول عن الأصل"، ومن ثم يستحق أن "يرد إلى أصله".فالقول بالاستصحاب والعدول والرد هو الحيلة المنهجية التفسيرية التي التجأ إليها النحاة لإعلان الوحدة المختفية تحت التنوع»[1] ويبقى الإشكال على أننا إذا عثرنا على مواد من المدونات المفقودة في الكتب الوصفية والمعيارية مثل الخصائص والمزهر والأشباه والنظائر هل نعتبرها مدونات أم ماذا؟وكذلك الإشكال في زوال بعض الاستعمالات اللغوية في زمن ما، قد تندثر ولا تكتب، وقد مثل لها **عبد الجليل مرتاض** لذلك في عبارة سيبويه في زوال بعض الاستعمالات، ويذهب سيبويه إلى أن هناك انفصالا بين اللسان والكتابة المسطورة ومثل لها بلغات ليتوانية لا يزال يتحدث بها في مناطق من روسيا وبروسيا الشرقية، و لم تعرف عنها الوثائق المكتوبة إلا في صورة أمينة للغة هندوأوربية [2]، والغرض من هذا النقل عن دوسوسير هو الكلام عن المدونة والتفريق بينها وبين المنظومة اللسانية من حيث أنها- أي المدونة – كلام شفهي مكتوب، وقد تسقط بعض الاستعمالات لأنه يستحيل إدراج كل المنظومة اللسانية المستعملة في الحياة اليومية في اللغة المكتوبة، إنما هي نماذج وقوالب الاستعمالات غير منتهية، على أن المدونة هي لغة شفوية مكتوبة لكنها محدودة ومنتهية. أما ما ذهب إليه التواتي فيما أسماه ابن جني في الخصائص ونقله عنه السيوطي –كما أسلفنا-في المزهر بما يسمى بـــ أغلاط العرب هي عيوب المدونة –مع أنه ذكر في التعريف السابق عن المدونة أنها تتميز بالكلام المسموع حتى تمثل لغة الكافة- فيظهر أنه

[1]- خواطر تأمل لغة القرآن، تمّام حسّان، عالم الكتب،الطبعة الأولى1427هـ -2007م

[2]- محاضرات في اللسانيات العامة، فرديناد دوسوسيرص42

من التناقض فيما- أظن- لأن المدونة ينبغي أن تحتوي على ما تكلم به أصحاب اللغة، والحكم عليها بالخطأ والعيب فيها إنما هو حكم نسبي اجتهادي يخضع كذلك للنقد والمعرضة فإن هناك من الوجوه النحوية واللغوية ما يسمى بلغات العرب، بل إن القراءات الشاذّة هي حجة في اللغة مع عدم الالتفات إليها من الجهة التعبدية فحسب، والمنظومة اللسانية مغلقة هي ذات وجهين قواعدي (وهي المستوى الخلفي) وهي قواعد منتهية واستعمالات وهي المستوى الأمامي ولكنها غير فهي الآنية والتعاقبية حسب اصطلاح سوسير والمستوى الأمامي والخلفي هما محور المنظومة اللسانية.

وبالتالي تعتبر المدونة والنص متماسكين في نقطة المحورين المستويين القواعدي الوصفي والأمامي الاستعمالي، وانطلاقا من تحديد النص والمدونة والفرق بين الاستعمال المتغير والقواعد الثابتة في المنظومة اللسانية شرع **عبد الجليل مرتاض** في تحليل مدونات شعرية جاهلية فهو ينظِّر ويطبق ذلك في صميم اللغة العربية المتمثلة في المدونات الشعرية خاصة في كتابه لسانيات النص والتبليغ فهو نموذج في تحليل الخطاب، وتعد مشاركة فاعلة منه في هذا النوع من اللسانيات، ولعلنا نسجل بعض المواقف منها والإبداعات ما أصطلح عليه بالخطاب الهلالي ووظيفته مختلفتين من حلقات الخطاب الأفقي والعمودي، لذلك يمكن أن يسمى خطابا رابطا أو واصلا لأنه وصلة بينهما، والخطاب الهلالي يستعمل عن أي تدخل خارجي لأنه خطاب واصف وموصوف لا يقبل أمرا و لا نهيا، ومثل له ببيت النابغة:

وقفت فيها أصيلالا أسائلها *** عيّت جوابا وما بالربع من أحد

فالخطاب الأفقي :وقفت فيها أصيلالا أسائلها، ومنه أيضا الخطاب يفترض فيه أنه خطاب تابع

ويبعد **عبد الجليل مرتاض** في هذه النظريات إلى أنواع الخطاب وإلى تحديد أبعاد ثلاثية في الخطاب البيني وهو وجه الخطاب والمرسلة بين أنا وأنت، فتصبح المرسلة عكسية بين المتكلم ونفسه وفي تحديد مفهوم الخطاب يقول **عبد الجليل مرتاض**: « أن الخطاب الحقيقي ما يعبر عنه وليس ما يعبر به فالأول أقرب وأجنح إلى الثبوت على حين أن الثاني متغير، أي الأول بينية عمق هو الثانية بينية سطحية ويخلص الدكتور في الأخير إلى تحديد خلاصة وهي أن المدونة تعد تبليغا وخطابا وإرسالا جميعا.»[1]

الوظائف الستة: المشهور عند اللسانيين ما تناقلوه عن جاكبسون في أن وظيفة الغة التواصل، وتنحصر هذه الوظيفة الأساسية في ستة عناصر وظيفية كالآتي:

الوظيفة	إحالتها
الوظيفة التعبيرية، أو الانفعالية	المتكلِّم
الوظيفة التحريضية، أو الاستجوابية، أو الأمرية	المخاطَبInterlocuteur
الوظيفة المرجعية أو الإعلامية	المرجع Le référent
الوظيفة التوصيلية، أو وظيفة إقامة الاتصال	الاتصال Le contact
وظيفة ما وراء اللغةMetalinguistiqueأو الوظيفة التحقيقية	النظام أو السنن ،أو المواضعة
الوظيفة الشعرية Poétique	المرسلة

1

الوظائف القطبية الثلاث والضمائر الثلاثة: لعل ما أثاره عبد الجليل مرتاض في الوظائف الستة تخصيص ثلاثة منها تقتضيها القسمة العقلية في توزيع الضمائر (أنا، أنت، هو) وسميت بالوظائف القطبية، وله في ذلك قوله: «وما يلفت انتباهنا أكثر فأكثر هنا أن مقابلة أ مطابقة كل وظيفة من الوظائف الثلاث الأولى (الانفعالية أ التعبيرية، التحريضية أو الندائية، المرجعية) نقطة من نقاط المثلّث المكوّن لنظام الضمير و الشخص، فالأول (المتكلم) والثاني (المخاطب) يقيمان علاقة ذات طابع حصري تعود إلى التلفظ L'énonciation خلافا للشخص الثالث أو الغائب ممكن وسمه في السياق الكلامي»[1]

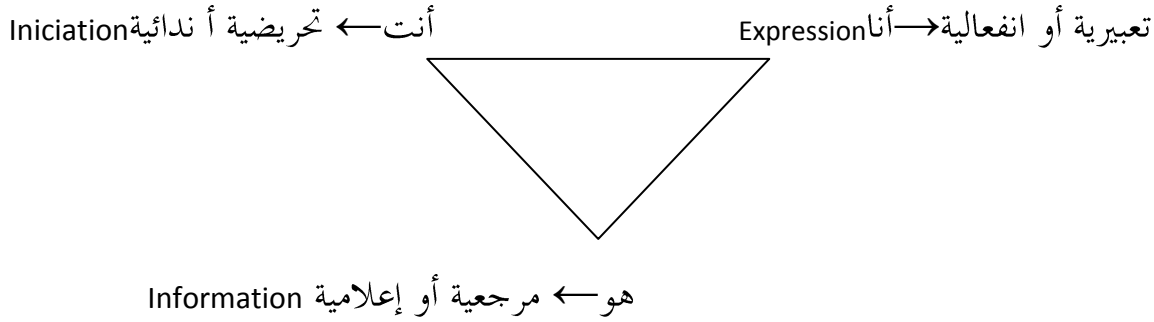

وإذا كانت هذه الوظائف لها دور في التبليغ، غير أنها تعتمد أساسا على خصائص تؤدي الوظيفة الخاصة بها، فإذا اعتبرنا الوظيفة عنصر ظاهر، فإن المستبطن منها –لغير ثاقب النظر وواسع الفهم– هذه الخصائص والمميزات التي تتسم بها على النحو الآتي:

الوظيفة التبليغية التي تشكل النقطة الأولى من مثلث التبليغ(أنا) تعتمد أساسا على أدوات التعجب، والمحاكاة الصوتية، والشتائم والنداءات والهتافات، فضلا عن عوامل أخرى إضافية تتعلق عادة

[1]–ينظر لسانيات النص والتبليغ، عبد الجليل مرتاض،ص103، والوظائف النحوية في مستوى تحليل النص، عبد الجليل مرتاض، ص150

بخصائص اللغة الطبيعية الموروثة من جهة، وبعادات تكلمات أصحابه من جهة أخرى على حين أن الوظيفة المسماة "تحريضية" يتناسب معها أساليب الاستجواب والأمر والنداء، وقسم كبير من هذه لأساليب مقنّن ومعقلن اجتماعيا على مستوى لغة التبليغ، وهذه الوظيفة تعتمد على استحضار فئة خاصة جداّ من الأفعال المسماة التحقيقية Verbes Performatifs أما الوظيفة المرجعية، فيمكن اعتبارها أن تنمّ حصريا عن كل ماله صلة بالملفوظات ذات القيمة الاستعمالية الصرف: "منعرج خطير" "الطريق مقطوع" "عيد سعيد" "أجل، سألقاك"...حيث كل كلمة تحمل في طياتها معلومة، بالإضافة إلى النصوص العلمية أو التقنية التي تبعد منها النية الانفعالية والجمالية. [1]، ولقد استظهر أحدهم من هذه الوظائف خصائص صوتية منها: أن الخصائص الفيزيائية التي تتمثل في مخارج الحروف هي بدورها سمة لهذه الضمائر، فالأصول الأسنانية مختصة بالإشارة التعيينية في شكل أسماء الإشارة والضمائر التي تعين مرجعها من حيث حضوره في مجال التخاطب، ويأخذ هذا الحضور شكلين: حضورا في المركز (أنا، نحن)، أما الشكل الآخر يقترن بما يكون منه أسماء الإشارة والضمائر من قبيل "ت" (ذاك، ذلك، ثمة...)، والأصول الخلفية(الحنكية والحلقية) مختصة بالإشارة إلى المحايد في مجال التفاعل ومن ذلك ما تقترن به "هـــ" من إشارة إلى الثالث المحايد في مجموعة(هذا، هؤلاء، هنا...) في عداد الغائب أو غائباكما في(هو، هي، هما...).[2]

[1]- ينظر لسانيات النص والتبليغ، عبد الجليل مرتاض ص106،107، 108بتصرف

[2]- فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو، الأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى1431هـــ - 2010م، ص143 بتصرف

الفصل الثالث

التحليل اللساني لرواية

"أنتم الآخرون"

لعبد الحليل مرتاض

مستويات التحليل اللساني

ويشمل المستويات الآتية:

1- المستوى الصوتي(الفونولوجي)

2- المستوى الصرفي(المورفولوجي)

3- المستوى التركيبي

4- المستوى الدلالي

«ويقترح اللسانيون أن يبدأ بالأصوات لأنها العناصر الأولى التي تشكل الكلمات أو الوحدات الدالة ثم ينظر في بناء الكلمة الصرف من حيث الشكل والوظيفة، وبعد ذلك يتناول تركيب الكلمات في جمل إسنادية، فيبين قواعده ومعانيه النحوية، ويخلص أخيرا إلى دراسة المعنى المحصل من معاني الكلمات معجميا وسياقيا من خلال تضافر القطاعات اللغوية والمعطيات الاجتماعية والثقافية»[1]

توزيع مقاطع النص:

المشهد الأول	المشهد الثاني	المشهد الثالث
من المقطع الأول إلى السادس	من المقطع السابع إلى الرابع عشر	من المقطع الخامس عشر إلى الواحد والعشرين

[1]– اللسانيات النظرية (دروس وتطبيقات)، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى 2012م

المستوى الصوتي

إن دراسة المستوى الصوتي في اللغة العربية لا يرقى إلى المستوى الذي تتميز به اللغة العربية بكثرة ألفاظها فضلا على مقاطعها، إلا شوارد من دراسات في القرآن الكريم، بحكم أنه المدونة التي احتوت على فلتات صوتية، ومظاهر نغمية، ولكن الدراسة الصوتية خاصة التنغيم هو أصعب ما تكون دراسته، وإن من كبار اللغويين ممن برزوا في مجال البحث اللغوي الحديث منهم تمام حسان يقر بذلك حيث يقول:« لا يفوتني هنا أن أشير إلى أن دراسة النبر، ودراسة التغيم في العربية الفصحى يتطلب شيئا من المجازفة، ذلك لأن العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها، و لم يسجل لنا القدماء شيئا عن هاتين الناحيتين، وأغلب الظن أن ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامية، لأن كل متكلم بالعربية الفصحى في أيامنا هذه يفرض علينا من عاداته النطقية العمية الشيء الكثير.»[1] ويتم دراسة الجانب الصوتي بدراسة أصغر وحد صوتية هي الفونيم وهي على نوعين:

1-الفونيمات التركيبية: «وهي التي تكون جزءا أبسط صيغة لغويةذات معنى، منعزلة عن السياق ويؤدي تغيرها إلى تغير في دلالة الصيغة ومعناها.وتشتمل اللغة العربية على ثمانية وعشرين فونيما أساسيا صامتا وعلى ستة فونيمات أساسية أخرى من الحركات.»[2]

ونحن في صدد دراسة النص الروائي الذي يدور حول شخصية القروي والقرية التي نشأ فيها فإنه يتحتم لزاما دراسة أصل مادة القرية(فهي مادة الرواية) المتكونة من ثلاث وحدات أساسية لمفردة

[1]- ينظر مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء،1407هـ-1986م، ص198

[2]- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، زهراء الشرق،القاهرة، الطبعة الأولى 2005م، ص 165

"القرية"، وهي: القاف، والراء، والياء، باعتبار أن هذه الوحدات الثلاث التي تتركب منها الوحدة ومشتقاتها، ودراستها على النحو الآتي:

الوحدة	صفته	دلالته
القاف	حرف مجهور، يكون أصلا لا بدلا ولا زائدا.[1]	يدل على القوة والشدّة والتمكن
الراء	حرف مجهور مكرر، يكون أصلا لا بدلا ولا زائدا.[2]	يدل على الاستمرار والتمدد.
الياء	حرف مجهور، يكون في الكلام أصلا و بدلا وزائدا[3]	يدل على اللين والسهولة.

فالوحدات الثلاث أصوات مجهورة مع الاختلاف في كون القاف مجهورا أو غير مجهور هو نتيجة الاختلاف في مفهوم الجهر بين القدماء والمحدثين، لاسيما أن صوت القاف المجهور الذي يسمع اليوم صوت حنكي لا لهوي كما وصفه القدماء، بينما صوت القاف اللهوي صوت مهموس كما ينطقه أكثر العرب اليوم وإذا كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية العربية القديمة، وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر[4] والصوت المجهور هو الذي تصحب نطقه ذبذبة في الأصوات"[5] إذ دلالة "القرية" الاجتماع، فهي من « قريت الماء قريا وقرى، جمعته القريُ جبي الماء

[1]- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح بن جني، ، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية،ابيروت، الطبعة الثالثة 2012م، ص287

[2]- نقس المرجع ص203

[3]- نفس المرجع ص 361

[4]- ينظر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط3 ،1417هـ-1997م، ص79

[5]- مناهج البحث في اللغة العربية، تمام حسان ص114

في الحوض»[1] والحروف المجهورة مجتمعة يأتي معناها الوضوح والبيان، واستعملها القرآن في موطن العقاب للدلالة على ظهور الترف والجهر بالمعصية، كما قال تعالى﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِن السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾.[2]

ومن دلالا تها التقليل، واستعملها القرآن كثيرا؛ إلا في مواضع تنبيء على أن معناها المدينة فيأتي ذكر المدينة بعدها، مثل قوله تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[3] ثم عقب عليها بقوله: ﴿ وَجاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى ﴾[4] فيتقارب معنى القليل في القرية في حرف القاف المنبور فيهما- أي في قاف القليل وقاف القرية- وتقارب الراء مع اللام لكونهما "حرفان ذلقيان، نسبة إلى موضع مخرجها وهو طرف اللسان"[5]

وفي دراسة الحقل الصوتي في الرواية اعتمدت على تحليل الكلمات العامية، كونها جانب يراعى فيه الخصوصية اللهجية مع ما تقتضيه من أصول لغوية من الفصحى، وقد جمعت الأقوال العامية من اللهجة المحلية الجزائرية الواردة في النص مع تحليلها صوتيا لتبيين صلتها بالعربية ودراسة الانزياحات الواردة فيها عن الفصحى في الجداول الآتية:

[1]-لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة "قرا" ج12 ص94

[2]- سورة العنكبوت الآية 38

[3]- سورة يس الآية 13

[4]- سورة يس الآية 20

[5]- النشر في القراءات العشر،محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، د ت ط، ج1، ص 200

الكلمة أوالعبارة العامية	اصلها الغوي	الانزياح الصوتي الوارد فيها	الملاحظات الصوتية
اللّي لدْغُو لْحَنَشْ يْخَفْ ملْحَبْل[1]	الذي لَدَغَه الحَنَش يخاف مِنَ الْحَبل	اللي: حذف الذال وانتقال حركته إلى اللام قبله لدغو: إسكان الثاني، ثم انتقال الصويت في هاء الضمير قبلها، ثم إبدال الهاء واوا مع مد الصويت (الضمة)مع الواو لْحَنَشْ :حذف الف التعريف، مع إسكان الثالث يْخَفْ:حذف ألف المد ملْحَبْلْ: إبدال الكسرة بالفتحة،وحذف النون وألف التعريف وإسكان مابعد لام التعريف	البدء بالساكن مد الصويت وإبدال ضمير الغائب بالمد من جنس الحركة قبلها توالي الساكنين حذف الصائت الطويل إسكان مابعد لام التعريف قرب النون واللام ،حيث تغلب اللام على النون بعد إدغامهما
اللّهْ غالَبْ[2]	اللهُ غالِب	اللهْ:الانتهاء بالسكون في آخرالكلمة غالَبْ: إبدال الكسرة بالفتحة في الثانية	الانتهاء بالسكون في أول الكلمة ، وتوالي الفتح في التي تليها بغبدال الكسر بالفتح
رْحى سِيدْ لْغريبْ[3]	رَحى سِيدِي الغَرِيب	إسكان الأول ،وحذف ياء المتكلم وإسكان ماقبلها، وإسكان مابعد لام التعريف	توالي ثلاث سواكن ، وإسكان المتحرك بعد حذف الحرف الصامت
اللهْ يَرْحَمْ اللّي قَرَّاكْ[4]	اللهُ يَرْحَمُ الذي أقْرَ أكَ	إسكان آخر كلام الجلالة وحذف الذال من الذي ونقل حركتها إلى اللام لتناسب الكسرة مع الياء وتشديد الراء للدلالة على العناية بالإقراء على صيغة لمبالغة.	تسكين آخر الكلمة نقل حركة الكسرة إلى الحرف قبلها لتناسبها مع الياء

[1]- أنتم الآخرون ص 11،20

[2]- نفس المرجع ص 16

[3]- نفس المرجع، ص 44

[4]- نفس المرجع ص 62

تُطَوِّلُ:الغالب أنه لا تكتب الطاء لكن يسمع تفخيم التاء لكون الطاء والتاء حرفان متجانسان فتصبح الثانية المفتوحة طاء وتبقى الأولى ساكنة فَخُوَيْكَ: إبدال الكسرة بالفتحة وحذف الياء، وحذف الهمزة،ثم حذف الهمزة، وبعد التقاء الساكنين الفاء والخاء مع فتح الخاء لتناسبها مع الواو وفتح التاء لخفة توالي الفتح العَمْدَ: حذف التاء المربوطة. عَلَيْكَ :إبدال الفتحة بالكسرة لتناسب الياء مع الكسرة، ثم حذف الياء وَعَلَ للهُ :حذف حرف العلة لتوالي الساكنين تُمَشِّيْ:حذفت النون ،و كسرت التاء إرجاعا إلى أصله في المفرد، ويوجد من العمامة ماتكتفي بحذف النون"تمشو" بِسَلَامَةْ نْشَاءالله: حذف الهمزة في بداية وفاية الكلمة	-إبدال حركة بأخرى وحذف الطويلة منها توالي الفتحة ، وضم ماقبل الواو إذا كانت ساكنة -حذف الهمزة في أول الكسرة وآخرها		
تَطَوِّلُ فَخُوَيْكَ ،الْعَمْدَ عَلَيْكَ وَعَلَ للهْ ، تَمَشِّيْ بِسَلَامَةْ ، نْشَاءالله. [1]	اتَطَوِّلْ[2] بِاخوتك ،العمدة عليك وعلى الله،تمشون بالسلامة إنشاء الله		

1- نفس المرجع ص27

2-تأمل واتطول: اتمدد أهلا، ينظر القاموس المحيط مادةزاً هـ ل)

لْحرامْ يَعجْبكْ ألْحلالْ مايَعجْبَكْشْ [1]	الحرام يُعجبُكِ والحلالُ لا يُعْجبُكِ	لْحرامْ حْلالْ:لهما نفس الوزن حذفت ألف التعريف منهما وسكنت الحاء تبعا للام يعَجْبكْ:فتح الياء مع فتح الرابع أما الثاني فهو لتوالي الحركات تخفيفا والشين للدلالة على النفي بعد كاف المخاطب	حذف ألف التعريف وإسكان مابعدها فتح أول ورابع المضارع على عكس الفصحى بضمّها استعمال الشين بعد كاف المخاطب للنفي لكونهما متقربان في المخرج
وَلْدْ عمّي يَرْفدْ لي هَمّي [2]	ولدُ عمّي يحْمِلُ لي هَمّي	ولْدْ: إسكان الثاني وانتهاء الكلمة بساكن أيضا يرْفدُ	توالي ساكنين بعد الفتح
تْقَدْرَتْ لَخْتَرْ مَيرْفْدُو غِيرْ مَّالِيهْ [3]	تَقدّرت الختر لا يرْفده غير مواليه		

[1]-نفس المرجع ص 119

[2]- نفس المرجع ص 120

[3]-نفس المرجع ص 120

ملاحظات عامة حول العدول الصوتي في العامية :

1-الإبدال:

أ-إبدال الصويتات:

-إبدال صويت بساكن، حيث تستسيغ العامية توالي ساكنين في بعض المقاطع، مثل:
الْحَنَشْ←لْحْنَشْ

-إبدال صويت بصويت آخر، مثل: يُعْجِبُكَ← يَعَجْبَكْ

ب- إبدال الصوامت:

-إبدال هاء الغائب- وهو شائع في العامية - بواو(صائت طويل) لسبقها الضمة (صويت) نحو:

لَدَغَهُ ← لَدْغُو / يَرْفُدُهُ ← يَرْفْدُو

-إبدال التاء طاء: حيث أن الكاتب كتبها(اطْهَلَّ) ولعلّها من نطق بعض الجهات غير أن بعض الجهات الأخرى تنطقها(اتْهلَّ) ولكن ليست تاء خالصة وإنما هي بين بين، فالتاء والطاء متقاربان في المخرج مختلفان في الصفة

2-الحذف:

-حذف صامت مع صائته: حيث حذفت الهمزة المكسورة في : إِنْشاء الله ← نْشا الله

3- الحذف مع الإبدال

-حذف صامتين مع إبدال صائت بصائت، وصائت بساكن كما في: بِالسَّلامة ← بَسْلامة

-إبدال صويت قصير و طويل بآخر مع إبدال صائت بصائت آخر، نحو: تَمْشُونَ ← تَمْشِيوْ

-حذف الصامت وإبداله بصامت آخر: الّذي ← اللِّي

4- الحذف مع النقل:

-حذف الصامت ونقل الاصائت إلى ما قبله: الذِي ← ال:

2-**دراسة المونيمات فوق التركيبية (التطريزية)**:«وهي التي لا تكون جزءا من تركيب الكلمة، وإنما تظهر وتلاحظ فقط حين تضم إلى أخرى، أي حين تستعمل الكلمةالواحدة بصورة خاصة، وتشتمل اللغة العربية على أربعة أنواع من هذه الفونيمات التطريزية وهي: النبر، والمقاطع الصوتية، والتغيم والمفصل. »[1] وتقتصر الدراسة على المقاطع الصوتية والتنغيم وشيء من النبر.

1-النبر:عرفه تمام حسان : «وضوح نسبي لصوت أو مقطع نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم»[2]

ارتأيت أن تكون اللهجة العامية المجال الخصب لدراسة المقاطع الصوتية في اللغة العربية بحكم أن الانزياح الوارد فيها هو من أثر النبر المنتقل في مفردات العامية عن العربية الفصحى وسيتضح من الجدول الآتي الذي يحتوي على جمل من العامية وقصدت دراسة مفرداتها، فتلخصت لدي الملاحظات المتمثلة في مجموعة الانزياحات الصوتية الواردة فيها.

[1] - الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، ص 166

[2] - مناهج البحث، تمام حسان ص 194

1-شخصيات الرواية الأساسية:

الكلمة	تقطيعها الصوتي	أصل الكلمة	تقطيعها الصوتي	أصل الكلمة
حْميدة	(ص+ص ح ح+ص ح ص)	حُمَيْدَة	(ص ح+ ص ح ص + ص ح ص)	أصلها بالتصغير حُمَيْد، ثم زيدت الهاء للوقف، ثم أضيفت الهمزة في أولها وصارت الحاء ساكنة، ثم حذفت الألف ثم كسرت الراء وسكنت الياء.
فْطِيمة	(ص+ ص ح ح+ ص ح ص)	فَطِيمَة	(ص ح+ ص ح ح + ص ح ص)	سكنت الفاء والأصل فتحها
بورْوَيّس	(ص ح ح ص+ ص ح ص+ ص ح ص)	أَبُو رُوَيْس	(ص ح+ ص ح ح+ ص ح+ ص ح ص)ص	حذفت الهمزة، ثم سكن الثالث

2- جمل وتركيبات:

-اللّي لدْغُو لْحْنَشْ يْخَفْ ملْحْبَلْ

(ص ح ص +ص ح ح)(ص+ ص+ص ح ح)(ص+ص ح ص)(ص ح ص+ص+ص ح ص)

-اللّهْ غالَبْ

(ص ح+ص ح ح ص)(ص ح ح+ص ح ص)

-رْحى سِيدْ لْغريبْ

(ص+ص ح ح)(ص ح ح+ ص)(ص+ص+ ص ح ح ص)

-اللّهْ يَرْحَمْ اللّي قَرَّاكْ

(ص ح+ص ح ح ص) (ص ح ص+ص ح ص) (ص ح+ص ح ح ص)

-لْحْرامْ يَعَجْبكْ أُلْحْلالْ ما يَعَجْبَكْشْ

(ص+ص+ص ح ح ص)(ص ح+ص ح ص+ ص ح ص)(ص ح ص+ص+ ص ح ح ص) (ص ح ح) (ص ح + ص ح ص+ ص ح ص+ ص)

-وَلْدْ عمِّي يَرْفدْ لي هَمِّي

(ص ح ص+ص)(ص ح ص+ ص ح ح) (ص ح ص+ص ح ص)(ص ح ح) (ص ح+ص ح ح)

-نَطْهَلَّ فَخُّوتَكْ ،الْعَمْدَ عْلِكْ وَعْلَ لْلَّهْ

(ص ح ص+ص ح ص+ص ح)(ص ح+ص ح ح+ ص ح ص)(ص+ص ح ص+ص ح)(ص+ص ح ص)(ص ح)(ص + ص ح)(ص+ص ح ح ص)

-تَمْشِيوْ بَسْلامَهْ، نْشَاالله.

(ص ح ص+ص ح ح ص)(ص ح ص +ص ح ح+ص ح ص)(ص +ص ح ح ص+ص ح ص)

والملاحظ في هذه المقاطع الصوتية العامية وجود مقاطع ليست في الفصحى الآتية:

1-البدء بالصوامت، وليس في الفصحى في بداية المقطع وجود صوامت بلا صوائت

(ص+ص ح ح) رْحَى، والأمثلة من العامية منها: حْمَى، سْما، رْعَى، خْلا...الخ

(ص + ص ح) عْلَ ويوجد في العامية منها: مْعَ، نْتَ،...الخ، والملاحظ أن هذا المقطع يشبه الذي قبله لكن الأول أصله في الفصحى بالألف، وقد ينطق بالقصر لكنه في المد أولى.

(ص+ص ح ص)يْخَفْ[1] ويوجد في العامية منها: يْحَبْ، فْحَمْ، لْعَبْ، سْمَعْ، جْرَبْ...الخ

[1]- هي في النص هكذا بلا ألف، والأصل أن تكون فيها الألف لأننا في العامية نمدها ولا نقصرها.

(ص+ص ح ص+ص ح) الْعَمْدَ، ويوجد في العامية منها: الْحسْبَ، الْكَلْمَ، الرَقْبَ...الخ والملاحظة أن هذه الكلمات وما شاكلها، محذوف منها تاء التأنيث.

(ص+ص ح ص) عْلِكْ، وقد ضبطت في النص هكذا، والظن أنها تنطق بصائت طويل "عْليكْ" مثل: طْويلْ، كْبيرْ، صْغيرْ، سْميدْ،...الخ، ويكون مقاطعها (ص+ص ح ص+ص)

(ص+ ص+ص ح ح) لْحْنَشْ، ويوجد في العامية منها:لْحْبَلْ، لْعْمَشْ، لْعْسَلْ، لْوْقَرْ، لْوْسَخْ...الخ، والملاحظ في المقاطع أنها تقع في الأسماء المعرفة بالألف واللام، والحرف الذي يكون بعد اللام أغلبها من الحروف القمرية، وكذلك في المقطع الآتي.

(ص+ص+ ص ح ح ص) لْغريبْ، لْحْرامْ، ويوجد في العامية منها: لْحْرُوزْ، لْحْبُوبْ، لْعْمُودْ،...الخ

2-توسط الصوامت لتوالي صامتين:

(ص ح ص+ص+ ص ح ح ص) أُلْحْلالْ، وغالب الظنّ عندي أن الهمزة التي في أول الكلمة بمثابة الصامت في مكان واو العطف قبلها "والْحَلال" فصار الصائت(الهمزة) بعدها فوق الهمزة وسكنت الحاء لتسهيل النطق، وهي توجد في المقطع الذي قبلها: أُلْحْرُوزْ، أُلْحْبُوبْ، أُلْعْمُودْ ،...الخ

(ص ح ص+ص+ص ح ص) مَلْحْبَلْ، ويوجد في العامية منها:فَلْقْبَرْ، مَنْ قْبَلْ، مَنْ خْبَرْ...الخ، والملاحظ أن هذه المقاطع تكون على هذا الوزن عندما يحذف الساكن من الحروف -التي تكون قبل الاسماء التي تكون على وزن الفَعَلْ، أو الفَعْل- أو تدغم في لام التعريف كالنون.

3-انتهاء بصامت مع صامت آخر

(ص ح + ص ح ص+ ص ح ص+ ص) يَعَجْبَكْشْ، وهذا المقطع ينتج عند اجتماع ضميرين: كاف الخطاب، والكاف الزائدة التي تشبه كاف الكشكشة، وهي« لغة لربيعة، يقولون عند كاف التأنيث: عليْكِشْ، إليكِشْ، بِكِشْ، بزيادة شين»[1]

2-التنغيم: عرفه تمام حسان ونقله عنه أكثر المُحْدثين الذين تكلموا في علم الأصوات: « ارتفاع الصوت وانخفاضه اثناء الكلام؛ وربما كان له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام، فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه : " أنت محمّد " مقرّرا ذلك أو مستفهما عنه وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها.»[2] وفي تحليل النص الروائي ومعرفة تنغيماته، فقد جاءت مقاطع ومشاهد النص الروائي بأسلوب غلب عليه الأسلوب الإنشائي، و لم يكن السرد الحكائي غائبا عنه، وإنما كثرت مفاصله من حيت التأكيد بالنفي والاستفهام والحصر، وأحيانا تأتي فقرات تفصل المعدودات بالعطف، فهذه الأساليب الأربعة كثر حضورها في مقاطع النص، فكان تأثيرها على نغماته ونبر كلماته بما تؤول إليه عملية الفرز والإحصاء للنص، و« يظهر أن التنغيم أدى وظيفة الترقيم في الكتابة، هذه الوظيفة التي غفل عنها القدامى اتكالا على التعليق بالنغمة، إذ كان من الممكن فهم النصوص على مافيها من تنغيم وسكتة، ولما لا يعاد قراءة بعض القضايا النحوية على

[1]- كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 1424هـ-2003م، ج4، ص 32 .

[2]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 198

ضوء الدراسات الصوتية الحديثة؟» [1] لذلك آثرت إحصائها لعقد المقارنة فيها ومع غيرها وتوضيح المستوى النغمي لها. و لاستخلاص هذا المستوى وجدت لعلمين من أعلام اللغة والصوتيات ذكرا منهجا لدراسة المستوى التنغيمي في العربية، وهما تمام حسان و سلمان العاني، مع أن تمام حسان أقرّ بصعوبة هذه الدراسة في كلامه الآنف.

أولا عند تمام حسان:

الإيجابي الهابط: تأكيد الإثبات، والنبر على الضمير واسم الإشارة مثل : هو الذي قام، أنت فعلت، والاستفهام ب: كيف، وأين، ومتى.

الإيجابي الصاعد: الاستفهام بـــهل و الهمزة.

النسبي الهابط: التحية، والكلام التام، وتفصيل المعدودات، والإثبات غير المؤكد والنداء، والاستفهام بغير هل والهمزة.

النسبي الصاعد: الاستفهام بلا أداة، أو بِهل والهمزة.

السلبي الهابط: التسليم بالأمر، نحو" لاحول ولاقوة إلا بالله"، وعبارات الأسف والحسرة.

السلبي الصاعد: التمني والعتاب.[2]

[1]- النبر والتغيم في اللغة العربية، والي دادة عبد الحكيم، رسالة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان1418هـ 1998م

[2]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسن، دار الثقافة، الدار البيضاء،1407هـ 1986م ص 201 بتصرف

وقد أعدّ سلمان العاني في كتابه "فونولوجيا العربية" ونقله عنه غانم قدوري الحمد –في كتابه:"علم أصوات العربية" – دراسة تطبيقية، وجعل النظام النغمي أربعة مستويات لدرجة الصوت، وتعرف هذه المستويات بالأرقام وعلى النحو الآتي:

1: درجة منخفضة.

2: درجة متوسطة.

3: درجة عالية.

4: درجة عالية جدّا.

ومن المؤكد أن هذه المستويات الأربعة ليست مطلقة، بل نسبية، ويمكن أن نوجز نتائج تلك الدراسة فيما يأتي:

الجملة الخبرية: النمط الغالب2-2-1

الأمر: النمط الغالب:2-3-1

الاستفهام: النمط الغالب:3-2-1

النداء: النمط الغالب2-3-1

التعجب:2-3-1 [1]

فعن هذين العلمين أخذت النظام النغمي وآثرت في دراستها تحليل مقطع النص"الروائي" ورأيت أن النص يغلب عليه أسلوب الاستفهام والنفي والحصر، وقمت بالإحصاء في الجداول الآتية:

[1]– التشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1،1403 هـ–1983م

1–النفي

المشهد الأول

أدوات النفي	المقطع 1	المقطع 2	المقطع 3	المقطع 4	المقطع 5	المقطع 6	المقطع 7	المجموع	النسبة
لا	73	09	06	19	22	47	21	197	58.45
لم	23	01	02	10	14	16	13	79	23.44
ليس	12	03	01	05	04	07	02	34	٪10.08
ما	09	/	/	/	03	/	01	13	٪3.85
لن	06	01	/	/	01	/	01	09	٪2.67
غير	/	/	/	/	/	01	01	02	0.59
دون	/	/	/	/	/	/	/	00	00
مازال	01	/	/	/	/	02	/	03	0.002
ألا	/	/	/	/	/	/	/	00	00
المجموع	124	14	9	34	44	73	39	337	

شكل رقم 01

المشهد الثاني

أدوات النفي	المقطع 08	المقطع 09	المقطع 10	المقطع 11	المقطع 12	المقطع 13	المقطع 14	المجموع	النسبة
لا	18	10	17	22	36	21	26	150	49.01
لم	32	/	10	/	25	05	13	85	27.77
ليس	03	/	04	08	04	01	10	30	09.80
ما	/	01	/	03	03	01	04	12	03.92
لن	/	07	/	/	/	02	07	16	05.22
غير	/	/	/	/	/	02	01	03	0.98
دون	/	/	/	/	01	01	01	03	0.98
مازال	/	01	01	/	/	/	01	03	0.98
ألا	/	/	/	/	/	01	03	04	01.30
المجموع								306	

شكل رقم 02

المشهد الثالث

أدوات النفي	المقطع 15	المقطع 16	المقطع 17	المقطع 18	المقطع 19	المقطع 20	المقطع 21	المجموع	النسبة
لا	24	25	27	38	29	27	34	35.05	
لم	20	13	28	40	20	20	27	27.83	
ليس	04	/	03	06	03	07	12	12.73	
ما	02	06	04	03	/	/	05	05.15	
لن	06	05	04	/	01	06	13	13.40	
غير	/	01	/	03	03	/	03	03.09	
دون	/	01	/	01	01	01	01	01.03	
مازال	/	01	/01	/	/	/	01	01.03	
ألا	/	/	/	/	/	01	01	01.03	
المجموع	36						97		

شكل رقم 03

2-الاستفهام

المشهد الأول

	المقطع 01	المقطع 02	المقطع 03	المقطع 04	المقطع 05	المقطع 06	المقطع 07	المجموع	النسبة
أ(الهمزة)	/	/	/	/	01	11	02	14	22.22
لماذا	06	/	/	/	/	02	02	04	06.34
ماذا	02	01	/	01	08	02	/	14	22.22
هل	01	/	/	02	01	/	/	04	06.34
مَن	/	/	/	02	04	01	/	07	11.11
كيف	/	/	/	/	01	02	/	03	06.76
ألم	/	/	/	01	03	01	/	05	07.93
ما	/	/	/	/	/	/	/	00	00
أين	/	/	/	/	/	02//	/	02	03.17
أي	02	/	/	/	01	/	/	03	06.76
ألا	/	/	/	/	/	/	/	00	00
أنى	03	/	/	/	/	/	01	04	06.34
متى	/	/	/	/	/	/	/	00	00
أليس	/	/	/	/	01	01	/	02	03.17
أما	/	/	/	/	/	/	/	00	00
بغير أداة	/	01	/	/	/	/	/	01	01.58
المجموع								63	

شكل رقم 04

المشهد الثاني

	المقطع 08	المقطع 09	المقطع 10	المقطع 11	المقطع 12	المقطع 13	المقطع 14	المجموع	النسبة
أ(الهمزة)	01	/	02	04	09	02	/	15	27.27
لماذا	01	/	02	02	03	01	02	11	20
ماذا	03	/	/	03	/	/	01	07	12.72
هل	/	/	/	02	/	/01	/	03	05.45
مَن	/	/	/	02	/	/	/	02	03.63
كيف	01	/	/	/	/	/	/	01	01.81
ألم	/	/	/	/	/	/	/	00	00.
ما	01	01	/	02	/	/	03	07	12.72
أين	/	/	/	/	/	02	/	02	03.63
أي	/	/	/	/	/	/	01	01	01.81
ألا	/	/	/	/	/	04	/	04	07.27
أنى	/	/	/	/	01	/	/	01	01.81
متى	/	/	/	/	/	/	/	00	00
أليس	/	/	/	/	/	/	/	00	00
أما	/	/	/	**01**	/	/	/	01	01.81
بغير أداة	/	/	/	/	/	/	/	00	00
المجموع								55	

شكل رقم 05

المشهد الثالث

	المقطع 15	المقطع 16	المقطع 17	المقطع 18	المقطع 19	المقطع 20	المقطع 21	المجموع	النسبة
أ(الهمزة)	01	/	01	05	01	05	09	22	22.68
لماذا	02	02	/	/	01	03	01	09	09.27
ماذا	05	01	03	/	/	07	03	19	19.58
هل	/	01	04	02	/	02	03	12	12.37
مَن	02	/	02	02	/	01	01	08	08.24
كيف	02	01	03	02	/	01	01	10	10.30
ألم	/	/	02	/	02	01	03	08	08.24
ما	01	01	/	01	/	/	02	05	05.15
أين	02	02	/	/	01	/	02	07	07.21
أي	01	/	/	/	/	01	01	03	03.09
ألا	/	/	/	01	/	02	03	06	06.18
أنى	/	/	/	/	/	/	/	00	00
متى	01	/01	/	/	/	/	/	02	02.06
أليس	/	/	01	/	/	/	/	01	01.03
أما	/	01	01	/	/	/	/	02	02.06
بغير أداة	/	/	/	/	01	/	/	01	01.03
المجموع								97	

شكل رقم 06

الحصر و القصر

	لا إلاّ	لم إلاّ	ما إلاّ	لن إلاّ	ليس إلاّ	أبى إلاّ	المجموع
المقطع01	01	/	01	/	/	/	02
المقطع02	/	/	/	01	/	/	01
المقطع03	/	01	/	/	/	/	01
المقطع04	02	04	/	01	/	/	07
المقطع05	04	/	01	/	01	01	07
المقطع06	07	01	04	01	01	/	14
المقطع07	02	01	01	/	/	/	04
المجموع	**14**	**07**	**06**	**03**	**02**	**01**	**36**
المقطع08	02	02	/	/		/	04
المقطع09	/	/	/	01	/	/	01
المقطع10	03	02	/	/	/	/	05
المقطع11	03	/	01	/	/	/	04
المقطع12	06	/	02	/	02	02	12
المقطع13	09	01	01	/	/	/	11
المقطع14	05	03	02	02	/	/	12
المجموع	**28**	**08**	**06**	**03**	**02**	**02**	**49**
المقطع15	04	04	/		/	/	08
المقطع16	05	03	02	02	/	/	12
المقطع17	07	03	/	/	01	01	12
المقطع18	01	06	03	/	01	01	13
المقطع19	11	04	/	/	/	/	15
المقطع20	05	02	04	/	02	02	15
المقطع21	07	02	01	01	01	01	13
المجموع	**40**	**24**	**10**	**03**	**05**	**05**	**75**
المجموع الكلي	**74**	**44**	**23**	**09**	**09**	**08**	**160**
النسبة	**40.21**	**23.91**	**12.5**	**04.89**	**04.89**	**04.34**	

شكل رقم 07

يتضح من الأشكال السابقة، أن النفي هو أكثر الأساليب حضورا في المشاهد الثلاثة خاصة في المشهد الأول والثاني، بينما يتقارب مع كل من أسلوبي الاستفهام والحصر، وهذين الأسلوبين- أي الاستفهام- والحصر تكاد تتكافؤ في المشاهد الثلاثة، فتكون النسبة في الشكلين التاليين كالآتي:

	المشهد الأول	المشهد الثاني	المشهد الثلث	المجموع	النسبة
النفي	337	306	97	740	%61.15
الاستفهام	63	55	97	215	%17.76
الحصر	36	49	160	255	%21.07

شكل رقم 08

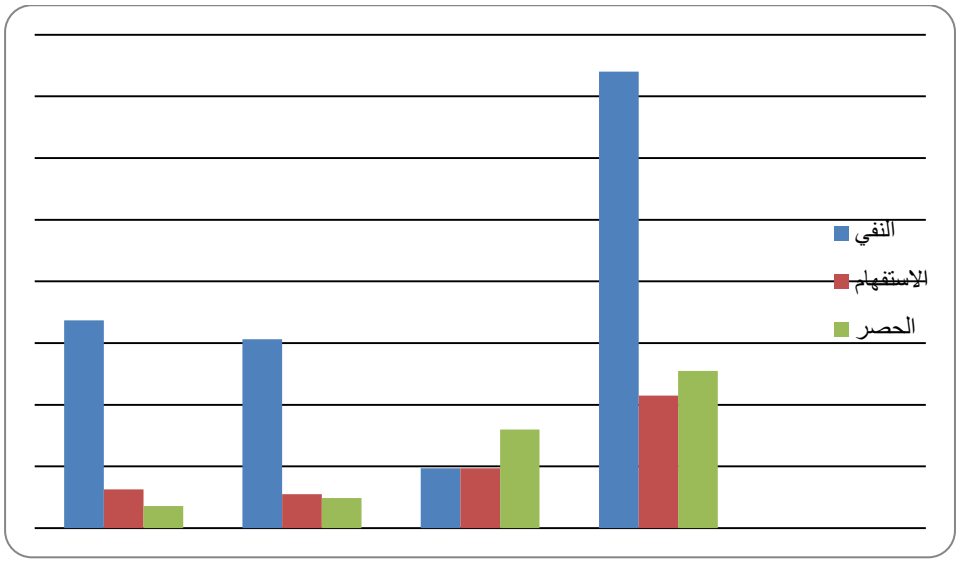

شكل رقم 09

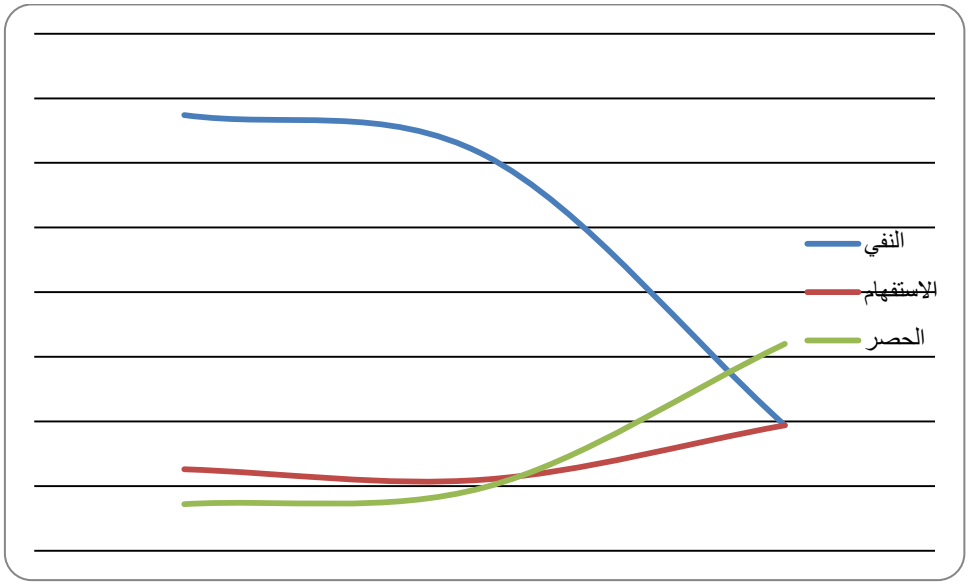

شكل رقم 10

تفصيل المعدودات

المقطع	01	02	03	04	05	06	07	08	09	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21
عدد التفصيلات	03	01	01	05	03	4:الواو 1:بلا الثانية	01	02	02	02	02	01	01	01	02	02	04	04	01	01	00
أداة التفصيل	الواو	الواو	الفاصلة	3:الواو 2:بلا الثانية	الواو		الواو مع لا الثانية	الفاصلة والواو	الفاصلة والواو	الفاصلة ولا الثانية	الواو	الواو ولا الثانية	الواو ولا الثانية	الواو	الواو ولا الثانية	الواو ولا الثانية	3:الواو 1:الفاصلة	2:الواو 1:الواو والفاصلة	الواو	الفاصلة	/
العدد الإجمالي	المشهد الأول:18									المشهد الثاني:12								المشهد الثالث:14			

استنتاج

من خلال هذا الإحصاء والاستظهار لأنواع الأساليب المستعملة في النص، يتلخص لنا مايلي:

من (الشكل09) يتبين لنا أن الاستفهام والنفي هما أكثر ورودا في النص، وعليه

المرتبة الأولى

نغم النسبي الهابط (الكلام التام) وذلك حيث يكثر النفي- والنفي هو من الكلام التام- والاستفهام بغير هل والهمزة، وتفصيل المعدودات(شكل رقم11) لكثرتها هذا النغم عند تمام حسان ويقابله عند حسن العاني الجملة الخبرية من النوع المتوسط.

المرتبة الثانية

نغم الإيجابي الصاعد (الاستفهام بالهمزة) لكونها اكثر الاستفهام، وهي مقطع وحيد يقع عليها النبر وهي أكثر ورودا من خلال الأشكال: 04 و05 و06 ويقابله درجة عالية عند حسن العاني.

-يؤدي أسلوب الحصر(شكل 07) دور التقطيع فالحصر يحوي الاستثناء وأكثر ما يكون بأداة "إلاّ" ويقع النبر عليها.

ونخلص إلى أن وتيرة النص هي متوسطة تعلوها نبرات في شكل استفهام-خاصة همزة الاستفهام- فيقوى عندها النغم ويرتفع، وأحيانا يكون هذا النغم المتوسط كثير التمفصل عند الاستثناء.

ينتهي بنا المقام في النص الروائي إلى سرد المحسنات البديعية الواردة في النص الروائي وهي كثيرة ومتنوعة، تدل على تفنن عبد الجليل مرتاض في كتاباته، فهو ابتعد عن التكلف في الصنعة اللفظية والتعقيد المعنوي للجمل إلا أنه استعمل أنواع المحسنات البديعية من حين لآخر، أضفت على النص نوعا موسيقيا وذوقا أدبيا خاصا. إضافة لأنواع البديع المعروفة مثل الجناس والطباق والمقابلة استعمل بعض المحسنات غير المعروفة، ومع تعدادها يمكن استخراج أنواع هذه البديعيات من مظان الكتب مثل البديع لابن معتز والكافية للحلي، وغيرهما، وهذا تعريف نوع منها وأردفت ذلك بسردها في جداول حسب كل مشهد.

الجناس المقلوب: «ما تساوت حروفه في في العدد والوزن، وتفاوتت في الترتيب»[1]

الاشتقاق: «أن يشق من الاسم العلم معنى في غرض يقصده المتكلم من مدح أو هجاء أوغيره»[2]

المشاكلة: «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته»[3]

الترصيع: «مقابلة كل لفظة، من صدر البيت أو الفقرة من النثر بلفظة من وزنها أو رويها وإعرابها غالبا»[4]

التعديد: «وسماه قوم سياقة الأعداد، وهو إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد، فإن روعي في ذلك

[1]- نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية، صفي الدين بن سرايا الحلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1421هـ-2000م، ص98

[2]- نفس المرجع، ص172

[3]- نفس المرجع، ص 168

[4]- نفس المرجع، ص 174

إزدواج أو تجنيس أو مقابلة فذلك الغاية في الحسن»[1]

المناسبة: الإتيان بكلمات متزنات مقفاة وغير مقفاة»[2]

المزاوجة: الإتيان بمتماثلين في أصل المعنى والاشتقاق فحسب. »[3]

التكميل: إتيان المتكلم بمعنى تام من وصف أو مدح أو ذم أو غيره، ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك فقط.»[4]

المحاذاة الصوتية: تغيير يطرأ على بنية الكلمة وصيغتها لكي تتفق مع كلمة سابقة عليها أو لاحقة في الوزن الصرفي.»[5]

[1]- نفس المرجع، ص 252

[2]- نفس المرجع، ص146

[3]- نقس المرجع، ص253

[4]- نفس المرجع، ص 147

[5]- موسيقى اللغة، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1428هـ - 2008م، ص37

جدول المحسنات البديعية مع تصنيفها:

	المحسنات البديعية	نوعها
المشهد الأول	أقاموا الدنيا وأقعدوها[1]	طباق الإيجاب
	والجهر بالمسكوت عنه[2]	طباق الإيجاب
	كان آمالهم وآلامهم [3]	طباق المقلوب
	أيام المحن والإحن[4]	المزاوجة
	سيان عنده البقاء والخلود[5]	التكميل
	لا يفكر في جنة ولا نار[6]	طباق الإيجاب
	يراه لأول مرة ويباينه لآخر مرة[7]	طباق المقابلة
	وجود طور في جبل ناطور[8]	المزاوجة
	قد يكون جيدا وقديكون سيئا[9]	طباق المقابلة
	هترا عربيا وهتليرا ألمانيا[10]	المزاوجة
	(تزداد قراهم غنى وقرانا فقرا) (ليتفقه علماو ينحط جهلا) (ترتفع،وتتدنى)(يتضاءل،يتفاقم)[11]	طباق المقابلة
	(تيئيما وتثكيلا و تيتيما) ليلا من الرحمن ونهارا من الشيطان[12]	المحاذاة الصوتية طباق المقابلة

[1]- نفس المرجع ص 19
[2]- نفس المرجع ص 23
[3]- نفس المرجع ص 23
[4]- نفس المرجع ص 29
[5]- نفس المرجع ص 29
[6]- نفس المرجع ص 29
[7]- نفس المرجع ص 30
[8]- نفس المرجع ص 31
[9]- نفس المرجع ص 33
[10]- نفس المرجع ص49
[11]- نفس المرجع ص48
[12]- نفس المرجع ص49

	المحسنات البديعية	نوعها
المشهد الثاني	كالليل سوادا والجراد عددا[1]	ترصيع
	بما في ذلك عقرك وفقرك[2]	الإتباع
	قريتي ما قريتي[3]	التكرار
	غدا القوي والضعيف،العاصي والمطيع[4]	تعديد مع الطباق
	إذا شاء مدّه وإذا شاء قصره[5]	جناس المقابلة
	طوعا أو كرها[6]	طباق الإيجاب
	يرفضون،يقبلون[7]	طباق الإيجاب
	(تُؤمر بأمر الخليفة وتُزجر بزجره) (الذلولون الأذلّة)[8]	الاشتقاق
	اشتدّ عجبي وإعجابي[9]	الإتباع
	علم الثلث الثالث[10]	الإتباع

[1] - نفس المرجع ص64

[2] - نفس المرجع ص76

[3] - نفس المرجع ص78

[4] - نفس المرجع ص84

[5] - نفس المرجع ص85

[6] - نفس المرجع ص101

[7] - نفس المرجع ص103

[8] - نفس المرجع ص110

[9] - نفس المرجع ص113

[10] - نفس المرجع ص115

	المحسنات البديعية	وعها
المشهد الثالث	وَبَلا وابِلا من الدموع[1]	الإتباع
	صدّقوا بعضها وكذّبوا بعضها[2]	طباق المقابلة
	بعد جهد جهيد[3]	الإتباع
	هلع، يأس،جبن[4]	تعديد
	اليائسة البائسة[5]	الإتباع
	ماخرجت من أجله عارا وشنارا[6]	الإتباع
	إن القرويين همُ همُ [7]	التكرار
	يحب ما يمقت، ويمقت مايحب [8]	طباق العكس
	الطيور تطير [9]	الاشتقاق
	وسوست لي الوساوس وهجست في نفسي الهواجس [10]	المناسبة والاشتقاق
	يكفكف دموعه ويتمتم شيئا ما[11]	المناسبة
	تحيا ميتة وتسعد شقية[12]	المشاكلة
	حديثهم نهارا،وسمرهم ليلا [13]	طباق المقابلة

[1] - نفس المرجع ص137
[2] - نفس المرجع ص139
[3] - نفس المرجع ص141
[4] - نفس المرجع ص143
[5] - نفس المرجع ص143
[6] - نفس المرجع ص144
[7] - نفس المرجع ص144
[8] - نفس المرجع ص148
[9] - نفس المرجع ص151
[10] - نفس المرجع ص152
[11] - نفس المرجع ص161
[12] - نفس المرجع ص164
[13] - نفس المرجع ص165

تابع المشهد الثالث	فوهته السفلى أطين من خرجته العليا[1]	طباق المقابلة مع المناسبة
	كريات سيئة و أخرى حسنة[2]	طباق الإيجاب
	وسيم الطلعة، مليح الهيئة[3]	المناسبة
	أدراجهم من حيث درجوا[4]	الاشتقاق
	تسامحها وسماحتها[5]	طباق المقلوب
	عرف ما يحبون وما يكرهون[6]	طباقالمقابلة
	مغرم بقريته، مفعم بحبها[7]	المناسبة

[1] - نفس المرجع ص169

[2] - نفس المرجع ص168

[3] - نفس المرجع ص171

[4] - نفس المرجع ص177

[5] - نفس المرجع ص179

[6] - نفس المرجع ص181

[7] - نفس المرجع ص181

المستوى المورفولوجي

(الصرفي)

1-تحليل مورفولوجي للعنوان :

من خلال عنوان "النص" الرواية "أنتم الآخرون" يظهر أن استعمال الضمير مع الوحدة المقترنة بـــ "أل"، له معنى غامض ومتناقض ،لكن مع المتأمل يتبين أن هناك إضمارا والمعنى "أنتم هم الآخرون" بإضمار ضمير الغيب، أو بإضمار حرف العطف مع بيان الحال فيكون المعنى "أنتم والآخرون سواء"، واختصار المؤلف العنوان في ضمير مع وحدة (تشخيصية) هو اختصار في المعنى واقتصاد في المبنى، حتى يكون له الأثر والوقع في نفس القارئ، فتكون مرسلة بمثابة شفرة مغلقة تنفتح بقراءة النص ومعرفة سياق ورود الضمير مع اقترانه مع وحدة دلالية، ويتكون من شقين أحدهما ظاهر أفقي والآخر باطن عمودي، ويكون على الشكل التالي:

أفقيا أنتم: وحدة مورفولوجية حرة

أل: وحدة مورفولوجية مقيدة

آخرون: وحدة لغوية دالة.

عموديا ون: وحدة مورفولوجية مقيدة.

من خلال هذا يتبين لنا أن الضمير المنفصل مع الضمير المتصل "أنتم" و"الواو والنون" للجماعة يكوّنان علاقة تبادل وتساوي، بينما الرابط بينهما هو الألف واللام للعهد، فيكون دلالة ضمير الحاضر (المخاطب) هو نفسه ضمير الغائب الذي يتمثل في الواو والنون، لكنه لم يظهر في ضمير الغيبة

فهو يستمد معناه من الوحدة اللغوية التي تقيد بها، وهذه البنية العميقة تمثل الشق العمودي لعنوان "النص" فهو يريد أن يقول أنتم الحاضرون، أنتم أنفسهم السابقون (الغائبون).

يبدأ النص بالخطاب والتساؤل: "لماذا يتهيأ لك أن تلموني، وتستصغر شأني؟ " [1]

واقتران الخطاب بالسؤال هو لا شك أنه في زمن حاضر، فتأتي أفعال هذا الخطاب طيلة الفقرة الأولى ليضيف إليه ضمير المخاطب "أنت" لا تعرف الحب، إلى نهاية الفقرة أنت، لكن يصبح المتكلم مخاطبا بهذا الضمير، وهنا الارتداد في الخطاب دلالة "حوار" بين المتكلم ومخاطبه، واستعمال الفعل المضارع للدلالة على الديمومة والاستمرار.

من خلال بداية النص يتضح أنه سيكون صراع ويحدد المتكلم سبب الصراع وهو حبّ القرية، ولعلنا نسجل أن هذا الحب الذي يقصده المتكلم الذي كرره في الفقرة الوجيزة بعدة مشتقات لهذه الوحدة :" أحب"(فعل مضارع) ، "حبا" (مفعول مطلق) "الحب" (مصدر)

أو شتى أنواع صيغ الوصف:

"حبّا لا يحد له حب" ،"لم يكن حبا امتزج" ،"بريقا من الحب"، "لا تعرف الحب درجاته ومراتبه"[2]

"الحب التقليدي القديم". فهذا التكرار بمشقات مفردة "الحب" وأوصافها حي غير عادي، هو يمس القرية، إذا هو حب ليس غزليا، ولا عذريا، إنه حب في هذه القرية فماذا يكون قصده من القرية؟

[1]- أنتم الآخرون(رواية)عبد الجليل مرتاض ص07

[2]-نفس المرجع ص 07

-مفردة القرية ودلالات مشتقاتها:

في الجدول الآتي ذكر للفظ القرية وأهم ما ورد من مشتقاتها للدلالة على استعمالها في سياقات مختلفة، ودلالات متنوعة، مما يوضح أهمية المفردة ودلالاتها عند الكاتب.

لفظ القرية وما اشتق منها	بنيتها الصرفية	دلالتها
القرية	معرفة بالألف واللام	الوطن، البلدة(مسقط الرأس)، المدينة الفاضلة
قريته	مضافة إلى ضمير الغائب	الضمير للشأن، دلالة كون القرية لها شأن عنده
قريتي	مضافة إلى ياء المتكلم	زيادة ياء المتكلم، دلالة كون القرية ملك له
أم القرى	مضافة إلى اسم ظاهر	إضافة أم للدلالة على أنها أصل القرى كلها، بل أصل حب البلدان كما هو شأن مكة .
القرية اليابسة قرية منسية	الوصف المنضبط	للدلالة على البؤس والشقاء من أثر الاستعمار ومخلفاته من الفقر والجهل والوضعية المزرية
القرية الثانية	الوصف بالعدد	معناها الديني الدار الآخرة، فأصبحت الدار الدنيا هي القرية الأولى بمفهوم المخالفة
القرى الشمالية والجنوبية	جمع قرية موصوف	البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة
القرويون(المحنكون والثوريون، والمتقدمون ، والجهلة)	جمع قروي موصوف	كل على حسب مايوصف: المتقدمون، والثوريون، والجهلة، ...
القروية:محكمة قروية، الثورة القروية، كلمات قروية	صفة لعدة مسميات	وصف لعدة مسميات غير عاقلة

2-دلالات أخرى للقرية ومشتقاتها:

1- مفردة القرية

ومفهوم القرية حسب ما يرد في المعاجم أنه المصر الجامع [1] ، وقال ابن منظور: القرية من المساكن والضياع، وقد تطلق على المدن، والجمع قرى على غير قياس[2]

لكن المؤلف جعل من القرية **رمزا** ومنطلقا لكل ما تحويه الوجود البشري، فالناس قرويون، والمدينة قرية، ومسقط رأس الشخصية البطلة للرواية قروي، وهناك قرويون في الشمال والجنوب ،والحياة كلها قرية وهي القرية الأولى، فتراوحت مشتقات القرية والقروي، ما بين وصف، وإضافة على نحو متغاير، وأفادت كل حسب سياقها.واستعمالات القرية في القرآن هو لضرب الأمثال، كما في قوله تعالى﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾[4] واستعملها الكاتب هنا ليضرب المثل، ويبين مشاهد النص عبر قروية تعتريها تلك الخصائص القروية مثل الليونة والبساطة من جهة، ومن جهة أخرى ترد بمفهوم المدينة والحضارة والتمدن، فالقرية عادة ما تكون قليلة السكان والمرافق، والقرآن يصف القرية أكثر ما يصفها في القبح والعذاب حيث لا يخفى أمرها على الله، ومن ثم استعملها الكاتب للدلالة على أن هذا العالم الحديث

[1]– القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، باب "الواو والياء"مادة " قري" ص1191

[2]– لسان العرب، جمال الدين بن منظور،مادة قرا، ج 12، ص93

[3]- سورة النحل الآية112

[4]–سورة يس الآية13

والمعاصر مع ما وصل إليه من تطور أصبح عالما صغيرا مثل القرية يعرف أهلها بعضهم بعضا، ليس كالمدينة الناس كثيرون ، ولذلك يرد التساؤل في القرية بلفظه مثل قوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾ .[1]

2- أم القرى"

كلمة "**أم القرى**" لها دلالات:

1 - دلالة دينية: وهي تعود بنا إلى السيرة النبوية، والقرآن الكريم حيث ذكرت في القرآن في قوله تعالى: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾[2].

2 – دلالة نفسية: وهي حب القروي قريته إلى درجة الحب العذري أو الغزلي الذي يفرقه عن أصحابه في ذلك من كتب التاريخ و القصص, فالقرية عنده هي ذلك المحبوب الذي يتغزل به.

3 – دلالة اجتماعية: وهي علاقة القروي بمحيطه، وهي علاقة لا يخلو منها أي إنسان يشب ويكبر في مدينته وقريته ويتعلق بها، وهي سنة كونية في النفوس والمجتمعات.

4 – دلالة سياسية: وهي حب الوطن وهي ما سيطلعنا عليه "النص" في الكفاح من أجل التحرر والملاحظ في هذا التناص الذي أدخله الكاتب في النص، بينما نجده يذكر على لسان القروي وينسبها إلى نفسه في بـــ "قريتي" فأصبحت نغما يرددها في بعض المقاطع بدلالات مختلفة.

[1]– سورة يوسف، الآية 82

[2]-سورة الشورى الآية07

3- مفردة قريتي

1 - حب وانشغال وذود عن القرية

"حسبني ما فيه انشغال بقريتي" [1]

"أما أنا فسأوذود حتى النهاية عن قريتي" [2]

"ولعي الفياض بقريتي الشمسية اليابسة " [3]

2 – مكانة قريته وعلوها وكثرة خيراتها: "كل ما في قريتي كامل"

"لو لم تكن هناك إلا لعبة واحدة لكانت قريتي " [4] "لم تحرم قريتي حرمانا كليا" [5]

"أدوية أدواء قريتي نسيمها العليل" [6] "تترع قريتي من أجلها سروالها" [7]

3 – القرية قوية بأبناءها:

–"لم يعد في قريتي خائن ولا جبان." [8]

[1]-- أنتم الآخرون(رواية)عبد الجليل مرتاض ص76
[2]-نفس المرجع ص77
[3]-نفس المرجع ص77
[4]-نفس المرجع ص77
[5]-نفس المرجع ص77
[6]-نفس المرجع ص77
[7]-نفس المرجع ص78
[8]-نفس المرجع ص78

- "لماذا يخشى أبناء قريتي غزاة من القطط" [1]

"لأني أكتب لقرويين يفهمونني، ويقدرونني أكثر ولكنهم لم يتواجدوا في قريتي "[2]

وهذه الدلالات الثلاث: الحب والمال والرجال تكوّن قوة الوطن وعزته، وتحقق نسبة المواطنة إلى قاطنيها قوة وعزة الوطن. ولا شك أن المقطع الأول الذي خص بالكلام عن القرية بلسان الشخصية البطولية في النص يمثل نبرة دلالية للتعبير عن أهمية القرية عند القروي، بل عند غيره، حيث ارتبطت مفردات القرية من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب وهو يخاطب أهل قريته.

"لعلكم ترجعون إلى أنفسكم وتنشغلون بها" [3]

"دينا لا يسمن ولا يغني قريتكم المهددة في عقر دارها من جوع الخليفة حاد."[4]

ولعل من هذا المقطع يتبين أن القرية التي يتغنى بها القروي وهي التي تتمتع بهذه الميزات مهددة من هذا الذي يسمى بالخليفة –سيأتي الكلام عنه– يهدد القرية بالجوع ونهب خيراتها ولذلك فهو يشير إلى الجمع بين هذين النقيضين في المقطع ذاته بقوله:

"ولعي الفياض بقريتي الشمسية اليابسة".[5]

[1]-نفس المرجع ص78
[2]-نفس المرجع ص78
[3]-نفس المرجع ص77
[4]–نفس المرجع ص76
[5]- نفس المرجع ص 77

فالجمع بين الشمس واليابسة فيه دلالة على الجمع بين المتناقضين؛ الشمس التي تدل على ما تطلع عليه من أنهار وبساتين وخضر، وبين اليبس الذي يدل على افتقارها من هذه الخيرات و مما أفاء الله عليها.

4-وصف القرية

لم يرد في النص وصف القرية في مثل هذا الوصف إلا الأوصاف الآتية:

"كنت كلما عدت من هذه الجزيرة إلى تلك القرية اليابسة إلا ومقت نفسي مقتا شديدا"[1]

"من أين لأمه الرابضة في قرية منسية معلقة في ربوات".[2]

فالوصف الأول له دلالة الوطن، واليبس دليل البؤس فهو مقابل الجزيرة المرتاحة والمراد بها فرنسا.

والوصف الثاني المراد به القرية (في ربوات) أي مرتفعات لا قيمة لها وهي من خصائص المداشر النائية. ونرى في كلا الوصفين حدد السياق معنى القرية في الاحتقار مقابل العظمة في بلاد المهجر.

ومع ذلك نجد بها **وصفا ثالثا** في آخر مقطع من النص بمعنى المدينة:

"لا يمكن يمثلها أن يظفر طفوا رابيا إلا في قرية" أفلاطون الفاضلة "[3]

وعلى هذا يأتي **معنى القرية** على ثلاث معان القرية: **الوطن. والبادية، والمدينة.**

و**وصف رابع** وهو وصف تركيب غريب في القرية.

[1] - نفس المرجع ص 77
[2] - نفس المرجع ص 93
[3] -نفس المرجع ص 185

"كل من خان قريتي سينال جزاءه في القرية الثانية."[1]

والمراد بها **الدار الآخر** فكأنه يجعل الدنيا كلها قرية، والآخرة قرية أخرى **فعالمنا قروي**، وهو الذي لهج عليه الكاتب طيلة النص.

5- جمع القرية:

كما نجد له مشتقات لهذا اللفظ استعملها الكاتب ليجعل منها رموزا لها دوال مختلفة تعرف بالسياق كما سبق في دوال القرية، وعلى ذلك نجد هذه المشتقات الأخرى كالآتي:

القرى الجنوبية، القرى الشمالية، وقد استعمل كلا منها في استعمال خاص.

"كيف تكون سيدة الجزيرة على حق في الدفاع عن عاصمتها وأرضها، ترانا نحن على باطل كلما دعوناها حضاريا بالإعتاق قرانا الجنوبية؟"[2]

فهو لا يذكر القرى الشمالية في مقابل القرى الجنوبية وإنما استعمل سيدة الجزيرة ويقصد بها "فرنسا" فهي سيدة بلاد الشمال، وإن استعمل الجزيرة هنا للدلالة على بعدها عن هذه القرى الجنوبية، أما القرى الشمالية فسياقها كالآتي:

"في قرى شمالية على حساب أكواخ جنوبية."[3]

[1]-نفس المرجع ص182
[2]-نفس المرجع ص110
[3]-نفس المرجع ص185

فلم يستعمل هنا القرى الجنوبية في مقابل القرى الشمالية لأن دلالة الأكواخ هو الفقر في مقابل القرى التي تدل على المدنية والحضارة والغنى.

وفي مقابل استعمال الكاتب لفظ "القروي" على الشخصية البطلة فإنه استعمل ذلك في شخصيات أخرى وهي:

-**جمع القروي**: القرويون المحنكون، والقرويون الثوريون والقروين المتقدمين، والقروين الجهلة. وهو إن كان استعمل كلمة "القرويون" في غير ما مرة من النص على كثرتها، إلا أنه أكثر ما تقيدت هذه المفردات بالأوصاف المختلفة لدلالاتها المتميزة، مع أنها بدون وصف أفادت في أغلبها معناها "الناس" لأنه كما سبق من قبل إنما جعل القرية ومشتقاتها للدلالة على الإنسانية والحياة، وربما الحياة الدنيا والآخرة، فيستعمل لفظ "القريون" للتعبير عن البشر أو الناس، فمن ذلك قوله في المقطع الثاني:

"هل نسوا أن إجرام الظل أبشع من الإرهاب؟ ولا تجرؤ محكمة قروية في أي مستوى أن تقتص منهم ما أكثر الشخصيات القروية العالمية التي صيغت جسديا على المباشر، ولم يعاقب مجرمو عملياتها: إذ من يعاقب من؟ "[1]

فهو يضفي على الشخصيات العالمية المشهورة، والمحاكم الدولية، صفة القروية، وكذلك يضفيه على الشعوب الضعيفة في قوله:

[1] - نفس المرجع ص 19

في المقطع الثالث: "عولمة يستضعف فيها القروي السذج من القرويين."[1]

كما يضفيه على عامة الناس في قوله في المقطع الثالث أيضا:

"وهو متكئ على الآرائك خالد فيها، لا يزعجه في قريته الجديدة قرويون نضوليون "[2]

ولنرجع القول فيما سبق في تقديمه لأوصاف القرويين:

-" القرويون الجهلة ." في سياق قوله:

"القرويون الجهلة ينافسون العلماء، ويفوزون عليهم في النهاية" [3]

فهو يريد أن يقول أن البلدان المتخلفة برغم ما يسودها من تخلف وعدم انتظام في حياتها، وتقلبات سياسية إلى آخر ما يكون عاملا على تخلفها، فإنه يوجد فيها محنكون يحكمون السيطرة على غيرهم من العلماء فالجاهل عدو العالم وكثيرا ما يظفر بمناصب تُبعد العالم -صاحب الحق في ذلك- ليمرر شهواته ونزواته.

-"قرويين متقدمين" ورود ذلك في سياق قوله:

"ولا تلهني هذه الجزيرة المغرية، ولو شئت أن أبدلكم بقرويين متقدمين." [4]

[1] - نفس المرجع ص23
[2] - نفس المرجع ص 24
[3] - نفس المرجع ص 20
[4] - نفس المرجع ص 74

فهو يشير بذلك أن القرويين المتقدمين هم في هذه الجزيرة المتقدمة (البلد المتطور) ولذلك سماها بالمغرية، أما أنتم- وهو ما لم يرق له- بمفهوم المخالفة قرويون متخلفون.

ومن خلال المقارنة بين القرويين الجهلة والقرويين المتقدمين، فإنه لم يستعملهما متقابلين في سياق واحد، وإنما استعملهما في سياقين متفرقين، ليجعل الفارق بينهم اقترانهما بما هو دال على الفارق بينهما وهو العلم المقرون بـــ"الجهلة"، والإغراء- وهو مظاهر الحضارة الغربية- المقرون "بالمتقدمين"

-ويصف أشخاص بالقروية وهم: "الثوار، والفضوليون" وإنساني وتكون سياقاتها كالآتي

في المقطع الثامن: "معركة سيدي صالح التي غنم فيها القرويون الثوار غنائم " [1]

وفي المقطع الثالث: "لا يزعجه في قريته الجديدة قريون فضوليون."

وفي المقطع السادس عشر: "وتساءلوا حول طبيعة هذه اليد ما إذا نبعت من ينبوع قرابة أم نبع عاطفي أو قروي إنساني."[2]

فإضافة الألفاظ الثلاثة إلى القروي إنما سيقت لمناسبة معينة فالثوار وصف لشعب وهم القرويون والفضوليون وصف للناس في الحياة الدنيا، بينما إنساني وصف لموقف معين لإنسان في ظرف معين.

[1] - نفس المرجع ص 64

[2] - نفس المرجع ص 126

القروية(صفة لمسميات)

ويستمر دلالة القروي في وصف آخر بإضافته إلى وحدات أخرى تدل هذه الوحدات المركبة من صفة وموصوف: "كلمات قروية، الثورة القروية، محكمة قروية."

فوصف كلمات، والثورة، ومحكمة بالقروية مع أن هذه أشياء لا تدل على ذوات إنسانية، فقد وردت على السياقات الآتية:

"محكمة قروية" وردت في المقطع الثالث:

" أن إجرام الظل أبشع من الإرهاب؟ ولا تجرؤ محكمة قروية أي مستوى أن تقتص منهم."

"الثورة القروية" ورد ذكرها مرتين:

"العارفون بخطايا هذه الثورة القروية يعلمون أن بورويس نجا من الساطور يوم اتهامه بالفجور"[1]

"وهزت نخوته القروية مشاعره."[2]

" كن يتحدثن إليه باللغة الحية، فيحييهن بالإشارة، ولربما خاطبته بكلمات قروية عامية، المهم أن الرسالة وصلت من هذا الطرف لذاك".[3]

[1] - نفس المرجع ص 63
[2] نفس المرجع ص 30
[3] - نفس المرجع ص 52

ولا شك أن دلالة "قروية" في هذه السياقات المختلفة تدل على التحضر والفهم الحاذق، فالمحكمة الدولية وجدت لحسم الخلافات الدولية، ولكن ليس لها تلك القوة الرادعة للظالم في مقدمتهم تلك الدول المستعمرة التي تعتمد القوة العسكرية في استضعاف الدول والشعوب، كما أن الثورة الجزائرية الحديثة هي مثال ناجح لكل ثورة شعبية بسبب شموليتها وطهارتها التي أوصلتها إلى نيل الاستقلال

وفي كلمات مع أنها عامية بسيطة لكنها كلمات من بطن تلك اللغة الحية، لم تولد من لغة ميتة، فشتان بين لغتين أحدهما تولد من لغة حية وأخرى من لغة ميتة.

3-كلمة الخليفة

ومن الألفاظ التي لها دلالات ووردت في النص "الخليفة" فهو يذكره بمناسبة ذكر هتلر طغيانه لكن عمّمه في جميع المستعمر فهو يقول:

"نحن لا نريد من هؤلاء الخلفاء المتهتلرين."

ودلالة الخليفة كما هو في القرآن الكريم في حوار رب العالمين مع الملائكة الأبرار هو الفساد في الأرض لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] والمراد به المستعمر، فهو نصب نفسه خليفة على الشعوب يستضعفها ويسفك دماءها وينهب خيراتها فهو من البلاء الذي ابتلى به البشر منذ القديم وإن تغير شكله في القديم والحديث، إلا الجامع بين ذلك هو

[1]- سورة البقرة الآية 30

سفك الدم والإفساد في الأرض وهو ما جناه الشعب الجزائري في أثناء الحقبة الاستعمارية والتعبير بالخليقة هنا أليق، لأن في كلمة "المستعمر" من الاستعمار هو التعمير والبناء والتشييد، أما الخليفة فهو كما سلف على النقيض من ذلك، وتكرر ذلك في باقي مشاهد الرواية ومقاطع و يلفت بالنظر في ذلك ما وصف به الخليفة.

وما أضيف إليه أيضا إما الوصف هو "الخليفة الطاغية " وتكرر إليه مرتين المقطع الحادي عشر.

"كم فكر القرويون في التخلص من هذا الخليفة الطاغية."[1]

و في المقطع الرابع عشر: "على هذا الخليفة الطاغية أن يعلم بان حرب صفر خسارة انتهت"[2]

ودلالة وصفه في المقطعين: "هو يسفك الدم والارواح" [3]

وهذه أهم صفات الخليفة فجاء وصفه في هذين السياقين، على غير العادة في ذكره مرات عديدة مجرّدا من الوصف، ولا يقف الكاتب في النص على وصف قدر الخليفة، بل يصف إحدى آثاره، وهي الرقي و التقدم والصناعة، وهي إحدى المغريات التي يستعملها لاستمالة بعض ضعفاء القلوب وسفهاء العقول حتي يكون أتباعا من له القرويين :

"لن يقاتل معه قروي واحد ، هذا يحلم بقرية جميلة.والآخر هوسه ان يقتني سيارة خليفية من آخر طراز"

[1]- - أنتم الآخرون، عبد الجليل مرتاض، ص74

[2]-نفس المرجع ص110

[3]-نفس المرجع ص 82

كما أنه استعمل الإضافة ليعبر عن وسائل الخليفة في التسلط و الإفساد منها في المقطع الحادي عشر :

" وحتى هذه الطبقة المزدراة لن تقاتل إلا بمقدار واحتشام لن يعلق على عسكر الخليفة إطلاقة واحدة إلا من ذخيرة بيضاء."[1]

" أسياد العبيد و الخماسين ريوعهم في خبايا الأرض و بنوك الخليفة محمية و مضمونة." [2]

و إضافة العسكر, والبنون إلى الخليفة له دلالة واضحة و هو أن الجنود والمال أهم ما يعتمده الخليفة (الاستعمار) في محاربة الضعفاء، فهو يستعمل الجنود للإجبار و الإكراه، و يستعمل المال للإغواء وربط الأعناق فكل شيء عنده ينبغي أن يكون تحت تسلطه ما دام هو خليفة الأرض، و لذلك لجأ الكاتب في نعت هذا الأرض بتعبير يدل على استصغار الخليفة لهذا الكوكب حيث أضافها إليه وورد ذلك في نفس المقطع الحادي عشر.

"عليه العتو في الأرض فسادا و التعويض لترميم كرته من جديد"[3]

" شكله الوحيد الذي يؤرقه كلما تأمل كرته تأملا طويلا ورنح عليه ترنيحا، فيما يجهل من علم الثلث الثالث، وإلاّ خاطب خالق الكرة الفسيحة -التي حولها الى قرية ضيقة صغيرة- بلهجة فرعونية.[4]

[1]-نفس المرجع ص 82
[2]-نفس المرجع ص 82
[3]-نفس المرجع ص 111
[4]-نفس المرجع ص 110

وفي هذا المقطع تبين كيف أصبح الخليفة يعامل الكرة الكبيرة و يقزّمها ويستصغر شأنها لأنه نصّب نفسه خليفة فيها، فهو يراها أمام عينه ماثلة أمامه.

قد أقام عليها عسكره ليعرف تضاريسها وحدود كل منها وخصائص كل بقعة تابعة له، ولذالك لجأ الكاتب إلى إضافة مفردة" خريطة " إليه في هذا المقطع:

"سيمحي قرى بأكملها من خريطة كرته "[1]

وإذا ما أردنا أن نبحث عن دلالات أخرى في وصف القرية و الخليفة نجد أنه استعملها في موضع من المقطع الحادي عشر:

"بورويس الذي لن يتردد في وضع نفسه و السفر الى قرية الخليفة المحصنة التي لا يمسها إلا المرضِيّون عنهم ممن يعلمون تأشيرات صالحة الأيام".[2]

فاستعمال القرية هنا وإضافتها إلى الخليفة نادر، لأنه استعمل بدل القرية الجزيرة، ودلالة الجزيرة هنا للبعد عن القرى الجنوبية لعلوها لا يمسها إلا المرضيون عنهم، فعبر عن اللمس دون المكوث أو الإقامة أو نحوها مما يدل على أنها من الأحلام التي تراود بعض القرويين، ولذلك جاء في وصفها بعدة صفات في النص.

"الجزيرة الهادئة"و "الجزيرة المخضرة"و "الجزيرة المغرية" و" الجزيرة الروحانية"...الخ.

[1]-نفس المرجع ص 110
[2]-نفس المرجع ص 85

ووصفها أيضا بالأرض السعيدة في قوله في المقطع السابع حينما أشار ينطق القروي:

"كلما أقبل القرويون على هذه الأرض السعيدة إلا و ازدادت سعادتنا وأحسنا ببشرى مواليد جدد يضافون إلينا."[1]

لم يكن استعمال الكاتب لألفاظ وكلمات ذات معنى ورمز معين، بل وظف كلمات ذات مفردات صعبة من غريب اللغة، يرجع فيها إلى القاموس أو المعجم لفك رموزها، كما استعمل انزياحا صرفيا، حيث استعمل كلمات في تصريفها يندر استعمالها إلا لمن نظر في المعاجم فيتحقق من ثبوتها في المعاجم ، أو من الاستعمالات الحديثة، أو مبالغة منه وقد تتبعت ذلك من النص الروائي، وجمعتها في جدولين كالآتي:

1-الكلمات القاموسية:

[1]- نفس المرجع ص 57

الكلمة	معناها الثاني
عُثان[1]	دخان(مادة ع ث ن)*
سدولا[2]	جمع السُّدل:الستّر*
كنية[3]	كلمة عامية ولعل المراد بها المخبأ
زُبية[4]	الرابية لا يعلوها ماء والرابية ما ارتفع من الأرض(مادة ز ب ي) و (ر ب و)*
ثغب[5]	أكثر ما بقي من الماء في الوادي،(مادة ث غ ب)*
أجْلَعِبُّ[6]	اجلعبَّ:جدّ في السير (مادة ج ل ع ب)*
يُنسَأ[7]	يُؤخّر(باب ن س أ)*
جذل[8]	الفرح*
قُنة[9]	المنفرد المستطيل في السماء ولا يكون إلاّ أسود(باب ق ن ن)*

[1]- نفس المرجع ص147
[2]- نفس المرجع ص148
[3]- نفس المرجع ص149
[4]- نفس المرجع ص149
[5]- نفس المرجع ص151
[6]- نفس المرجع ص151
[7]- نفس المرجع ص180
[8]- نفس المرجع ص180
[9]- نفس المرجع ص191
*- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي

2-العدول الصرفي:

اللفظ المتراح	اللفظ المتراح عنه
سياسوية[1]/**حداثية**	سياسية
تحنانا[2]/حداثية	حنانا
مُهجِرا[3]/نادرة	وقت الهجيرة
منفوسا[4]/نادرة	المعيون
صَعْلا[5]	دقيق الرأس
كُتمة[6] /نادرة	كتوم
هجولا[7]/نادرة	مطلقة
مزاناة[8]/نادرة	زناء
أجبال[9]/نادرة	جبال
حزانى[10]/نادرة	حزينون
الإحكام[11] بالإعدام/مبالغة	الحكم بالإعدام
الأيامات[12]/نادرة	الأيام
غابوية/حداثية	غابية

[1]-نفس المرجع، ص 18
[2]- نفس المرجع، ص 27
[3]- نفس المرجع، ص 44
[4]- نفس المرجع، ص 107
[5]- نفس المرجع، ص 107
[6]- نفس المرجع، ص 107
[7]- نفس المرجع، ص 110
[8]- نفس المرجع، ص 153
[9]-نفس المرجع، ص 144
[10]- نفس المرجع، ص 155
[11]- نفس المرجع، ص 168
[12]- نفس المرجع، ص 176

المستوى التركيبي

في قراءة النص الروائي غلب عليه المشهد السردي الذي يخلو – إلا في مواضع قليلة- من عرض الحدث في شكله التقليدي بتقمص شخصيات الرواية وأداء كل واحد منهم الحوار، وإنما اعتمد السارد على إدارة النص بنوع خطاب يعتمد على فكر في سياق تاريخي، وهذه الصيغة في السرد جعلها بعض الكتاب في نوعين وهي: العرض أو التمثيل représentation والحكي narration

الحكي: سرد خالص، ينقل السارد فيه الأحداث والوقائع ويخبر عنها في صيغة الحكي، يتكلم السارد ولا تتكلم الشخصية الروائية[1] ،وحينما ينتج خطابا، أي يتلفظ بكلام يخبر عن أفكار، ولا ينقل أحداثا أو يسرد وقائع، بحيث يكون كلامه عبارة عن محكي أقوال: وأشكال الخطاب متعددة: منها الخطاب التأملي، والفلسفي، والأدبي، والإيديولوجي[2]

العرض: القصة في هذه الحالة لا تنقل خبرا(حدثا)، إنما تجري أمام أعيننا، مثلما يحدث في المسرحية في صيغة العرض تتكلم الشخصيات ولا يتكلم(أي السارد)[3]

وقد اخترت المشهد الأول نموذجا للتحليل، والتراكيب المستعملة فيه في كتابة النص، ثم أتبعت ذلك بسرد النصوص المقتبسة التي اعتمد فيها الكاتب على النصوص القرآنية ، أو بما يسمى "التناص" الموجودة في كامل النص، حيث يظهر أثر الأسلوب القرآني الذي اعتمده الكاتب.

[1]- تحليل النص السردي، محمد بوعزّة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى1431هـ-1410م، ص109

[2]- نفس المرجع ص 117

[3]- نفس المرجع ص110

تحليل المشهد الأول:

في تحليل المقاطع التي تعتبر سلسلة من المشاهد الحكائية للمدونة، وفي وضع نقاط التواصل بينها، يظهر استعمال الراوي أو الكاتب –على ما يظهر– في مستهل كل مقطع من المشهد الأول للرواية صيغ وتراكيب:

المقطع الأول: "لماذا يتهيأ لك أن تلومني ؟" [1](استفهام إنكاري)

المقطع الثاني: "ليس لهذا القروي ما يخفيه من أسرار"[2].(نفي)

المقطع الثالث: "لعل تحفظ القروي فيما تفوّه."[3](ترجي يفيد التحقيق)

المقطع الرابع: "هل تحسبون أن القروي كل بحاجة الرمز يضمه؟ "[4](استفهام).

المقطع الخامس: "ماذا كان يحدث لأمه التي ودعته؟"[5] (استفهام)

المقطع السادس: "حتى هذه اللحظة لم يتغير في مشاعره، ليس ملاكا مترها عن ملذات الحياة ."[6]

(استدراك مع النفي)

[1]– أنتم الآخرون ،عبد الجليل مرتاض ص07

[2]– نفس المرجع ص 19

[3]- نفس المرجع ص 23

[4]- نفس المرجع ص 25

[5]- نفس المرجع ص 35

[6]- نفس المرجع ص 43

ففي مستهل هذه المقاطع يظهر كلام الراوي عن الشخصية البطولية للرواية، وكأنه شخص صامت في متحرك، واستعمال الكاتب لأساليب إنشائية المبينة أعلاه كل مقطع من استفهام ونفي وأدوات إنشائية تدل على المشهد السردي يصف فيها القروي (الشخصية البطلة) وهذه التمفصلات الزمنية الكبرى في هذه المقاطع إلى غاية المقطع السابع، وهو بداية المشهد الثاني حيث ورد كلام القروي باستعمال الصيغة التعجبية في جملة: "شكرا لله" في مطلع المقطع خروج من هذا المشهد الصامت إلى عالم الكلام في الرواية.

المقطع السابع: "شكرا لله، وأخيرا تكلم القروي أو ربما تكلم."[1]

وهو أولى من شأنها أن تحتوي عمقا في الشخصية البطلة وارتباطها ببعض الشخصيات الأخرى التي هي أقرب إليه في عملية الحكي.

ولقد كثر في المقطع الأول:

1-الوصف: حيث وصف القروي الشخصية المركزية(البطلة) للرواية ونعته بشتى أنواع الأوصاف، ولذلك جاءت جمل بل وفقرات المقطع مكثفة بشتى أنواع الوصف بالقروية بأساليب التعجب والاستفهام والمجازات.

"هل لهذا القروي إثم كبير إذا غلا مغالاة في حبه للقروية؟"[2]

[1]- نفس المرجع ص 57
[2]- نفس المرجع ص 10

"هل أضحوا عالمين بكل شاردة وواردة تمس قريته وقرويته؟"[1]

"أيرد عليهم ردا مفحما لعلهم يقعون فيدعوه وقريته التي لا يرضى سواها مسكنا وخلودا؟"[2]

"ما كنت أصب أن القوم يحتفلون بهذا القروي كل هذا الاحتفال ،إن هو إلا قروي جرفه الحنين بقرويته."[3]

"أي عجب من امرئ غالي إسرافا في افتراش مسقط رأسه والتحاف سمائه؟"[4]

بعد فقرة التمهيد التي ابتدأ بها كاتب النص (الرواية) وقد تقدم الكلام عنها وتحليلها ينتقل إلى

2-الخطاب :(مخاطبة ومعاتبة شخصية افتراضية أثارت الشخصية البطلة في النص):

" ما كان ينبغي لك أن تثير حواسه كلما تعلق الأمر بقريته تلك."[5] وكأنها شيئ من نفسه وجسده.

ثم يسترسل في ذكر قريته ،وسنذكر بعد حين علاقة القروي بقريته ثم يعود ليعاتب

" ما كان يجب عليك صاحبي أن تستفزه وتثير هيجانه."[6]

يسترسل في ذكر أوصاف القروية، ثم يعود ليعاتب

[1]- نفس المرجع ص 10
[2]- نفس المرجع ص 11
[3]- نفس المرجع ص 11
[4]- نفس المرجع ص 11
[5]- نفس المرجع ص 11
[6]- نفس المرجع ص 8

" لم يكن خلقيا بك أن توقظ فيه زوابعه الوجدانية" [1]

ثم يستطرد في علاقته مع قريتا لا تريد أن له علاقة مع محبوبه.

ويستقر أمره مع هذه الشخصية الافتراضية:

"لو قدر لك أن توفق في رميتك أجمل توفيق لتثويره ولأزبد وأرعد ،ألم تعرف لماذا؟ ربما لا تريد أن تعرف ،أم أنك تخشى؟"[2]

3-الالتفات : وهو «انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، ومايشبه ذلك»[3] وهنا يقف الكاتب ليلتفت إلى ضمير الجمع:

" لست بحاجة إلى مزيد من الثرثرة المملة لأثبت أو أنفي لك ذلك، حسبكم لهذا المخلوق استفزازا "اشتغلوا بأنفسكم قليلا."[4]

ثم يفصل بين ذلك ليس قدر وعظم حب القروي لقريته، ويعقد مقارنة بينه وبين الناس:

" كان الناس فيما مضى...وها هو فريق اليوم من القوم."[5]

ليكون القروي الصنف الثالث:

---

[1]- نفس المرجع ص 9

[2]- نفس المرجع ص 09

[3]– البديع، أبو العباس عبدالله بن المعتزّ، تحقيق عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى1422هـ-2001م، ص73

17 – أنتم الآخرون، عبد الجليل مرتاض، ص 10

[5]- نفس المرجع ص 10

" هو لا يشبه أحدا من الفريقين."[1]

ثم يعود ملتفتا من جديد ليتساءل عن هؤلاء بضمير الغيبة:

" من أين لهؤلاء كل هذه السيول من الكلام؟ هل أضحوا...هم اعتزلوا العبادة..."[2]

ثم يشخصهم ،وهم قومه:" ما كنت أحسب القوم يحتفلون بهذا القروي كل الاحتفال!"[3]

ثم يسميهم مخاطبا من جديد (الشخصية الافتراضية)

"لعلك لم تتفق معي بعد أن الناس حاكوا كل ما استطاعوا حياكته بشأن هذا القروي المفتون."[4]

ثم يعود مسترسلا في وصف القروي:

وقد أكثر من ذكر النفي عنه:

لا يتكلم، ...ليس جبارا ... لم يلح ..لا يغزو..لا يتردد، لا يخجل، لا يطمس معالم حقيقية."[5]

ثم يعود مخاطبا: " كأنكم لا تريدون أن تفهموا."[6]

ثم يسترسل في ذكر علاقته بقريته و مخاطبتهم ،ليتكلم بضمير الغيبة " إلى هنا أيكونون..."[7]

---

[1]- نفس المرجع ص10
[2]- نفس المرجع ص11
[3]- نفس المرجع ص 11
[4]- نفس المرجع ص 12
[5]- نفس المرجع ص13
[6]- نفس المرجع ص14
[7]- نفس المرجع ص14

إن عمق هذه الاستعمالات والتراكيب -في كلام الراوي أو الكاتب أيا كان -قد يصعب في مثل هذا المقام التفريق بينهما .ووجود كثرة **الالتفات** من ضمير المخاطب المفرد إلى ضمير الجمع المخاطب، ثم الغائب في الجمع، يجعلنا في حيرة في معرفة شخصيات الرواية الذين يوكل لهم الخطاب لينتهي به المقام إلى قوله:

" اتضح من كل ما سبق من ثرثرة وحيرة أن مثل هؤلاء القرويين لا يتطورون"[1]

وهذا المخطط يبين تنوع المخاطَب، دون توضيح كنهه وماهيته:

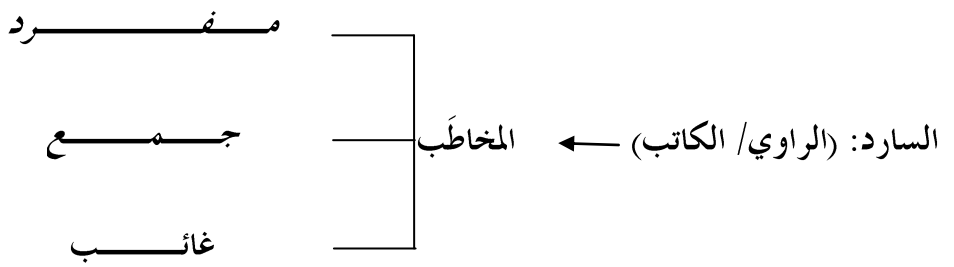

4-استعمال الفعل المضارع : الفعل المضارع يدل على الاستمرار والتجدد، واستعماله الكاتب هنا للدلالة على طرح أفكار وسرد أحداث تنم على مفاهيم تدور في رؤوس شخصيات الرواية فهي طبيعة قديمة، متجددة في كل عصر، وما يترتب عليها من نتائج ولذلك اصطلحنا عليه في الأول بما نقلناه عن كتاب تحليل النص السردي بـــ "**الحكي**".

فهو يصف أهل قريته (قرية الشخصية البطلة)

[1]- نفس المرجع ص14

" لا تفرغ عقولهم وأفئدتهم للالتفات إلى الاختراعات والتضييع"[1]

" صار الواحد منهم لا يرتدي و لا **يتغذى** شيئا مما تنبته قريته، وتغرسه يداه "[2]

" أمسوا لا يلهجون إلا بالدين الذي لا يعلم تأويله إلا الخالق".[3]

وها هو يعود لكن لينقلنا إلى أسلوب آخر وهو حوار القروي مع ذاته، وهو يتساءل عن أهل قريته وبسبب تأخرهم، وعلاقتهم بالدين

" لماذا غدا قرويونا لا سند عتود لا يأكلون و لا يشربون إ لا بالدين ."[4]

" لن يتحقق لهم هذا الفتاوى الجنائز."[5]

ليعود ويختم المقطع:

" أتمنى أن أكون صادقا فيما نقلت لك عن تساؤل القروي."[6]

مسترسلا في متاهات القرية والقروي والأشرار، وشروق لحظة الانفراج.

[1]- نفس المرجع ص15
[2]- نفس المرجع ص15
[3]- نفس المرجع ص 30
[4]- نفس المرجع ص16
[5]- نفس المرجع ص16
[6]- نفس المرجع ص17

" فدعوه من فضلكم، وما هو فيه من تيهان ووجدان "[1]

لقد ظل يكثر من الإثبات والنفي والاستفهام والتعجب، فكان المقطع مكتظا بهما، حتى المقطع السادس أسلوب الإنشاء من نفي واستفهام وأسلوب الالتفات حاضرا بكثافة، وهو يفيد الإطلاق و الحرية في طرح الأفكار السردية غير منضبطة بموصوف، وهذا من نوع **الخطاب التأملي**« فهو يضعنا-أي الخطاب التأملي- أمام مجموعة من الملفوظات التقريرية الخيالية من أي طابع سردي ملفوظات لها طابع المطلق، وتشتغل وكأنها مفصولة عن الزمان وعن المكان»[2]

ثم يظهر أسلوب الحوار في المقطع السادس، لينفس عن التردد و التساؤل والنفي بالحوار ونطق الشخصية المركزية:

لم يتوان القروي لحظة وهو في ذلك الجو المفعم بالتناقضات أن يتساءل:

" القرويون هناك في الجنوب مقرنون في الأصفاد، و الناس غيرهم في هذه الجزيرة مضربون عن العمل، وسيدة هنا في الجنوب، وهناك شمالا."[3]

غير أن هذا الأسلوب المتغير إن كان في دلالته كما سيأتي لم يخرج عن عادته من أسلوب النفي والاستفهام والنداء، وكأن هذا الأسلوب الذي يتكلم به القروي شخصية المركزية للنص هو نفس

الشعور الذي يشعر به السارد، حيث لنا في مطلع المقطع:

[1]- نفس المرجع ص18

[2]-تحليل النص السردي، محمد بوعزة، ص 114

[3]-أنتم الآخرون، عبد الجليل مرتاض ص45

" حتى هذه اللحظة لم يتغير في مشاعره."[1]

أي أن المشاعر لم تتغير من تساؤلات و استنكار، والتفات في الكلام بقيت ثابتة حتى نطق هو بنفسه:

" ما هذه العولمة الشرهة التي يتملقون بها؟ لتزداد قراهم غنى وتزداد قرانا فقرا."[2] تعجب.

" اللهم اشهد، أيها القرويون الذين لم تولدوا بعد." [3]– ←دعاء ونداء

" لم يزل لساني أية زلة، ما قلت شيئا." [4] ← نفي.

" ألا أستحيي من نفسي وأنا الشاب." [5] ← عرض وتخصيص.

" إن ما عليه أمر من صبر وجلد ومقاومة لشهوة." [6] ← نداء.

" أيها القرويون العقلاء." [7] ← نداء.

ونسجل في هذا المقطع أيضا قطعة من كلام أمه ينقلها على لسانه، وهذا أسلوب **العرض** الذي نسجله في هذا المقطع وهو ممتلئ بصيغة **الفعل الماضي**:

" كنت تملأ علي الدار كلها، كنت أتمثل فيك أبا، غادر القرية،. وعاد جريحا، .....نُفِي، مات

[1]– نفس المرجع ص43

[2]– نفس المرجع ص48

[3]– نفس المرجع ص49

[4]– نفس المرجع ص49

[5]– نفس المرجع ص51

[6]– نفس المرجع ص54

[7]– نفس المرجع ص55

...كانت أمنيته، بكى، ....كان في كل مرة، لما طُلِّقتُ....كاد يُغمى."[1]

ودلالة هذا العرض هو إظهار **المفارقات الزمانية**، وهي« تحدث عندما يخالف زمن السرد ترتيب أحداث القصة، سواء بتقديم حدث على آخر، أو استرجاع حدث، أواستباق حدث قبل وقوعه»[2]

والزمن الماضي في العرض، له دلالته وهو مؤشر **الاسترجاع**.[3]

وعلى عكس ما تقدم في الحكي حيث استعمل المخاطب والمضارع ليدل على الحاضر، فهو يصف تلك الفترة وكأن القاريء يرى ويتمثل وقائع السرد.

التناص: تتخذ الرواية شكل نص ذات وأسماء وجمل وتراكيب مترابطة تمثل وحدة موضوعية، وفي دراسة المحتوى التركيبي للنص فإني أنتقي تعريفا للنص من خلال وفي نظرية النحو الوظيفي، الذي يؤطر لنا ماهية النص من منظور براغماتي لا من منظور أدبي، فهو- النحو الوظيفي- يحدّد النص بأنه: «الخطاب المتضمن لمجموعة من الجمل شريطة أن تشكّل هذه المجموعة من الجمل وحدة خطابية تامة.»[4] والنص الروائي **لعبد الجليل مرتاض** عبارة عن عمل فني يطرح فيه حادث تاريخي عاصر الفترة الاستعمارية في الجزائر في منطقة ما، فالنص إذا هو عمل إبداعي والأمر كما قال عبد الجليل بنفسه:« فالروايات عادة ما تعبّر عن أحداث الفترات التي تكتب فيه، ليس هناك نص يسبقه إلا

[1] - نفس المرجع ص53

[2] -تحليل النص السردي، محمد بوعزّة، ص 88

[3] -أنتم الآخرون ص 90

[4] – مسائل النحو العربي في قضايا النحو الخطاب الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة،طبعة2009م، ص114

توهما، ولو أمكن من السبق لما كان ثمّة تناصّ أوبينصة.»[1] ومن آخر كلمة نقتطعها من كلام عبد الجليل مرتاض يتضح لنا مصطلح التناص Intertextualité «يعود مفهومه إلى دراسات المقارنين وربما قبل ذلك بكثير، وقد درسوا هذا المفهوم وتناولوه تحت علاقة "التأثر والتأثير" وانحصر اهتمامهم في دراسة الموضوعات المشتركة بين نصوص الثقافات المختلفة وكيفيات استقبالها وفهمها»[2] ولا يهمنا في هذا الموضع التطبيقي تعاريف النص والتناص وأشكاله ومن تكلم فيه بقدر المفهوم العام خاصة عند عبدالجليل مرتاض، ومدى تأثيره في كتاباته، وقد جعل أشكالا مختلفة من التناص، وهي مفاهيم موجودة بكثرة في الأعمال الأدبية مثل الاستشهاد والتلميح والاقتباس، تدخل في صميم نظرية التناص عند جنيت، **فالاستشهاد**: أكثر جلاء وأكثر رؤية وأكثر حرفية للتناص، وهو يعرف بفضل رموز طباعية:استخدام الأهلة والحروف الطباعية، والتلميح: يقابل مفاهيم أخرى كالإلماع والكناية والإشارة الضمنية واللحن إذا كان بمعنى الخطاب الذي يفهمه عنك أحد ويخفى على غيره، وما الاقتباس غير معلن لكنه حرفي أو لفظي بالنسبة للنص الأدبي دون الإحالة إلى المرجع.[3] وقد تأثر عبد الجليل مرتاض في كتابة النص الروائي كثيرا بالقرآن ولذلك أفردت ذلكم التناص- وأكثره الاقتباس- وتكاد تكون حرفية في أكثرها، وربما في طريقة تأليفها كما سبق في صيغ التراكيب السابقة- القرآنية. وفيما يلي جداول التناص الواردة في نص رواية عبد الجليل مرتاض:

[1]- التناص، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، طبع سنة2011، ص 75

[2]- في نظرية النص، حسين الخمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى1428هـ-2007م، ص135

[3] ينظرالتناص، عبد الجليل مرتاض، بتصرف، ص64

المشهد الأول

النص	النص المقتبس أو	نوع التناص	دلالته
أم القرى[1]	﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَها﴾الآية 7الشورى، و92الأنعام	اقتباس	أن قرية الشخصية المركزية للنص هي بمثابة القرية الأم لا مثيل لها رتبة مثل رتبة مكة مع باقي ماحولها من المدن والبلاد المقدسة
فيها سيعاد، منها سيخرج تارة أخرى[2]	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ 55 سورة طه	اقتباس	يظل تعلق القروي بقريته سواء كان حيا أو ميتا
أنى له أن ينساها أو تأخذه سنة عنها [3]	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ 255 سورة البقرة	اقتباس	لا تفارق القرية خلده أبدا
ما أنتم إلا بشر مثلنا[4]	﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾154 سورة الشعراء	تلميح	لا يوجد فارق بين مستعمر ومن وقع عليه الظلم والقهر.
إلى أن تأزف الآزفة، ويقضى الله أمرا كان مفعولا[5]	﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ 57 سورة النجم	اقتباس	تحين ساعة الاستقلال، مهما طالتالفترة الاستعمارية سوف يكون أمر الله أكبر
ما قريته إلا جسم واحد إذا مرض عضو منه تألم واشتكى سائر الأعضاء[6]	نْ **النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ** قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ **الْجَسَدِ** إِذَا اشْتَكَى سَائِرُ أَحْيِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ **الْجَسَدِ** بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى رواه مسلم في كتاب البروالصلة	اقتباس	التكافل الاجتماعي الذي يعيشه مجتمع الرية رغم الظروف القاسية.
مدت قريته يدها لهم جميعا، وبسطت أحضانها، وخفضت لهم أجنحتها[7]	﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ 24 سورة الإسراء	اقتباس	مدت البلاد خيراتها لكل الناس حتى الأعداء منم
ستطلع فيه الشمس من غرب قريتهم...إلى ذلك اليوم المشهود[8]	عن **أَبِي هُرَيْرَةَ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى **تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ الْمَغْرِبِ** فَإِذَا طَلَعَتْ **الشَّمْسُ مِنْ الْمَغْرِبِ** آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ **مِنْ** قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا رواه أحمد	تلميح	لا يكون للعالم استقرار إلا في يوم الحساب حيث لا ظلم ولا استبدا ويستريح الناس

[1]-أنتم الآخرون، ص07، 08، 24

[2]- نفس المرجع، ص 07

[3]- نفس المرجع، ص 09

[4]- نفس المرجع، ص 14

[5]- نفس المرجع، ص 14

[6]- نفس المرجع، ص 14

[7]- نفس المرجع، ص 15

[8]- نفس المرجع، ص 18

ربما بعد حين قصير أو طويل سيندمون، ولات حين ندم .[9]	البيت الشعري : ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم	تلميح	ندم المستعمر على ظلم القرويين ولا ينعه الندم حينئذ
وتلك الأيام نداولها بين الناس[10]	﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ 140 سورة آل عمران	اقتباس	سوف يكون للقرويين مستقبل كم للمستعمر
ويعود بأسرع وقت ممكن إلى قريته الثانية، وقد فاحت جنانها، واخضرت أراضيها،وتفجرت فيها عيون، أو قل هي جنات عدن تجري من تحتها الأنهار،وهو متكيء على الأرائك خالد فيها[11]	﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ 31 سورة الكهف	استشهاد	سمى الدار الآخرة وما فيها من النعيم، ثم عدل عن ذلك بلفظ قرآني.
ولكن قريته تعالت عن قرارات النحويين علوا كبيرا.[12]	﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ 43 سورة الإسراء	اقتباس	علو الذي لا ينتابه أي أمر علوي، فاسم أم القرى خالف القياس الذي تسري عليه العربية..
آه من جبل الناطور! سيان عنده الرحيل والبقاء، الفناء والخلود، لا يخشى عبثا، ولا ينتظر حسابا ولا عقابا، لا يفكر في جنة، لا يشغل نفسه بجهنم.[13]	ألفاظ عقائدية ، تدل على الثبات	اقتباس	الجبل رمز الثبات فهو بذلك يكون الرمز المثل الأعلى لأهل القرية في الثبات.
ما أشد تقواك من صانعك يا جبل !لقد خشعت متصدعا استعطافا واسترحاما من أن ينزل عليك هذا القرآن.[14]	﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ 21 سورة الحشر	اقتباس	قوة الجبل ومتانته لا تدل على قسوته فهو يجمع بين القوة والرحمة وهو من أخلاق القرويين.
رغب موسى في رؤية ذي الجلال فلما تجلى ربه لك، يا جبل، لم تستقر مكانك، ودككت دكا، فخرّ موسى صاعقا مغشيا عليه.	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ 143 سورة الأعراف	استشهاد	الخطاب إلى جبل طور فو تعريض بالجبل إلى جبل القروي ويشبه حاله بحال موسى عليه السلام في الهرب من بطش الظال ويلجأ إلى الجبل فيجد سنده.

[9]- نفس المرجع، ص 18

[10]- نفس المرجع، ص 21

[11]- نفس المرجع، ص 24

[12]- نفس المرجع، ص26

[13]- نفس المرجع، ص29

[14]- نفس المرجع، ص30

إن هو إلا جبل ككل جبال المعمورة.[15]	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ 25 سورة المؤمنون	اقتباس	حصر نوع الخلق الذي ينتمي إليه الجبل رغم صفاته التي أثبتها له والتي ينفي أن تكون للإنسان
وهزت نخوته القروية مشاعره، فألقى نفسه في اليم على ظهر السفينة [16]	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ 07 سورة القصص	اقتباس	الإلقاء باليم حالة الذعر يكون فيما هو ظاهر أنه الهلاك لكنه رمز العاقبة الحسنة
وهو لا يزال فتى غضّا كاد يلتحق به قبيل قليل أم يحسب نفسه يونس الثاني لو التهمه حوت عظيم؟ ذلك نبي يئس من قوم غير قومه، فلجأ إلى فلك مشحون، فخرج سهمه ليلقى، فألقي به، وخروجه سالما غانما لم يكن إلا آية بينة ليهتدي بها قوم ضالون.[17]	﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ 139 إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ140 فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ 141 فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ142﴾ سورة يونس	استشهاد	خروج القروي من قريته مرغما وغاضبا على الأوضاع كما حدث ليونس عليه السلام.
أحسنوا إليهم خير إحسان في البحر والبر، هدوهم سواء السبيل.[18].	﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ 22 القصص	اقتباس	التوجه إلى أرض مجهولة عسى أن يجد فيها ضالته.
لم يدخلوا من قرية فرنسية في أقصى الجنوب إلا ليدخلوا جزيرة فرنسية في أدنى الشمال بسلام آمنين.[19]	﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ 46 سورة الحجر	اقتباس	وكأن بلاد الغرب فيها الأمن الاجتماعي بما يتمتع بها المواطن من حقوق مدنية
أهو في عالم حقيقة أم في عال لا يعدوا أن يكون أضغاث أحلام.[20]	﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾44 سورة يوسف	اقتباس	السكنى في بلاد الغرب مع ما فيها من الرفاهية ضرب من الخيال
لم يقل هو هذا القول، ولا وصف نفسه في مقامه الجديد السعيد أي وصف، فاللعنة يتحمل إثمها من يزايدون عليه، تارة يعلون من شأنه ويرفعونه إلى الدرجة الثانية بعد الأنبياء.[21]	مصطلحات الإثم والدرجة بعد الأنبياء من الألفاظ الدينية	اقتباس	تقديس الرجال عند القرويين يكزن مرتبة بعد الأنبياء
من ذا الذي يفضل الذي أدنى بالذي هوخير[22]	﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ 61 سورة البقرة	اقتباس	تفضيل العطل عن العمل أدنى من العمل عند الغرب.

[15]- نفس المرجع، ص30

[16] - نفس المرجع، ص31

[17] - نفس المرجع، ص35

[18] - نفس المرجع، ص35

[19] - نفس المرجع، ص36

[20] - نفس المرجع، ص37

[21] - نفس المرجع، ص40

[22] - نفس المرجع، ص43

القرويون هناك مقرّنون في الأصفاد.[23]	﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ 38 سورة ص	اقتباس	الغبن والضطهاد الذي يعيشه القرويون تحت ظل الاستعمار مثل حال الكفار في النار
لم يبق لك إلا أن تحرّف كلم الربّ عن مواضعه.[24]	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ 46 سورة النساء	اقتباس	ما بقي من القيام به من أفعال اليهود في الحمق والشر إلا النيل من كتاب الله بتحريفه.
لا نريد من هؤلاء الخلفاء المتهتلرين فضولا، ولا جزاء، ولا شكورا.[25]	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ 09 سورة الإنسان	اقتباس	لا يلتفت القرويون إلى إغواءات المستعمر ولا هداياه ولاعطاياه
وسأظل قرويا ولو كنت في السماء السابعة.[26]	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ 12﴾ سورة الطلاق	تلميح	بلوغ السماء السابعة من علامات الرفعة مثل الأنبياء مع ذلك بقوا على بشريتهم بتواضعهم وكذلك القروي يبقى انتماءه للقرية المتواضعة ولو ناءت به الديار عنها ببلاد الغرب.
اليوم فقط بدأت أفهم لماذا كانت تداوم على الصيام، وتستعين بالصبر والصلاة وتتجاهل ارتداء النلابس الفاتنة والضيقة كسائر النساء القرويات اللائي هن في أعمارهن وأسنّ منها.[27]	﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ 45 سورة البقرة	اقتباس	الصبر والعفة من أخلاق المؤمنين في القرآن. ومظاهره في اللباس والمظهر الخارجي.
إن ما عليه أمي من صبر وجلد ومقاومة لشهوة حلال يشد عضدي على تجنب شهوة حرام، لن أدع فرصة لنفسي الأمارة بالسوء لتستبعدني.[28]	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ 53 سورة يوسف	اقتباس	ما تأمر به النفس هو أمر أزلي يقاوم بالعفة والصبر.
كل إنسان رسول نفسه ليخرق عالم الغيب العجيب الذي يتراءى لكل غائب عن عالمه الدنيوي ترائيا مختلفا عن الغائب الآخر[29]		اقتباس	الحرص على متابعة النفس كما أن الرسول يتابع قومهم وينصحهم

[23] - نفس المرجع، ص45

[24] - نفس المرجع، ص48

[25] - نفس المرجع، ص48

[26] - نفس المرجع، ص52

[27] - نفس المرجع، ص53

[28] - نفس المرجع، ص 54

[29] - نفس المرجع، ص 54

رجل يبيت مع فتاة لم أر أجمل منها في قريتنا أنت تعلمين أنه لا يجوز شرعا ولا...ولا آمن الشيطان[37]	مصطلح "لا يجوز" الشرعي، وعدم الثقة في طريق الشيطان من مقاصد الشريعة	اقتباس	الحرص على العفة والوازع الديني من عوامل النجاح في لثورة التحريرية.
فإنك في النهاية امرؤ مر في كل مكان إلافي قريتك التي من ترابها خلقت، ومنها ستنشر، وإليها تعود.[38]	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ 20سورة الروم	اقتباس	مهما تغرب الإنسان عن الأوطان وتحصل على حقوقه يظل ناقصا، لكن فوق أرضه هو كامل
لا تربي عاطفة مع كائن ، ولو كان نبيا أو وليا صالحا أو صبيا بريئا، حتى الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون.[39]	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ 169 سورة البقرة	تلميح	الأرواح مجندة لتكون في الأجساد التي ترتاح فيها، والولاة والشهادة والنبوة كلها أرواح طاهرة لا تقبل غير الطهر
حزن المحامون حزنا شديدا وتاب القضاة ليتجنبوا مقعدهم من النار.[40]	عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ **مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ رواه مسلم في المقدمة**	اقتباس	القضاء والمحاماة في الإسلام مهمات تتطلب الضمير الإيماني
ترى في منامك كل شيء ما تعرف وما لا تعرف، والممكن والمستحيل، والمباح والمحظور من المحارم.[41]	الممكن والمستحيل مصطلحات كلامية، بينما المستحيل والمحظر والمحارم مصطلحات أصولية.	اقتباس	الحياة والروح رخيصة تتقبلكل شيء من أجل التضحية في سبيل تحرير الوطن.
كل ما يتمناه منهزم منا أن تعود ذات أن تعود ذات رجفة إليه في قريتها الأخرى التي لا يموت فيها ولا يحيا مرة ثانية، في ذلك الزمان والمكان لن تخشى على خلودا مرضا قاتلا، ولا حتى عذابا في جهنم سيان عندها من يحظى بالجنة أو النار.[42]	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ 78-91 الأعراف 37 العنكبوت ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ 13 سورة الأعلى	تلميح	الروح المؤنة تبيع نفسها ولا يهمها المصير فهي تدرك تلك العاقبة الحسنة ومافيها من النعيم.
لعلكم ترجعون إلى أنفسكم وتنشغلون بها جزءا كبيرا من أوقاتكم الضائعة فيما لا يسمنكم ولا يغني قريتكم المهددة في عقر دارها من جوع[43]	﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ 64 سورة الأنبياء لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ 37 الغاشية	استشهاد	خطاب القروي لأهل بلدته يذكر بخطاب إبراهيم عليه السلام، وكل ما يلهي حتما مثلما هو محصل في جهنم ليس منه إلا الضرّ.

[37]- نفس المرجع، ص 68

[38]- نفس المرجع، ص 72

[39]- نفس المرجع، ص 72

[40]- نفس المرجع، ص 73

[41]- نفس المرجع، ص 74

[42]- نفس المرجع، ص 74

[43]- نفس المرجع، ص 76

الخليفة جادّ أيها القرويون، إنه لا يبتسم إلا ليكشر أنيابه عن حرب ضروس لا تبقي ولا تذر.[44]	﴿وما أدريك ماسقر(27) لا تبقي ولا تذر﴾ (28) سورة المدثر	تلميح واقتباس	الحرب مآلها الدمار الشامل.
الجبن والخيانة والعمالة في قرويين ذوي قربى يملكون أضعاف خزائن قارون.[45]	ذوي القربى، خزائن قارون مصطلحات قرآنية	اقتباس	خذلان بعض المنتسبين للوطن الثورة، فهي قامت على الضعفاء دون انحياز قبلي أوعشائري أوجهوية
القرية الثانية الأبدية في انتظارهم وهم فيما اشتهت أنفسهم، وتلذ أعينهم.[46]	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ 71 الزخرف	اقتباس	الموطن الأصلي للمؤمن والمواطن الصالح هي الدار الآخرة ولذلك وجب التضحيةلها.
ورب الكعبة لئن صمدتم يا أبناء قريتي صمودا مخلصا دفاعا عن حوض قريتكم لمُددتم بألوف من الملائكة يقاتلون معك، وأنتم لا ترونهم.[47]	﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ 124 آل عمران	استشهاد	يشبه موقف الثوار مثل موقف الصحابة في غزوة بدر
الخليفة عيونه المبثوثة في كل ركن من أركان الأرض والسماء، وهو يراك وأنت لا تراه.[48]	﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ 127 الأعراف	تلميح	مكر المستعمر واستعمال جنوده مثل الشيطان يرسل جنوده في كل مكان ليعيثوا فسادا.
إنه الخليفة! اليوم فقط، أدركت أكثر إدراكا مغزى حوار الملائكة للرب ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾[49]	﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ 30سورة البقرة	استشهاد	موقف القروي من أهل بلدته بوجود المستعمر بوطنه يشبه موقف الملائكة من البشر في الأرض والجامع بينهما الحدس بكثرة الفساد.
لن يقاتل معه قروي واحد حتى ولو رأوا ملائكة بأم أعينهم.[50]	قتال الملائكة مع المؤمنين من الأمور اعظيمة في الدين لا تكون إلا للأولياء	تلميح	انبساط الملذات والترف داع لخذلان الثورة، ودعوى قتال الملائكة من المستبعد

[44] نفس المرجع، ص 76

[45] - نفس المرجع، ص 78

[46] - نفس المرجع، ص 78

[47] - نفس المرجع، ص 78

[48] - نفس المرجع، ص 81

[49] - نفس المرجع، ص 82

[50] - نفس المرجع، ص 82

لا يحسب له أي حساب، عليه العثو في الأرض فسادا.[51]	﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ 183 سورة الشعراء	اقتباس	المستعمر مثل أقوام الأنبياء الذين عصوهم يحبون الفساد لا غير.
تقية ليست مطلقة في الزمان، إذا جاء أجلها لا تستقدم ثانية ولا تستأخر.[52]	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ 34 سورة الأعراف	اقتباس	المسبلون في الثورة يدركون خطورة مهامهم لذلك يتوقعون انكشاف أمرهم لذلك يستعدون لتلك اللحظة مثل استعداد للحظة الموت.
فنهضت وبصقت في صدرها"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[53]	التعوذ بلفظه من الألفاظ القرآنية	اقتباس	التمسك بالعادات في الدعاء المأثور عند النوازل.
لم تسمح لأحد بتغسيله وتكفينه، فزوجها مات ميتة الشهداء.[54]	الثاب في الفقه أن الشهيد لا يغسل اعتبارا بشهداء أحد كما في السيرة النبوية.	تلميح	التمسك بمنزلة لمن مات وهو يدافع عن الوطن لا ينزل عن مرتبة الشهيد.
لا فرق بينه وبين شهداء جبل الناطور، فهو غسيل الملائكة مثله مثل حنظلة بن الراهب.[55]	عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً رواه أحمد	استشهاد	الجامع بين أب القروي الشهيد وحنظلة الصحابي هو ترك المعاشرة الزوجية والفراش الوثير من أجل حياة مبدأ وعقيدة.
وهل ستبعث هذه اللغة من أجداثها.[56]	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾51 سورة يس	اقتباس	لغة القروي التي قضى عليها المستعمر أشبه بالميت يستحيل رجوعها مثل الميت
كيف يواجهون هذا الخليفة الذي يريد أن يستمد منهم الشرعية لسياسته، وقافته، وحتى عدوانه، طوعا أو كرها.[57]	﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ 53 سورةالتوبة ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ 11سورة فصلت	اقتباس وتلميح	يريد المستعمر أن يخضع الأهالي بالطوع بالإغراءات، أو بالإكراه بأنواع القوة
الخليفة يتهتلر، وهم عنه ساهون[58]	﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ 05 سورة الماعون	تلميح واقتباس	حال المتغافل عن المستعمر يعلم خطرته، مثل المصلي يعلم عظم شأنها ويتساهل فيها.

[51]- نفس المرجع، ص 84

[52]- نفس المرجع، ص 85

[53]- نفس المرجع، ص 86

[54]- نفس المرجع، ص 87

[55]- نفس المرجع، ص 87

[56]- نفس المرجع، ص 99

[57]- نفس المرجع، ص 101

[58]- نفس المرجع، ص 102

المهم ألا يحرمهم من التوجه في صلواتهم إلى قبلتهم، وألا يمنعهم من تقبيل حجرهم الأسود، والرجم، والطواف حول البيت العتيق.[59]	ألفاظ الشعائر الكبرى لمناسك الدين	تلميح	هناك من العادات الدخيلة في الدين بلغ تعظيمها مبلغ تعظيم مناسك الدين.
إلى الاستسلام استسلام الشجعان[60]	"استسلام الشجعان" فكرة الجنرال ديغول للثوار	استشهاد	هو تحوير عن السلام إلى الاستسلام ، مهما يكن فالأمر سيان، غير مقبولان عند الثوار.
وقتل بغير تمييز كل"وازرة" عنهم تزر "وزر" أخرى .[61]	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ 18سورة فاطر	اقتباس	الأصل أن كل وازرة لا تزر وزر أخرى لكنها عند المستعمر العكس، ينتقم لأنه لم يستطع القضاء على الثوار.
هو يعلم علم اليوم والأمس قبله.[62]	بيت زهير بن أبي سلمى : وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عما في غد عم	اقتباس	المستعمر له دواوين ومخبرين وأرشيف يعلم كل أخبار الأهالي.
لعل الرب يقصمه قصما، فيجعله آية للغافلين.[63]	استعمل القرآن كلمتي آية والغافلين و لم يستعملهما مركبين	استشهاد وتلميح	الغفلة من شيم المستبد، ولذلك نكاله سوف يكون عبرة لمن طغى ويغفل عن العواقب.
لن أتهاون في الإيقاع به، لكن ما السبيل إلى ذلك؟ إني أعلم ما لا يعلمون.[64]	﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾96 سورة يوسف	استشهاد	أصبح الحدس بقرب نهاية المستعمر صدقا في نفس المجاهد الموقن ، فهو كالغيب عند غيره لذلك لا يفكرون فيه

[59]- نفس المرجع، ص 104

[60]- نفس المرجع، ص 104

[61]- نفس المرجع، ص 105

[62]- نفس المرجع، ص 114

[63]- نفس المرجع، ص 115

[64]- نفس المرجع، ص 115

المشهد الثالث

ولم تكن من قبل هجولا ولا بغيا[65]	﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾20 سورة مريم	اقتباس	الأصل في اللغة الهجول للمرأة البغي واستعمله المؤلف مرادفا للبغي.
حميدة الذي كان يظن أنه خرج من جهاد أصغر ودخل في جهاد أكبر.[66]	أصل الجهاد الكبر والجهاد الأصغر حديث مأثور: رجعنا من الجهاد الأكبر إلى الجهاد الأصغر.	اقتباس	اعتبار الفضيحة في الشرف ومواجهتها أكبر جهاد في النفس من أي جهاد كان.
أولئك اللائي يشرن إليك من بعيد "كل بني آدم خطاء..."[67]	الحديث:" كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"	استشهاد	لا يغتفر الناس خطيئة الشرف وإن أدلوا بألسنتهم واعوا أن الخطيئة واردة لكن قلوبهم ونظراتهم لاترحم.
حواء لم تلد قابيل وهابيل إلا بعد خطيئة حمقاء كلفتهما الطرد منها والهبوط إلى هذه القرى[68]	قصة آدم وحواء من الكتاب.	اقتباس وتلميح	التأسي بخطيئة الشرف بخطيئة حواء في الجنة لأنها أكبر.
وقالوا كلاما آخر لم يؤاسهم ولا فرّج كربهم.[69]	**عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة...رواه مسلم**	اقتباس	في حال الشدة والكرب كان ينبغي الكلام الحسن فهو يعتب أحسن مؤازرة وتفريج للكرب
هي هدية من هدايا كرم الرب أن تزر وزر نفسي[70]	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ 18سورة فاطر	اقتباس	المسؤولية المنوطة بالقروي يعتبرها وزرا ينبغي تحمله.
بسم الله الرحمن الرحيم!أهو إنس أم جن؟[71]	بسم الله الرحمن الرحيم واردة في بداية كل سورة من القرآن ماعدا سورة التوبة	اقتباس	المتداول عند العامة البسملة عند رؤية شيء غير طبيعي، أو المذهل
انفضوا من عباداتهم دون أن يلقى مصلّ منهم كلمة يواسي بها صاحبه، لأن مصابهم مشترك.[72]	﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ 11 سورة الجمعة	اقتباس	تلك التعزية دليل أن الشهادة افتخار لا ينبغي عدها من المصائب ، وهو حال الأهالي في الثورة ولذلك كثر عدد لشهداء.

[65]- نفس المرجع، ص 117

[66]- نفس المرجع، ص 117

[67]- نفس المرجع، ص 119

[68]- نفس المرجع، ص 125

[69]- نفس المرجع، ص 137

[70]- نفس المرجع، ص 145

[71]- نفس المرجع، ص 152

[72]- نفس المرجع، ص 156

كأنه سي البشير بالتمام والكمال، سبحان من يحيي العظام وهي رميم.[73]	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ 78 سورة يس	اقتباس	يوحي أنها كرامة للشهيد أن يحييه الله بعد الموت
أم تحسب أن فُضالات القرويين إزاء فطيمة ستنتهي ببرد وسلام آمنين.[74]	﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ الحجر﴾ 46 سورة الحجر	اقتباس	لا يمكن أن تنتهي قصة أم القروي على ألسنة الأهالي ببرد مع ظهور براءتها
حسبها الناس بنت آل عمران، أعاذها الرب وذريتها من كل شيطان رجيم، وقبل تبتلها بقبول حسن، لم يبق إلا أن تنزل عليها في قريتها مائدة من السماء.[75]	﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ 36 فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ 37 آل عمران	تلميح واقتباس	الناس يسخرون من الذي تظهر براءته فليس تلك الكرامات إلا لأولي العزم من الرسل
ألا تذهب بعقلها الذي طار منها أن شبحا تراءى لها، وهي يقظة واعية، في صورة رجل كريم، فنفخ فيها من روحه، ووهب لها غلاما زكيا؟[76]	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ 91 الأنبياء	اقتباس	لا يمكن أن يكون ماحدث لمريم لغيرها، فلا عبرة لبراءة أم القروي عند الأهالي.
لئن مسّ الشماليات قرح ضئيل فقد مسّ جنوبيات قرح كثير.[77]	﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ 140 سورةآل عمران	اقتباس	أسى النساء الغربيات بفقد أزواجهن لا يقارن مع ثكالى وأرامل النساء في البلدان المستعمرة بما أصابهم المستعمر من قتل الأزواج والأولاد
وكل واحد منا يحمل مقلاعا، وفي جيوبه حجارة من "سجيل"[78]	﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ 04 سورة الفيل	اقتباس	قلة العدة واحتقار العدو لها كانت سببا في النيل منه، فقد ينتصر المناضل في سبيل قضية عادلة بأدنى عدة.
لو كان "اللسان" مددا لوصف قريته الأولى والثانية لنفد "اللسان" قبل أن تنفد كلمات قريته.[79]	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ 109 الكهف	اقتباس	تعلق القروي بقريته، ودار الغربة أين أقام أسرة له، لا يمكن وصفه.

[73]- نفس المرجع، ص 159

[74]- نفس المرجع، ص 164

[75]- نفس المرجع، ص 165

[76]- نفس المرجع، ص 165

[77]- نفس المرجع، ص 166

[78]- نفس المرجع، ص 180

[79]- نفس المرجع، ص 184

المستوى الدلالي

النص(الرواية) قصة شعبية، ولذلك يكثر فيها الحكي والسرد، فيتنوع فيها أنواع من الجمل والعبارات متضافرة لتشكيل نسقا معينا من أنواع الحكي، وعلى ذلك نأخذ ماذهب إليه سعيد يقطين في اعتبار السيرة الشعبية (جملة كبرى) تتضمن جملا متعددة صغرى تتضافر مجتمعة تتشكل من مبتدأ و خبر، وذلك بناء على أن المبتدأ هو ما يتم الإخبار عنه بواسطة الخبر، ومن جهة ثانية ننظر إلى الخبر بصفته جملة فعلية، وبذلك يأخذ العمل الحكائي وضمته السيرة الشعبية هذه الصورة الطبيعية الأولى"[1].

صيغة التحليل الدلالي:

أولا :على المستوى الأفقي

1-الوظيفة المركزية :

بما أن لكل عمل حكائي دور أساسي وبطولي، فتكون " الوظيفة المركزية" كما أسماها سعيد يقطين أيضا بـــ**الدعوى** لأنها" المراد الذي يوظف من أجل الراوي كل المكونات بقصد إيصاله إلى ذهن المتلقي"[2]. وهذه الوظيفة المركزية تنقسم إلى ثلاث وظائف أخرى أساسية كالآتي:

[1]- قال الراوي، سعيد يقطين ،المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء- المغرب ،الطبعة الأولى 1997 ص31.

[2]- المرجع نفسه، ص 35.

1-الأوان: هو الوظيفة الأساسية الأولى إذ هو بداية العمل الحكائي ...، نيته يظهر البطل صاحب دعوى النص.

2-**القرار:** ويقصد به الوظيفة الأساسية الثانية، فيكون التصدي ومواجهة العوائق.

3-**النفاد:** ويقصد به تحقق الدعوى بعد تصفية مختلف الأجواء والتي كانت تواجه البطل في أداء مهمته، وبنفاذ الدعوى ينتهي العمل الحكائي.[1]

2-المستوى العمودي

على المستوى العمودي فإن الوظائف الأساسية الثلاثة تتمفصل بدورها عموديا، وعلى غرار البنية الحكائية إلى أربع وظائف. أولا هما هي بمثابة الوظيفة المركزية في **البنية الكبرى (الدعوى)**، ولتميزها عن الدعوى المركزية التي ينهض على أساسها العمل الحكائي بكامله، نسميها الوظيفة البنيوية وتمثل الوظائف الثلاث الأخرى ما رأيناه تحت اسم الوظائف الأساسية، نميزها باعتبارها الوظائف الفرعية[2].

[1]- المرجع نفسه، ص37.

[2]- قال الراوي، ص 38.

المستوى الأفقي

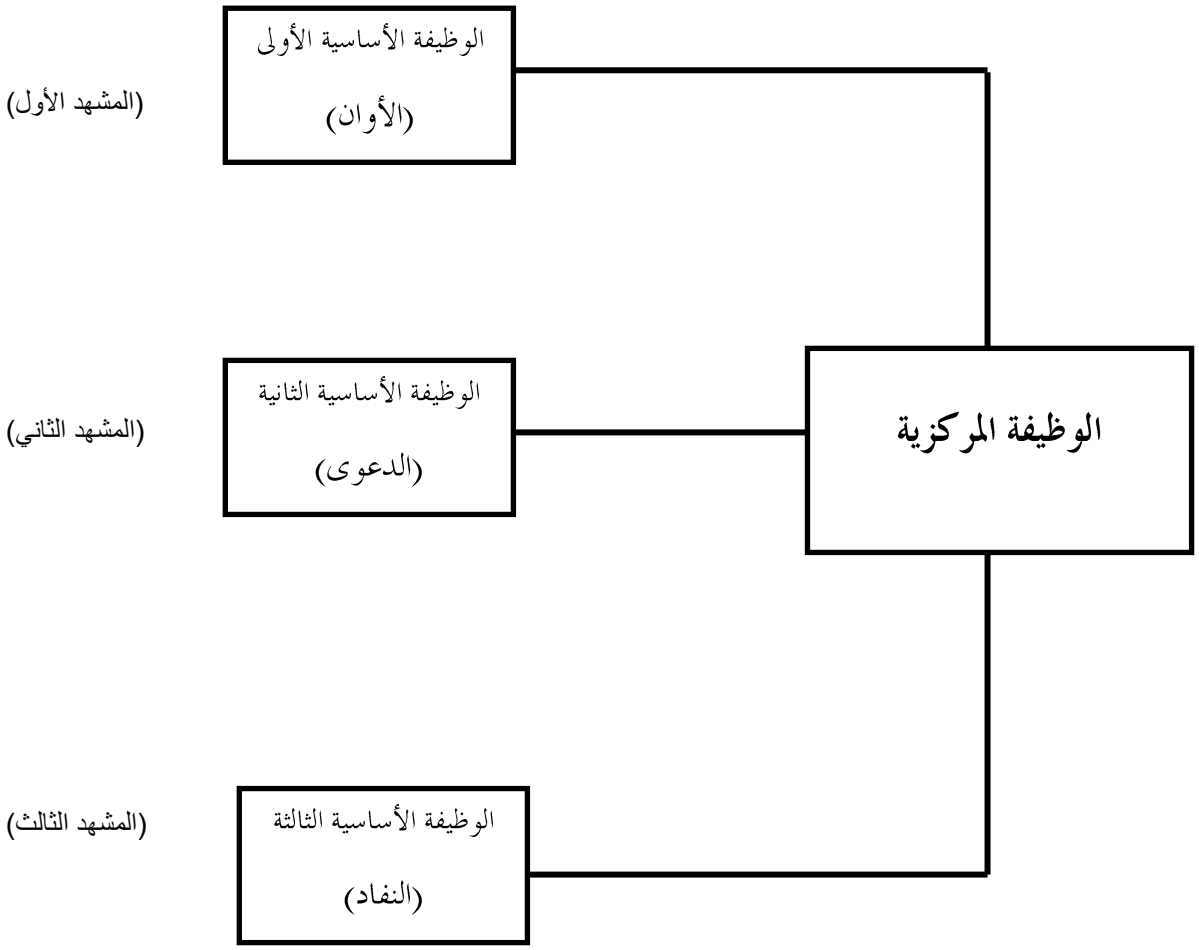

المستوى العمودي:

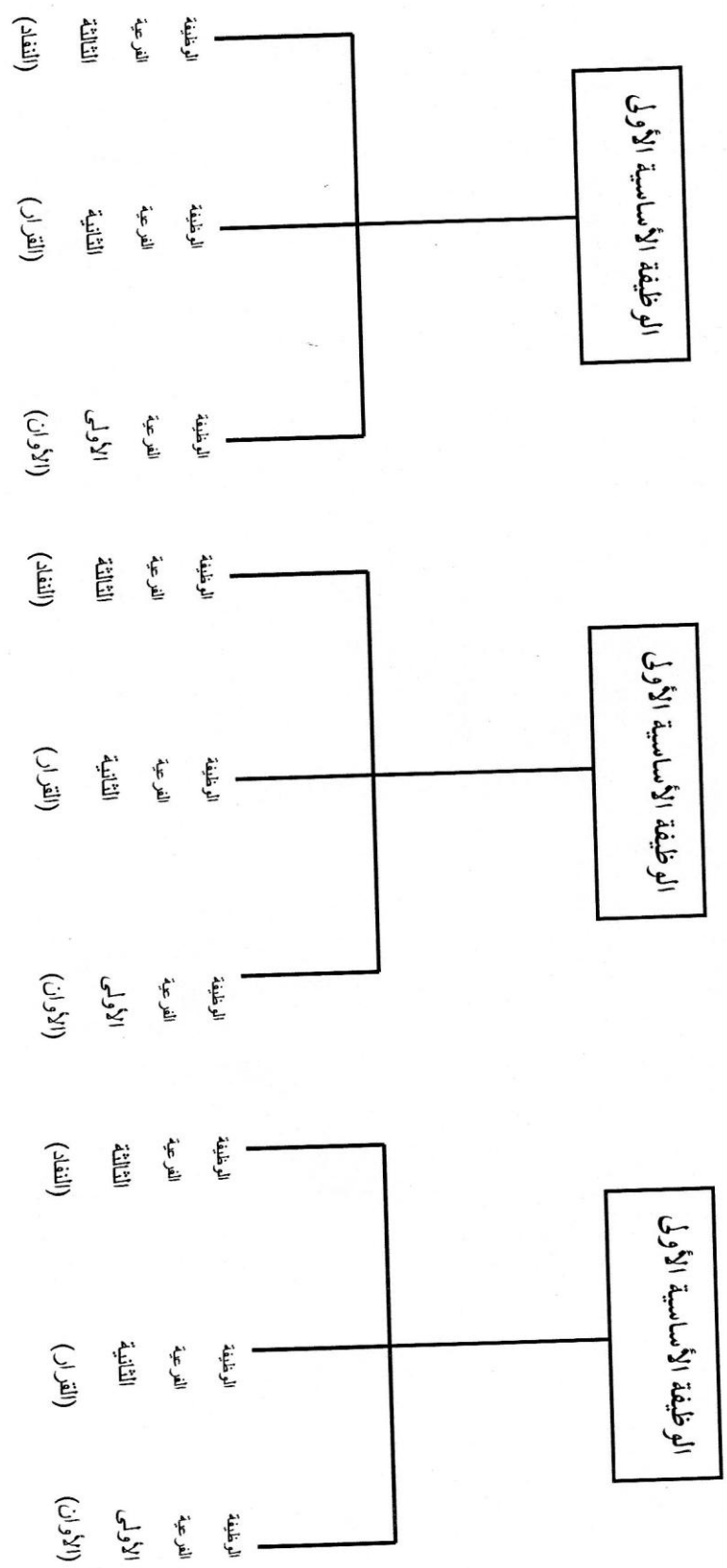

الوظيفة المركزية:

إن الوظيفة المركزية التي بصددها الرواية هي مأساة الشعب الجزائري مع الاستعمار (الاستدمار) الفرنسي، ووجود القروي هو عينة من هذه المأساة مع ما عانته قريته كجماعة هي أيضا عينة جماعية من هذه المأساة، والدلالة التي استعملها الكاتب في هذه المدونة هي القرية ومشتقاتها من قروي والقرويون والشمال والجنوب وغيرها من مفردات ووحدات دلالية صغرى على ذلك كما سبق في المستوى الصرفي، ولكن الدلالة في مستوى النص هو استعمال القرية كدلالة على الكرة الأرضية وكل مدني أو إنسان إنما هو قروي ينتمي إلى هذه القرية الكبرى، وتتكون من الشمال والجنوب، وتتضح أسس الوظيفة المركزية في الدلالات التالية:

- الدلالة الجغرافية: وهي قروية الكرة الأرضية
- الدلالة السياسية: وهي تقسيمها إلى الشمال والجنوب
- الدلالة التاريخية: وهي وجود الاستعمار
- الدلالة الاجتماعية: وهي معيشة القروي وعشيرته

من هذه الدلالات تتجلى الدعوى وهي الصراع في ظل الحقبة التاريخية والمآسي التي عانتها لأمثال هذا القروي مع أهله وعشيرته، وما تسببه الاستعمار في فساد كانت دلالته الكبرى تتجلى في فساد الطبع الإنساني الذي تخوفت منه الملائكة كما سبق الكلام في دلالة " الخلفية" في المستوى العرفي.

الوظيفة الأساسية الأولى:

إن وظيفة الأوان وهي الوظيفة الأساسية الأولى في الدعوى التي تبين مجالها هي بروز **شخصية القروي** ،وهي **الشخصية البطلة** في الرواية تولد هذه الشخصية في وسط عتاب توجهه الشخصية البطلة في مستهل بداية الرواية إلى شخصية مجهولة ،ويستمر ملاذ هذه الشخصية مع قرويته، وتتكون مراحل هذه المرحلة (مرحلة الأوان) من الوظائف الغريبة الأبنية .

الوظيفة الأولى (فرعية): وتتمثل في ذلك الوصف المغالي لعلاقة القروي بقريته ويستمر في ذلك أثناء المقطع الأول ابتداء بوجه العتاب إلى شخصية مجهولة، ويتراوح الخطاب كما أسلفنا في المستوى التركيبي إلى خطاب جمع غائب ثم جمع مخاطب، كما أن المقطع في توضيح القدر الكبير الذي يكنه القروي لقريته حتى إنه يرفع درجة قريته إلى أم القرى أنني استهوي أناس من كل فج عميق فهو يصفها " أم قراه" [1]

" هل لهذا القروي إثم كبير إذا غالى مغالاة في حبه لقريته؟" [2]

" أيرد عليهم، وتدا مقحما لعلهم عنه يقطعون وقريته التي لا يرضى سواها مسكن وخلودا " [3]

" أ لأنه عصفور نادر في قريته؟"

[1]--أنتم الآخرون ، عبد الجليل مرتاض، ص 14

[2]-نفس المرجع ص10

[3]-نفس المرجع ص11

ويتضح من هذا المقطع بروز شخصية القرويين أبناء قريته واهما مهم به من جهة:

" ما كنت أصيب أن القوم يحتفلون بهذا القروي كل هذا الاحتفال" [1]

" هل أضحوا عالمين بكل شاردة وواردة تمس قريته وقرويته؟ هم اعتزلوا من العبادة و لم يشغلهم شغلهم الشاغل الوحيد غير هذا القروي العريف في صخريته." [2]

" ما كنت أخال أن قرويا لا يسحن العمليات الأربع بشهوتهم كل هذا الاستهواء." [3]

" لعلك لم تتفق معي بعد أن الناس حاكوا كل ما استطاعوا حياكته شأن هذا القروي ." [4]

ومن جهة أخرى يصف هؤلاء القرويين:

" اتضح من كل ما سبق من ثرثرة وحيرة أن مثل هؤلاء القرويين لا يتطوعون."[5]

" وأمسى يتساءل عن جدوى وجودهم هنا وهناك عبر هذه القرى الشاسعة، صار الواحد منهم لا يرتدي و لا يتغذى شيئا مما تنبته قريته ." [6]

" تساءل القروي: لماذا غدا قرويونا منذ عقود لا يأكلون ولا يشربون إلا بالدين."

[1]–نفس المرجع ص10
[2]–نفس المرجع ص11
[3]–نفس المرجع ص12
[4]–نفس المرجع ص12
[5]–نفس المرجع ص15
[6]–نفس المرجع ص15

ومن هنا تبين أن شخص القرويين الذين يعنيهم في هذا المقطع هم أبناء الوطن فلفظ الوطن قد استبدل بلفظ القرية، والمواطنون بالقرويين، قرويته جزء من كرة بكاملها، قريته بلده الصغير، ووطنه الكبير، الذي ينتمي إليه منذ قرون وقرون دينا ولغة وتاريخا ووجدانا ومصيرا.

و يتضح بعد هذا وجود دلائل على وصف أوطان أخرى وشعوب أخرى مثل قوله: "بجوار "أم القرى" وعلى بعد منها أقوام لا ينشغلون إلا بمخابرهم، ومراصدهم، ومجاهرهم لا يملكون ثروات باطنية، ولكنهم أخرو السبق في كل القرى ومحيطاتهم."[1]

ونلمس **قيم تاريخية** من خلال ما تدل عليه ألفاظ وعبارات

في المقطع الأول:

"هو يكره حمل السلاح، لقد حمله خلال ثورة التحرير في قريته جنوبا وخارجها بعيدا عنها شمالا، حمل السلاح يوم كان عمله معنى مشروع"[2]

في المقطع الثالث

" أنت تكيل بمكيالين، تسمى من يذود عن وطنه المسلوب وشرفه المهدر إرهابيا، ومن يدوس الحرمات، وبطلا يدافع عن حق وجوده."[3]

[1]–نفس المرجع ص 15

[2]–نفس المرجع ص 15

[3]–نفس المرجع ص23

ولعل هنا يقف البداية في ظهور البل وعلاقته بقريته وجمع الماضي بالحاضر حتى يصور لنا الصورة التي كان عليها ويعيشها في وطنه، ليضعنا في المقطع الرابع حيث خروجه من قريته وهجرته منها أثناء الفترة الاستعمارية.

ثم ينقلنا إلى **دلائل طبيعية محيطة بالقرية** وهي:

" هذا الجبل الذي يدعى " ناطورا"،تعاقبت على صعوده والتحصن فيه واللجوء إليه أيام المحن بل هو حامي القرية هو جبل عظيم يفصح لك في صمت رهيب ووقار كبير عن الأمازيغ الأشاوس."[1]

في المقطع السادس: فالجيل هنا له **دلالة تاريخية** تتمثل في أنه كان يلجأ إليه أهل القروي منذ عهد قديم حيث كانت المحن فهو يقول: بعد تمام ذكر هذه الرحى إلى شعوب وطوائف وقوافل من فينيقيين ووندال، وورومان ،وبيزنطيين وصحابة أجلاء وفاتحين، فرنسيين، مروا كلهم من هنا." [2]

فدلالة القروية هنا تعني الوطنية، فعلاقة القروي بقريته هي هذا الشعور الوطني ولذلك ولد هذا النص (الرواية) بمطلع خطاب عتاب على حب الوطن وينبغي أن لا يتعرض له هذا المواطن المخلص لوطنه.

القيم السياسية

ويأتي **المقطع الثاني** ليدل على وصف المستعمر الذي استعمر وطنه ويدعي بما أسموه من الحريات، والدفاع عن حقوق الإنسان، الأمم المتحدة.

[1] – نفس المرجع ص 28

[2] – نفس المرجع ص 29

" ليس لهذا القروي ما يخفيه من أسرار بانتغونية" عن قرويين فضوليين أكثر من اللازم ،أثبتت

فشلها الذريع أمام ما روع قراها المتحدة."[1]

" عهد الحزب الواحد قد انتهى ، وقراهم أصبحت تتمتع بصفاء و شفافية ومطلق حرية التعبير."[2]

وفي هذا تلميح عما يعيشه وطنه من انتكاسة بعد الاستقلال، ويعيش ألم مستعمر في تقدم ورخاء.

أما **في المقطع الثالث** فهو يلمح إلى المستوى الدلالي السياسي الذي كان لائحا في الأفق بعد الاستقلال " ليس ما يخفيه من أسرار" موسادية" في أوج نشاطها، و لا "كاجيبيه" في أيام زمانها وما عاناه أثناء الكفاح المسلح." [3]

وفي المقطع السادس ينقلنا المشهد بنا إلى البلد التي هاجر إليها، ولما يعقد مقارنة في نفسه يخرج عن صمته لينطق في صمت داخلي: لم يتوان القروي لحظة، وهو في ذلك النحو المفعم بالتناقضات

المتألفة أن يتساءل: " القرويون هناك في الجنوب."[4]

" لم يعد القروي قاصرا وقد أدرك ثمانية عشرة ربيعا منذ شهور ،لقد أحس لأول مرة بأن الرجولة عقوبة، عليه بعد أيام أن يقول " لا" أو " نعم للجنرال ديغول." [5]

---

[1]–نفس المرجع ص 19

[2]–نفس المرجع ص 20

[3]–نفس المرجع ص20

[4] – نفس المرجع ص 45

[5] – نفس المرجع ص 46

" ما هذه العولمة الشرهة التي يستشرقون بها لتزداد قراهم غنى، وتزداد قرانا فقرا."[1]

القيم الاجتماعية:

" تنحى بعيدا ليفسح المجال إلى أترابه وقد تحلق بهم جمع غفير من الأبناء والأمهات ،الكل يقبل و يلثم، ويودع."[2]

" حب القروي يودع حب لقريته، وأوديتها، وسهولها."[3]

" رحلة برية وبحرية ، ثم برية شاقة"[4]

لكن هذا التوديع سيكون بمثابة الأسى لدى هذا القروي، فهو سيفارق موقع مسقط رأسه فما الذي سيودع في قريته؟ وكيف سيكون وداعه؟

دلائل التوديع في هذا المقطع تشدنا إلى أشياء عفا عنها الزمن

" لم يكن بحاجة أيضا لجواز سفر، ولا تأشيرة، ولا حتى بطاقة هوية."[5]

" بعد قليل سيتخلص من تلك العمامة التي طالما اعتبرها اعتبارا." [6]

" كان آخر من لوحت الفتيات الأبكار إليه باحتشام، وتحفظ شديدين."[7]

[1] – نفس المرجع ص 48
[2] –نفس المرجع ص 25
[3] –نفس المرجع ص 25
[4] –نفس المرجع ص 25
[5] –نفس المرجع ص 26
[6] –نفس المرجع ص 26
[7] –نفس المرجع ص 26

أفواه أمهات متمزقات، إنهن يوصينه بالاعتناء ب"إخوته"، و لم توصه واحدة منهن أن يعتني بنفسه."[1]

فهذه **الدلائل الاجتماعية** التي تسرد حياة المجتمع آنذاك في لباسهم، ومعاملاتهم وطبائعهم وأخلاقهم

وبعدها يصل هذا المشهد بالرجوع إلى مشهد الوداع ولكن هنا يفرد وداع أمه في إشارة

" قبيل غروب شمس قريته" [2]

يعود هنا ليثبت بعضا من جوانب شخصية القروي فهو "وحيدها وواسطة عقد أخواته الثلاث، رحل والده إلى القرية الأولى التي يحلم والده بها."[3]

" هو على خلاف أقرانه، حتى هذه اللحظة لم يؤمن أنه هاجر أم فراه." [4]

" هو لم يعرف إلا لوحة خشبية مصلصلة يسوّدها بمداد أسود" [5]

" هو أفرس لا ينطق لسانه إلا بكلمات تعلمها في قريته جنوبا من العساكر"[6]

ليختم ذلك بالعودة إلى الأم وهو يصف صبرها وجلدها " وهي توصيني خيرا بنفسي ،إن ما عليه أمي المغبونة في هذه القرية التعسة من تضحية و تعد."

[1]–نفس المرجع ص 27

[2] – نفس المرجع ص29

[3] – نفس المرجع ص 35

[4] – نفس المرجع ص 37

[5] – نفس المرجع ص 38

[6] – نفس المرجع ص 39

فهو مع ذكر أمه يذكر قريته " لا تصدقوني أيها القرويون البسطاء إذا قلت لكم أزور قريتي في كل ليلة." [1]

فهذا الجمع بين الأم والقرية بين الأم التي ولدته والأم التي نشأ فيها هو دلالة انتماء لهذا الوطن والرحم ليختم المشهد بهذه العمق النفسي في حب الوطن والأقارب.

" يشير لك بقمته المقوسة نحو سيدي لغريب الشرسة" [2]

دلالة تاريخية

فالجيل هنا له تتمثل في أنه كان يلجأ إليه أهل القروي منذ عهد قديم حيث كانت المحن فهو يقول: بعد تمام ذكر هذه الرحى إلى شعوب وطوائف وقوافل من فينيقيين ووندال، ورومان ،وبيزنطيين وصحابة أجلاء وفاتحين، فرنسيين، مروا كلهم من هنا." [3]

ودلالة دينية مزدوجة:

" كان القرويون قبل انتشار أضرحة الأولياء الصالحين إذا أقسموا، فلا يقسمون إلا به، وإذا نذروا فلا ينذروا إلا له ." فهذه دلالة عهد وجود الأضرحة حديث، وكيف كان تقدير الجبل قبل وجود تقديس الأضرحة، هذا من جهة ومن جهة أخرى يصف الجبل وصفا وكأنه كان شاهدا على الوحي

[1] – نفس المرجع ص 49
[2] – نفس المرجع ص 28
[3] – نفس المرجع ص 29

من عهد موسى عليه السلام وعهد خاتم الأنبياء و: " لقد خشعت متصدعا استعطافا واسترحاما من أن يترل عليك هذا القرآن، ويوم كلم ربك موسى رغب موسى في رؤية ذي الجلال فلما تجلى ربه لك، يا جبل، لم تستقر مكانك ودككت دكا ."[1]

فدلالة الجبل دلالة تقديس وتعظيم للوحي الإلهي

القيم النفسية

وهي عظمة وعمق شخصية القروي وانتمائه لهذا الوطن ولذلك يشبه هذا الجبل الذي يحيط بقريته "الناطور" بجبل أحد في قوله عليه الصلاة والسلام﴿ أُحُدٌ يحبنا ويحبه﴾ الذي كان شاهدا على مأساة فقدانه لأحب الناس إليه، ولذلك نرى هذه الدلالة في قوله " ما الذي شد القروي إلى هذا الجبل الجاثم على أعلى قريته".[2]

" تعلمون أن الإنسان من طبعه ألا يتعلق بالشيء إلا مرتين، حيث يراه لأول وهلة، وبيانه لآخر مرة، وهذا خال القروي مع جبل الناطور." [3]

وتظهر هذه القيم **المقطع الخامس** يبدأ اختتام نهاية المشهد الأول وهو انتقال القروي إلى الجانب الآخر خارج قريته (وطنه) على ظهر السفينة لكن بشيء من الغرابة وهو التخلص من لباسه مع أصحابه الذين اعتزموا الرحيل وهم ستة وهو سابعهم في البحر، ثم يقرر هو استرجاعها في مشهد سينمائي

[1] – نفس المرجع ص 20
[2] – نفس المرجع ص 30
[3] – نفس المرجع ص31

ويصف بعض من كانوا معهم وهم الشقراوات" فأسرعت إليه ثلاث شقراوات، بدأن يخلعن كسوته الصدرية، وهو يكاد يحمرّ خجلا ثم انصرفن هشوشات بشوشات."[1]

(المشهد الثاني)

الوظيفة الأساسية الثانية من هنا من المقطع السابع تبدأ الوظيفة الأساسية الثانية في النص وهي القرار على حد تعبير سعيد يقطين، وتتمثل هذه الوظيفة في تغير المشهد الصامت إلى مشهد ناطق يبدأ بنطق القروي: " شكر الله وأخيرا تكلم القروي." [2]

وهنا يبرز الشخصية الثانية – الذي لم يبرز اسمه بعد- لكنه يظهر أنه قريب من القروي فهو يقول:" هو تحدث عن أمه بكل تحية وإعجاب وأنا لا أنكر أنها خليقة بأكثر من ذلك وقد خطبته أربع مرات." [3]

ويظهر أنه كان يتردد على الوطن وخارجه بلاد المستعمر (فرنسا)

"كنت كلما عدت من هذه الجزيرة الخضراء إلى تلك القرية اليابسة إلا."[4]

كما أنه يثبت رحلته معه و لم يتوان في التصريح باسم " حميدة" وهو اسم القروي واسم أمه " فطيمة" " و لما انتشل حميدة أعيدت إلي روحي وشعرت بولادة جديدة ربما ستسمح لي بمراجعة السيدة فطيمة

[1] – نفس المرجع ص 32
[2] – نفس المرجع ص35
[3] – نفس المرجع ص 41
[4] – نفس المرجع ص42

للمرة الخامسة." [1]

وهنا يفصح عن اسمه على لسان أم القروي " فطيمة" قائلا:

"وتتوب إلى رشدها، حتى هذا الرجل سي بورويس الذي لم يكل في خطبتي." [2]

ويظهر هنا أنه يحمل مرتبة عسكرية:

" أصدرت أوامر لمن دوني مرتبة لإسناد مهمة ، للفتى قبل أن تقع الواقعة." [3]

الدلالة التاريخية

و يظهر من ابتداء الوظيفة الثانية أننا بصدد المواجهة وتعقيدات النص، حيث نلمس وهي الثورة الجزائرية. ويبدو أنها كانت كما هو معروف تاريخيا إن الكفاح الثوري كان يصل إلى بلد المستعمر " فرنسا"، ونلمس ذلك في أن النص يسرد شتى دلالات من ألفاظ تدل على ذلك.

"عرضه للمناشير التي تصدر عن الحكومة المؤقتة أمام القرويين."[4]

" لفت انتباه غير واحد من الثوريين وهو يغدو ويروح بين البراريك القروية رفقة شباب آخرين."

فهناك من القرويين (المواطنين) من هم لا يقدمون على الكفاح إما الضعف " بحث القرويين على

[1] – نفس المرجع ص43
[2] – نفس المرجع ص44
[3] – نفس المرجع ص53
[4] – نفس المرجع ص54

القتال معه، لن يقاتل معه قروي واحد حتى ولو رأوا ملاكئة بأم أعينهم."[1]

وإما لعدم التكافؤ مع المستعمر" لا يملكون أسلحة معدودة عندعسكرالخليفة في طي النسيان، لم تعد صالحة لديه للصيد والاستجمام، إنها فضلات المصانع العسكرية، وإما لتواطؤ لبعضهم."[2]

" أسياد العبيد والخماسين منح لهم الأمان من الخليفة، إذ لم يشدوا عضد القروي ،وبنوك الخليفة محمية ومضمونة ما لم يعثروا على خليفتهم."[3]

وهو يعود ويستطرد في الكلام عن القرية (الوطن) ليلفت النظر إلى حب الوطن وفي هذا **دلالة نفسية** كبيرة وهي الوطن والصراع مع المستعمر (الخليفة) القضية طغيان وفساد في الأرض هذه هي دلالة الخلفية، مما يجعل الكاتب في المقطع الحادي عشر يستطرد في الكلام عن الخليفة وهو يصفه بلسان القروي.

" الخليفة أمر ليس له لحية، ولكن لحاه الطويلة وعيونه المبثوثة في كل ركن ،هو يراك وأنت لا تراه، الأرض بكل قراها يداعبها بقدمه، يفضل حلق الأرض بحلق السماء، إنه الخليفة، اليوم فقط أدركت أكثر إدراك مغزى حوار الملائكة للرب." [4]

[1] – نفس المرجع ص 86
[2] – نفس المرجع ص 88
[3] – نفس المرجع ص 89
[4] – نفس المرجع ص 85

وفي المقطع الثالث عشر يرجع الكلام عن بورويس ولجوء القرويين إليه في التخلص من الخلفية. وأصبح رجوعهم إلى ما كان يحذر منه القروي هذا الطاغية.

" لم يعد القرويون منشغلين بالقروي وما لازال،...كيف يواجهون هذا الخليفة." [1]

لأن الخليفة دخل بالفعل في وعيده، وهو هنا يتكلم عن فترة حاسمة من الثورة بعد اشتداد الخطب:

" كم مرة حذرهم القروي أن الخليفة جاد سيمحق قراهم محق إذا لم يجنحوا إلى الاستلام، استلام الشجعان، مقابل أشبار أرضية." [2]

فهو **دلالة تاريخية** عن مشروع ديغول واقتراب موعد المفاوضات والكلام عن الاستقلال، وهذا ما يقسم به مشهد القرار في المقطع الرابع عشر:

" كثر القيل والقال في هذه الأيام، أصبح الحديث لا يدور بين القرويين إلا عن الانعتاق من أغلال سيدة الجزيرة السحابية." [3]

و أما **الدلالة النفسية** فهي **العطف** الذي يظهر " بورويس" مع القروي وأمه، حيث يتخذهما عائلة له، إلى جانب كفاحه المسلح الذي يقوم به. فهذا يكشف جانبا من الدلالات الاجتماعية والنفسية التي كانت تسود الثورة الجزائرية.

[1] – نفس المرجع ص 101
[2] – نفس المرجع ص 104
[3] – نفس المرجع ص 105

الدلالة السياسية: تتجلى في دلالة الثورة القروية أنها ثورة نابعة من إرادة وطنية ولذلك أخذت تقيم محاكم داخلية في شؤون عامة المواطنين وأنها كانت منظمة بشكل جيد فهو مما يدل على نجاحها، و بورويس هذا وإن أنكر ما نسب إليه، فهو يحاكم مرة " ثانية" نقل هذا الهذيان المضحك مخبر إلى ضابط القرية الذي كان غريبا عن القرية، بمحاكمة البورويس للمرة الثانية والأخير والبث في شأنه نهائيا." [1]

ولم ينجه إلا فرار هذه الممرضة وتبرئته عند رجوعها واعترافها: " أنها مسجلة في وسجل الحركي..." [2] هذا الشاهد يثبت شمولية الثورة وتنظيمها.

أما **الدلالة الاجتماعية** فهي العفة التي تظهر في تعرف بورويس (الممرضة)، وزيارتها لأم القروي ونصحها بتزويج بنتها حتى لا تقع في ورطة مثلها:

" فكري في تزويج بنتك الكبرى حتى لا يقع بها ما وقع لي."[3]

وتظهر عفتها: " أنا الآن في الثكنة لا يجرؤ وحش الاقتراب مني أو حتى مغازلتي." [4]

وفي هذا دلالة اجتماعية أيضا مخلفات الاستعمار وكيف كان المجتمع في أثناء الثورة يحمل هموما مآسي تتعلق بمتاعب الحياة بل بمتاعب نفسية جراء عملية الاغتصاب وانتهاك الشرف والمحرمات.

[1] – نفس المرجع ص64
[2] – نفس المرجع ص67
[3] – نفس المرجع ص68
[4] – نفس المرجع ص 69

" بلغ القرويين سنة في الصباح الباكرين من الغد أن صاحبهم حميدة لم يعد كعادته إلى الحي من ساء أسس خشوا أن تكون الشرطة المدنية السرية قد ضبطت عنده بريدا من البرد السرية."[1]

وبعد الشعور بسلامته يعودون للحديث عن الجهاد

" تناول القروين السبعة عشاءهم كما ينتظرهم عاجلا أو آجلا من عمليات ومهمات." [2]

ثم يعودون للكلام عن الترويج عن نفوسهم:

" و أراد القرويون الشباب الترويج عن النفس،..." [3]

أما**النفسية** الأخرى فهي تظهر عند شخصية القروي الثوروية"يوم شوهد كالطود الشامخ بقامته الهيفاء. [4]

"لا يمكن تقليد شاب ذي ثمانية عشر ربيعا وبيقا مسؤولية في حجم هذه الثورة." [5]

والثقافية "شعارات هذه الثورة القروية ومداليلها ،ويظهر أن حميدة كان فهما قريبا من البحيرة."[6]

" كان حميدة يخاطب القرويين المتجهرين جلوسا وكـــن على رؤوسهم الطير" [7]

[1] – نفس المرجع ص 90
[2] – نفس المرجع ص 95
[3] – نفس المرجع ص 95
[4] – نفس المرجع ص54
[5] – نفس المرجع ص55
[6] – نفس المرجع ص56
[7] – نفس المرجع ص56

أن ينفض الاجتماع يرددون قرويا واحدا: الله يرحم التي قرّاك" [1]

أما **الدلالة الدينية** فهي إقناع بورويس من اقتراف الفاحشة وأنها من الكبائر مستعملا الكاتب ذلك **التناص** القرآني كما مّر في المستوى التركيبي، وأيضا الدلالة الدينية في قوال الممرضة : " لم يكن صعبا علي أن أرميه بالقذف."

ويستمر الكلام في المقطع التاسع، وهو يلعب دورا رئيسيا في الوظيفة الفرعية الثانية من وظيفة القرار، ليطلعنا المقطع على دلالة لغوية كامنة في المجتمع وهي علم الأنساب:

" حدثني شيخ دوباح واطلاع في العربية وأنساب القرويين أن بورويس منسوب إلى قرية شامية اسمها " بيت رأس." [2]

" واستبعد الشيخ التصغير في بورويس تلميحا أو إعجابا."[3]

وقد ساق الكاتب **قيمة لغوية** في المجتمع

"لأن " بو" متفشية في القرية تفشيا عائليا واسعا: بوحمامة، بوغرارة، بوطايب." [4]

بعد هذه الوظيفة الفرعية الأولى لشخصيات الثلاث ذات الدلالات النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية، تأتي **الوظيفة الفرعية الثانية** وحينها يبرز أكثر دور "بورويس"وبروز شخصية ثانوية معه

[1] – نفس المرجع ص57
[2] – نفس المرجع ص71
[3] – نفس المرجع ص72
[4] – نفس المرجع ص75

وهي الممرضة والمقطع الثامن من هذا المشهد له دلالات اجتماعية ودينية بل وسياسية وفيها يزداد الاقتدام في المشهد يقول الكاتب في ذلك:

" العارفون بخبايا هذه الثورة القروية يعلمون أن بورويس نجا من الساطور يوم اتهامه بالفجور مع ممرضة قروية كلف بقيادتها إلى فرقة من الثوار بجبل الناطور." [1]

يعود بنا المقطع العاشر لتبدأ **الوظيفة الثالثة من وظيفة القرار**، وهو رجوع القروي يتكلم من جديد ليجعل من هذه القضية عرضا ينبغي عدم الاستطراء فيها، وينبغي تحجيجها، إن القضية الأساسية هي الوطن.

". حسبي ما فيه من أشغال بقريتي، لست فارغا لهذركم...ليت في قريتنا وفي هذه الجزيرة المخضرة السعيدة" ألف بورويس، ليت تلك الممرضة تطفو لكم من جديد، ليت ذلك الخليفة يترجم تهديده ووعيده إلى شيء ملموس." [2]

هكذا يصف المستعمر بأنه الخليفة المعني في القرآن. وهذا **الاقتباس القرآني** له **دلالة سياسية**، وهي هيمنة الاستعمار على خيرات الوطن فهو يعبر عنه بمصطلح ليدل دلالة على فساده بل إنه لا يمكن مبارزته، مما جعل الكاتب يصف القروي بالمسّ فبورويس الذي كان رمزا للكفاح أصبح الآن مختفيا.

[1] – نفس المرجع ص63

[2] – نفس المرجع ص 76

و في هذه الحالات الثلاث **دلالة سياسية واجتماعية** في انقسام المجتمع أثناء الكفاح المسلح ضد المستعمر إلى مداهنين ومتواطئين، و إما ضعفاء لا يملكون ضرّا ولا نفعا وإلى مجاهدين واستشهاديين وهو حال أبو القروي الذي قدم نموذجا للكفاح المسلح ليطالعنا المقطع الثاني عشر أن القروي هو ذلك الشبل من أبيه الأسد، فهو وإن أصابه مكروه وتعلقت به المرأة الشقراء من بنات الاستعمار فهو مكافح وهذه دلالة انزعاج أصحابه وغيابه عنهم إثر حادثة تعرض لها في محل المرأة:

(المشهد الثالث)

مع المقطع الخامس عشر يتحول المشهد الأخير إلى انزياح تام ودخول المشهد في ظرف مفاجيء، وهو يعد الحبكة في الرواية وهو حمل فاطمة أم القروي، زوجها شهيد، وهي امرأة عفيفة، ورفضت الخطاب ،وأصبح الكلام عن هذا الحدث الذي هز قريتها، وبروز شخصية العجوز لأمها في المشهد:

"وقد دقت باب الثمانين، سخطتها أمها سخطا شديدا ،لماذا رفضت الزواج؟ لحرام يعجبك، والحلال ما يعجبكش". [1]

وتحاول دعاية جديدة وتزويجها بابن عمها سعيد وهو مغترب ، حتى تستر الفضيحة.

وفي المقطع السادس عشر يصور لنا مشهد خروج أهالي القرية وعلى رأسها زعيمها في البحث عنها في جبل الناطور، هذا الجيل يعود في المشهد ويكون موقعا لهذا الحدث المهّم، و في هذا

[1] – نفس المرجع ص 119

دلالة اجتماعية وهي اجتماع أهالي القرية لتضامن مع هذه المرأة المخطئة و**دلالة جغرافية** وهي أهمية الجيل في العمل المسلح والآن في الهروب من الفضيحة والعار وبهذا تكون.

" ليس كل من هب ودب بمقدرته أن يجوب هذه الشعاب والمسالك الضيقة والوعرة التي يتألف منها هذا الجيل المشمخر المشرق سيدا خالدا على القرية." [1]

وهذه **الوظيفة الأولى** من هذا المشهد الأخير، يحتم الأمر في الوظيفة الثانية في المقطع السابع عشر في الصراع من أجل إيجاد فاطمة الهائمة على وجهها من الفضيحة ونسي أمر الخليفة بسبب الشقاء هؤلاء القرويين، لم يشاءوا وغم اهتمامهم لها بانخطاء بالتخلي عنها، لكن المصيبة تعظم بفقدان الرئيس الأكبر في هذا الجبل ،ثم فقدان عنصر آخر منهم، ليشتد الخطب على القرويين، ويختم المقطع بالحوز بين فاطمة والشيخ:

"كانت آمالي معقودة عليك يا سيدي الشيخ ،ألم تكن ممن صحبني قبل أشهر إلى الحدود الغربية؟" [2]

وفي هذا **الدلالة الاجتماعية** وهي قيمة الشيخ في العشيرة، حيث يحتكم الأمر إليه ويكون الشاهد على الخلافات التي تقع، طالما فقدت هذه القيمة الاجتماعية.

[1] – نفس المرجع ص128

[2] - نفس المرجع ص 154

ومع المقطع التاسع عشر ينفرج الأمر بدخول ضابط شبه زوج أم القروي " البشير" بعد آداء صلاة الجماعة على أهل القرية الثلاثة المفقودين، وانفكاك عقدة حبل فاطمة، واندهاش أهل القرية وغشيان أم فاطمة وتبرئتها لابنتها.

والمقطع العشرون يختتم المشهد بحوار ذاتي، ويغيب دور الشخصية المركزية في هذا المشهد، ليبرز في آخر المشهد وتكون النهاية السعيدة قريبة بالاستقلال لكن هناك أمر مؤسف وهو بقاء الشخصية المركزية خا رج القرية (الوطن)

" سأعود إلى قريتي دون دعوة ميمونة، لا لحضور أعراس، حين يتحول الخليفة ووعيده إلى فعل ميداني."[1]

وهو لا يزال يتساءل عن مصير بورويس

" الذي علمه أول درس في الوطنية."[2]

القضية هي قضية نضال والآمال معقودة على الاستقلال، يختم النص بهذه الآمال.

" عما قريب، ستولد القرية من جديد سواء غزيت أم لم تغز." [3]

ليختتم هذا المشهد بتفاؤل وتشاؤم

[1] – نفس المرجع ص 182
[2] – نفس المرجع ص 183
[3] – نفس المرجع ص 188

" العالم لا يتغير مجانا، وحين يعجز السلم على تغييره تغييرا متوازنا بين قرية تشكو بطنة وتخمة، وأخرى تصيح وتتلوى من الطوى." [1]

وفي هذا **دلالة سياسية** وهو بقاء الصراع والألم في الأوطان المتعمَرة حتى بعد خروجه.

و **الدلالة الدينية** وهو قيام الساعة والاحتكام إلى المحكمة الإلهية وإقامة العدالة الربانية فهي أمل اليائسين وبهذا يختم المشهد ،وتتبين دلالة النص وهو الصراع مع الظلم والطغيان و ما سببه من شقاء لبني آدم وهم أبناء أرض واحدة.

" فلا يبقى إلاّ سبيل واحد أشهر من أن يلمح إليه." [2]

[1]– نفس المرجع ص 189

[2]- نفس المرجع ص191

جدول مخطط الوظائف المركزية والفرعية للنص الروائي:

1- الجانب الأفقي:

الوظيفة المركزية	الوظيفة الفرعية الأولى (الدعوى)	الوظيفة الفرعية الثانية (الأوان)	الوظيفة الفرعية الثالثة (القرار)
قصة الكفاح مع المستعمر والقروي أحد رموزه	وصف القروي ومحيطه	بعض صور المعاناة للشعب مع المستعمر	نهاية المآسي وبزوغ شمس الحرية

2- الجانب العمودي:

المشهد	الوظائف الأساسية	الوظائف الفرعية
المشهد الأول	ظهور شخصية االقروي وتعلقه بقريته	الأولى: وصف تعلق القروي بقريته.
		الثانية: وصف عام للجو القروي وأم القروي بخاصة.
		الثالثة:خروج القروي من قريته مهاجراومحنته في البحر.
المشهد الثاني	ظهور شخصية بورويس ودوره في الكفاح المسلح	الأولى: خروج القروي عن صمته وبروز شخصية بورويس
		الثانية:بروز شخصية المرضةواتهام بورويس بالزنا
		الثالثة: جرح القروي ومكوثه في المستشفى وخوف أصدقاءه من كشف خليتهم.
المشهد الثالث	الفضيحة "أم القروي	الأولى:دوي الفضيحة بجبل أم القروي
		الثانية: شخصية جدة القروي وخروج أم القروي والبحث عنها
		الثالثة: انتهاء محنة أم القروي وعودة المياه إلى مجاريها

الخاتمة

تتلخص أفكار عبد الجليل مرتاض في كتاباته في العناصر التالية:

– انطلق عبد الجليل مرتاض من القواعد في مساهمته في إبداء آرائه من خلال معرفته واطّلاعه على كتب التراث، والاستعانة بها في مناقشة الآراء القديمة والجديدة في مجال البحوث اللغوية واللسانية فمن القديمة الردّ على ابن فارس في أسبقية علمي الإعراب والعروض على السّليقة العربية فمن غير الممكن أن تكون العلوم المؤسّسة في العهود المتأخرة أن تكون سبقت الأصل الذي هو السجيّة والطبع في الكلام العربي .

–عدم الوقوف عند المعاني الظاهرة أو المشهورة فقط، مثل معنى اللحن، حيث المشهور أن معناه الخطأ اللغوي، بينما من معانيه الذكاء والفطنة، فنتج عن ذلك الجمع بين المتناقضين، مما يُلفت الانتباه إلى محطة في تاريخ العربية وهو مقاومة اللحن في صدر الإسلام، وخاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى غاية تأسيس علم النحو، إذ تعتبر هذه الفترة هي زمن مقاومة الرّدّة اللغوية بعد الرّدّة الدينية التي حدثت زمن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فيتضح أن اللحن هو من الفطنة التي يقدّرها العارفون لتأسيس علم يهتم بصيانة اللغة العربية والقرآن الكريم من الخطإ في ألفاظه والزلل في معانيه.

–الإشارة إلى الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي التي تمتد من عصر ما بعد أبي الأسود الدؤلي إلى عهد الخليل وسيبويه، أين اكتمل أول مصنف لهذا الأخير في النحو الكتاب، وقد أشرنا إلى أن هذه الفترة تعدّ بحق أغمض فترة في تاريخ العلوم اللسانية العربية، وتستحق البحث والتحرّي في عناصرها التي أشار إليها الباحث عبد الجليل مرتاض، والمتمثلة في المناظرات بين أئمة اللغة والنحو في هذه الفترة، ومشاركة أئمة القراءات كأبي عمرو بن العلاء في التأسيس لهذا العلم، وأعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وغيرها من المسائل التي أشار إليها عبد الجليل مرتاض في هذه الفترة مما

سبق بيانه في مبحث أعمال الأعلام التي سبقت سيبويه في نشأة النحو من الفصل الأول، من مثل أعمال خلف الأحمر وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحضرمي .

-كما أنه أبدى رأيه في مسألة تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي اليوناني، وأن هذا من قبيل الغزو الفكري، والضعف في المكتسبات اللغوية من التراث، فإن ما عندنا ينبغي أن يتكيف مع ما استجدّ لنا، أو يطرح ما ليس يصلح لنا، وقد أتى عبد الجليل مرتاض من كتب التراث من شواهد وما عند الغربيين من تنظيرات، واستخلص أن النحو العربي هو عربي خالص، وأن ماشابَهُ من مصطلحات منطقية هي من الأمور التي تأخر دخولها بعد استقرار علم النحو في الأزمنة المتأخرة، و منهجيته في ذلك واضحة من خلال كتابه في رحاب اللغة العربية و الفسيح في ميلاد اللسانيات.

-الإشادة بأعمال المتقدمين من اللغويين والنحويين ومنهجهم في تأسيس الحركة اللسانية التي حفظت للغة العربية خصائصها، مثل وضع المصطلحات من منطلق عربي خالص، كالضم والكسر والفتح، وعوامل ذلك من رفع ونصب وجرّ. ومنه الإشارة إلى منهجهم في جمع اللغة دون تفريق لهجي، حيث حفظ للغة ثراءها اللغوي واختلاف لهجاتها وتنوع أساليبها، مما ساهم في بقائها وانعكس ذلك جليا في قراءات القرآن الكريم .

-مما يلفت النظر في مؤلفات عبد الجليل مرتاض أنه في ـعلم اللهجات أنه يُلتقط من ما هو مستهجن عند علماء اللغة كأن يكون من اللغة الشاذّة أو مما يخالف الفصيح أو الأفصح، هو في الحقيقة إثراء للغة العربية، ذلك أن أطلس اللغة العربية يفيد في دراسة تطور اللغة، فهي كانت في يوم من الأيام لهجة محلية إلا أنها ترتقي إلى لغة، و لا يوجد لغة حافظت على هذه الميزة مثل اللغة العربية، وقد أشار إلى منهج القدماء في جمعهم اللغة –كما مرذكره- باتباع **منهج الجمع دون التفريق**، فقد حفظ للغة العربية خاصّية وهو علم اللهجات، وفي معرض الكلام عن هذا العلم أشار إلى بعض الأصول التي يعتمدها هذا العلم وهو السماع، الذي له الفضل في التقط اللغة من منابعها، وأفاد أيضا في علم اللغة المقارن ،وهو مقارنة أوجه اللغة الواحدة، فضلا عن مقارنتها

بالأخرى من خلال ما تحمله من تنوع في محتوياتها، فإن من اللغة العربية ما يؤخذ من قبائلها ويعدّ في الفصيح، ومنه ما يحترز منها فإنها من التي احتكت من الأمم المجاورة للعرب فأخذت عنها بعض لغاتها، أو شيئا من أصواتها، كما أن علم القراءات الذي يحوي كمّا كبيرا من لهجات العرب وإشارة القرّاء واللغويين إلى العيوب الصوتية في القراءة له ما يفسّره من إحاطة القدماء بالمنظومة اللغوية العربية، وهو ما يذهب إليه علم اللغة المقارن.

-اهتم عبد لجليل مرتاض بشمل خاصّ بالنظريات اللسانية الغربية، فهو يأتي بها ليدلّل بها على كتاباته، ثم يتبع ذلك بنقدها أو موافقتها، وأحيانا يستطرد فيها ولا يُبدي فيها رأيا واضحا، فمن ذلك ردّه على دوسوسير في مناهج البحث اللغوي «وسكوته المتعمد أو المتغافل عنه بشأن اللغة وأنها ظاهرة بحث تشترك فيها الإنسانية كلها» وأن التأثير الهندي هو الذي سبق التأثير الإغريقي وأن الاعتقاد الأوربي الخاطيء بأن الفرنسيين أكملوا بحوث الإغريق —وكان العرب قبل ذلك بدأوا في فقه اللغة وحقوله بتسع قرون ،وأما الهنود فقد وضعوا (مثمن) بانيني بآلاف السنين فهو يدلّ على سبقهم-مع أن الفرنسيين لم يجمعوا الفرنسية في شكلها الحالي إلا في بداية القرن السادس عشر. ومع ذلك فهو يرى في دوسوسير "موسوعة فكرية لسانية قائمة بذاتها" إلاّ أنه لا يسلم بكل ما يراه حتى أنه يتهم البعض بأنه يتخذ سوسور حجة في الصواب، وتراه —أي عبد الجليل مرتاض- يستطرد نظريات سوسير في مؤلف خاص، و لم يعترض عليه في شيء إلا حاكيا لأقواله ومفسرا لأرائه، وربما هذا راجع إلى أنه أراد استقصاءها في مؤلف خاص حتى يقارنها بما عنده من آراء وتفسيرات مختلفة عنده بما يعرفه من كتب التراث، ليقارنها بها فإن هذا نموذج لصعوده في انتقاد أبرز اللسانيين الغربيين كما في صعوده في انتقاد اللسانيين العرب من أمثال ابن فارس دون انتقاص لقيمة أي منهم، ولكن يدل على المنهج العلمي عند عبد الجليل مرتاض، وهو عدم التسليم لكل ما هو منظّر عند أي لساني حتى ولو كان دوسوسير نفسه .

كما امتازت كتابات عبد الجليل مرتاض بالآتي:

-كثرة النقول من كتب التراث خاصة في "الفسيح" و "في رحاب اللغة العربية " و "اللغة والتواصل" و"العربية بين الطبع والتطبيع".

-التدقيق في بعض المصطلحات اللسانية مثل مصطلح "نشأة" حيث فضّل مصطلح "صناعة" في النحو العربي لأن النحو علم مؤسس يقوم على الدقة والتحري ولا يقبل التأويل والاحتمال ،بل يشمل وضوح القواعد وترجيح المسائل ،كما في مصطلح اللحن حيث أشرنا له سابقا ،وكذلك مصطلح المرسلَة دون مصطلح .....فكانت هذه المصطلحات تحوي أفكارا غير ماتكون عليه ،من مفاهيم علمية يحترز بها عن الخلط في الأفكار.

-استعمال مصطلحات هي من تقنيات اللغة الغربية ،كما في نحت مصطلح "الفقلغة" من فقه اللغة ،و"العلمغة" من علم اللغة ،وهو غير ما يلجأ إليه-عادة- كتاب العربية .

-إبقاء بعض المصطلحات العلمية على أصلها، في محاولة لتعريبها مثل "السانتكس" و"المورفوسانتكس" حتى أنه أبقى مصطلح "اللانقج"language، وقد جاءت في سياق مفاهيم متقاربة لهذه المصطلحات مع غيرها في لغتها الأصلية، ربما هذا راجع إلى أنه فضّل السكوت عنها دون تعريبها لما فيها من الحرج العلمي في صياغة المفاهيم التي تدلّ عليها .

-استخدام المعرفة اللغوية الأجنبية عند الباحث ،ومقارنتها بنظيرتها العربية، مثل استخدامه مصطلح gramatik في اللغة اللاتينية، ومقارنة معناها في اللعة العربي، ويتضح أيضا في معرفة أقوال اللسانيين الغربيين من مصادرها وهي موجودة في حواشي كتب عبد الجليل مرتاض مما يدل على ملكة لغوية خاصة في الفرنسية.

- في الجانب التطبيقي ظهر الأثر الكتابي القرآني لعبد الجليل مرتاض، حيث أنه و بمدارسة النص الروائي الذي هو من تأليفه "أنتم الآخرون" في المستويات الأربع: الصوتي والصرفي والتركيبي

والدلالي. يظهر جليا الأثر الاجتماعي الذي أدخله في الرواية من خلال بعض الأقوال والأمثال العامية، والمستوى الهادىء للنغم من خلال كثرة النفي وعدم التعرض في الحكي بالسرد القصصي التقليدي، لكن بأسلوب فكري ورمزي من خلال رمز "القرية"، والنبرات المتعالية من حين إلى آخر من خلال الاستفهام الذي يقرع الأذن، وندر استعمال الكلمات المعرّبة (عن الفرنسية) وكتابتها بالهجاء العربي(قريطة، قريف، شامبيط) على غرار الكلات الأعجمية الواردة في القرآن ولكن كان استعمال الألفاظ القاموسيةوالانزياحات الصرفية في بعض الكلمات يضفي أكثر على الملكة اللغوية مهارة كتابية عند عبد الجليل مرتاض. كما أن أسلوب التركيب المتمثل في جمل وتعبيرات النص مقتضبة إما بصيغ الفعل الماضي أوالمضارع، وكثرة استعمال أسلوب الاستفهام كلها من أساليب القرآن، ناهيك عن كثرة الاقتباس القرآني، وهو بذلك ينتصر لنظرية التناص، الذي كتب فيه متابا مستقلا، وقد أودع في أثره الكتابي هذا العمل الأدبي المتميز.

والحمد لله أولا وآخرا الذي بنعمته تمت هذه الكلمات وصلى الله على المبعوث برسالة "إقرأ"

مكتبة البحث

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر والمراجع

أرحيلة: عباس

-الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط ،الطبعة الأولى 1419هـ/1999م

بلعيد: صالح

- مقالات لغوية، صالح بلعيد، دار هومه، الجزائر، 2009

ابن التواتي: التواتي

- مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي، الجزائر طبعة2008م،

بوجادي: خليفة

اللسانيات النظرية (دروس وتطبيقات)، بيت الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى 2012م

البهنساوي: حسام

– الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، زهراء الشرق،القاهرة، الطبعة الأولى 2005م

بوعزّة:محمد

- تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم) الدار العربية – للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى1431هـ - 1410م

تّمام حسّان:

- خواطر تأمل لغة القرآن، عالم الكتب،الطبعة الأولى1427هـ /2007م

- مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى2010م

-مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب ،القاهرة ،الطبعة الأولى 1427هـ/2006م

– مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، - دار الثقافة، الدار البيضاء،1407هـ 1986م

-اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة2000م

الجرجاني: عبد القاهربن عبد الرحمن الجرجاني

-دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة الطبعةالثالثة1412هـ/1992م

ابن جني:-أبو الفتح عثمان بن جني

– سر صناعة الإعراب، أبو الفتح بن جني، ، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الثالثة 2012م

-الخصائص ،تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة الثانية 1424هـ/2003م

ابن جزّي:

– التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزيّ، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الفكـــر، د ت ط

الحاكم: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري

المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ط

حامد هلال: عبدالغفار

-القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ، دار الصحوة، القاهرة،الطبعة الأولى 1431هـ-2010م،

الحلّي: صفي الدينبن سرايا

-نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية، مؤسسة الرسالة، بيروت

الطبعة الأولى 1421هـ-2000م

ابن خلدون: ولي الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون

-المقدمة، تحقيق عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1425 هـ/2004م

ابن خلكان:

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د ت ط

الخليل: الخليل بن أحمد الفراهيدي

– كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م

الراجحي

اللهجات العربية، عبده الراجحي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى 1420 هـ-1999م

رجب عبد الجواد إبراهيم:

موسيقى اللغة، ، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1428هـ - 2008م

ابن زنجلة: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة

-حجة القراءات تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروتالطبعة الخامسة 1418هـ-1997م

الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي

– الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثالثة 1399هـ/1979 م

الزواوي بغورة:

– الفلسفة واللغة (نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة)، دار الطليعة، بيروت الطبعة الأولى 2005

سالم مكرم: عبد العال سالم مكرم

-الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعةالثانية:1413هـ-1993م

السامرائي: إبراهيم السامرائي

-في شعاب العربية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى،1410 هـ-/1990م

سعد الله: أبو القاسم

– تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب، بيروت، الطبعة الأولى 1998م

سويرتي: مصطفى سويرتي

– النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 2007

السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي

– أخبار النحويين البصريين ومراتبهم،

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية1979-1399هـ

شعلان: إبراهيم خليفة شعلان

-النحو بين العرب واليونان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

الهرم، مصر، الطبعة الأولى 1429هـ/2009م

شوقي ضيف:

- المدارس النحوية ، ،دار المعارف،مصر،الطبعة الثانية، د ت ط

-المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، د ت ط

- الفن ومذاهبه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة، د ت ط

الصالح:صبحي الصالح

-فقه اللغة، ،دار العلم للملايين ،بيروت،الطبعة العاشرة1983م

ابن عاشور

–تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للكتاب طبع سنة2004 م

العاني: سلمان حسن العاني

– التشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، الطبعة الأولى 1403 هـ- 1983م

عمايرة: إسماعيل أحمد

– المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، عمان، الأردن، الطبعة الثانية 1412هـ-1992م

ابن فارس: أحمد أبو الحسين بن فارس

– الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى1418هـ/1998م

الفراء :-يحيى بن زياد الفراء

– معاني القرآن ،تحقيق أحمد يوسف نجاتي ،محمد علي النجار، دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثالثة 1422هـ-2001م

فريحة: أنيس

–اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل بيروت ،الطبعة الأولى ،1409هـ/1989م

قدامة بن جعفر:

– نقد النثر، ،دار الكتب العلمية،بيروت،1416هـ/1995م

القفطي:جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف

– إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى1406هـ/1986م

كرم يوسف:

– تاريخ الفلسفة اليونانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى1430هـ/2009م

محمد مبارك:

–فقه اللغة، دار الفكر، بيروت، 1426هـ-2005م

المتوكل: أحمد المتوكل

–اللسانيات الوظيفية المقارنة(دراسة في التنميط والتطور) ، الدار العربية ناشرون بيروت

الطبعة الأولى 1433هـ-2012م

- الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 1431هـ-2010م

– مسائل النحو العربي في قضايا النحو الخطاب الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة،طبعة 2009 م

محمد يونس علي: محمد

– قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى 2013.

مختار عمر: أحمد مختار عمر

– البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة التاسعة 2010م

– العربية الصحيحة، محمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثانية 1998

مرتاض:عبد الجليل مرتاض:

-التحليل البنيوي للمعنى والسياق ، ،دار هومه،الجزائر2010

- التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومه، الجزائر، طبعة2002

– تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، دارالغرب، وهران2005 م

-التهيئة اللغوية للنحت في العربية، دار هومه، الجزائر طبعة 2006.

- العربية بين الطبع والتطبع،ديوان المطبوعات الجامعية 1993م

- الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية ،دار هومة–الجزائر ،الطبعة الثانية 2009

– في رحاب اللغة العربية، ،ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى2007[1]اللسانيات الأسلوبية، دار هومه، الجزائر، طبع سنة 2013

– اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي ،دار الغرب –الجزائر ،د ت ط

– اللغة والتواصل، عبدالجليل مرتاض دار هومه ،الجزائر ، د ت ط

– الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة، دار الغرب، وهران، طبعة2009

- مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، عبد الجليل مرتاض ،منشورات ثالة ،الجزائر

– التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومه، الجزائر، طبعة2002.

-أنتم الآخرون، دار الغرب

– لسانيات النص، عبد الجليل مرتاض،منشورات الأديب، د ت ط

– التناص، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، طبع سنة2011

منى إلياس

– القياس في النحو العربي ،دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى1405هـ-1985م

ابن المعتزّ: أبو العباس عبدالله

البديع، تحقيق عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى1422هـ-2001م

المسدي: عبد السلام المسدي

مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،الطبعة الثانية 2010م

ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي

-لسان العرب ، ،دار صادر،بيروت، الطبعة الرابعة

عبدالغفار حامد هلال

–القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ، دار الصحوة، القاهرة الطبعة الأولى 1431هـ–2010م،

النابغة الجعدي:

– الديوان، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة 1416هـ -1996م

يقطين:

–قال الراوي، سعيد يقطين ،المركز الثقافي العربي–الدار البيضاء– المغرب ،الطبعة الأولى 1997

الكتب المترجمة:

جاكبسون: رومان

–الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى2002

دوسوسير: فرديناد

–محاضرات في اللسانيات العامة

ديترفيهفجر

–إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ترجمة سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية 1431هـ-2010م

مصادر ومراجع أخرى

النبر والتغيم في اللغة العربية، والي دادة عبد الحكيم، رسالة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان1418هـ 1998م

الفهـــرس

إهداء ----------
شكـر ----------
مقدمة ----------أ
مدخل ----------**1**

الفصل الأول: آراء عبد الجليل مرتاض في تشكل الحركة اللسانية

الفصل الأول ---------- 12
المبحث الأول: آراءه في المستويات اللسانية قبل وضع النحو ---------- 13
المطلب الأول: السليقية عند العرب---------- 14
مفهوم السليقة واكتسابها ---------- 14
رد عبد الجليل مرتاض:أ-على من زعم تقدم علم النحو على السليقة--------- 17
ب- على من زعم تقدم العامية على الفصحى--------- 18
المطلب الثاني: اللحن ومحاربته عند العرب ---------- 20
1-مفهوم اللحن ---------- 20
2- ظهور اللحن---------- 22
ا 3-اللحن والدراسات القرآنية ---------- 23
المبحث الثاني: آراءه في وضع النحو ---------- 26
المطلب الأول: وضع النحو ونشأة مصطلحاته---------- 27
1-مفهوم النحو ---------- 27
2-ظروف نشأته---------- 28

3-أبو الأسود الدؤلي ووضع النحو ---------- 30
المطلب الثاني: الأعمال التي سبقت كتاب سيبويه---------- 31
المبحث الثالث: تشخيص اللهجات العربية (الخصائص والتوزيع) ---------- 36
المطلب الأول: مفهوم اللغة و اللهجة---------- 37
1-مفهوم اللغة---------- 37
2- مفهوم اللهجة ---------- 38
3- المنهج اللساني في تدوين اللغة عند العرب---------- 40
المطلب الثاني: عوامل انتشار اللهجة ---------- 42

الفصل الثاني: مباحث لسانية عند عبد الجليل مرتاض (بعد وضع النحو)

الفصل الثاني ---------- 46
المبحث الأول: حول التأثير اليوناني على النحو العربي (في القديم) -------- 47
المطلب الأول: مفهوم مصطلح النحو عند العرب واليونان---------- 48
المطلب الثاني: اهتداء العرب إلى المصطلحات النحوية---------- 51
المطلب الثالث: المفارقة بين النحو العربي والأرسطي ---------- 54
الفروق الأول: وصفية---------- 54
الفروق الثانية: منهجية ---------- 56
الفروق الثالثة الغائية: (فكرية) ---------- 14
المبحث الثاني: مباحث الفكر اللساني (الحديث) ---------- 61
المطلب الأول: الفضاء الدياكتولوجي وعالمية اللغة العربية ---------- 62
المطلب الثاني: بقاء اللغة في استعمالها ---------- 64
أسس التفكير اللساني عند العرب ---------- 67

المطلب الثالث: اللغة المكتوبة والشفوية ---------- 70
المبحث الثالث: آثار لسانية لعبد الجليل مرتاض---------- 73
المطلب الأول: في البنيوية ---------- 74
مصطلح السياق في التراث ---------- 74
السياق والدلالة---------- 76
المعنى---------- 78
المعنى في المذاهب اللسانية---------- 80
المطلب الثاني: في النحو الوظيفي---------- 84
1-اصطلاح النحو الوظيفي---------- 84
2-مفاهيم في نظرية الوظيفة النحوية---------- 89
المطلب الثالث: في لسانيات النص ---------- 96
المدونة ---------- 96
الوظائف القطبية الثلاثة---------- 101
الفصل الثالث: التحليل اللساني لرواية:"أنتم الآخرون..."
مستويات التحليل اللساني ---------- 105
المستوى الصوتي ---------- 106
الفونيمات التركيبية---------- 107
دلالات حروف القرية ---------- 108
تحليل الكلمات العامية ---------- 110
التنغيم ---------- 118
استنتاج---------- 131

المحسنات البديعية ---------- 132
المستوى المورفولوجي(الصرفي) ---------- 138
تحليل مورفولوجي للعنوان ---------- 139
جدول دلالات مفردة القرية ---------- 141
دلالات أخرى لمشتقات القرية ---------- 145
دلالات كلمة الخليفة---------- 152
جدول الكلمات القاموسية---------- 157
جدول كلمات العدول الصرفي ---------- 158
المستوى التركيبي---------- 159
الحكي والعرض---------- 160
تحليل مقاطع المشهد الأول ---------- 161
التناص---------- 170
المستوى الدلالي ---------- 183
صيغة التحليل الدلالي ---------- 150
الوظيفة المركزية للنص ---------- 188
تحليل المشهد الأول(الوظيفة الأساسية الأولى) ---------- 189
تحليل المشهد الثاني(الوظيفة الأساسية الثاني) ---------- 198
تحليل المشهد الثالث(الوظيفة الأساسية الثالثة)---------- 206
الخاتمة ---------- 215
مكتبة البحث ---------- 221
الفهرس---------- 235

هذا البحث هو إبراز لمشاركة أحد أعلام الجزائر المعاصرة في مجال العلوم اللسانية، كما أنه يتناول قضايا اللغة العربية سيما في مسألة التأثير والتأثر في القديم والحديث، ويكشف عن بعض النظريات اللللسانية الحديثة وأقوالها المتناثرة، وآرائها المتعددة والمتجددة، ومكانة اللغة العربية منها، فكانت أعمال عبد الجليل مرتاض هي كل مافي هذا البحث من آراءه العلمية وأعماله اللسانية تخدم اللغة العربية وتنصف هذه النظريات أو تنتقدها

الكلمات المفتاحية: عبد الجليل مرتاض، النحو ،القياس ، اللغة، اللهجة ،التحليل اللساني

This research, is to highlight the participation of one of the contemporary Algerian scholar in Arabic language research, in particular, and linguistic science in general. It also deals with some of the issues in the Arabic language, especially the question of the vulnerability and impact of old and modern, as it reveals some of modern linguistic theories, their scattered words, their renewable and multiple views. This search consists Abdul JalilMurtaad scientific views and linguistic works which serve the Arabic language, and make justice or criticize these linguistic theories.

Key Words: Abduljalil Murtath ,Grammar,Analogy,Language,Dialect,Linguist anlysis

Ce recherche est ıettre en evidence poster un savant algérien dans le domaine contemporain de la science de linguistique, il aborde également certaines des questions en langue arabe, en particulier la question de la vu nérabilité et de l'influence de l'ancienne et moderne et , et relève certaines des théories de linguistique et des mots modernes dispersés ,et considère le multiple et renouvelables , et le statut de la langue arabe petits, étaient l'œuvre dAbdujalil Mortad est tout dans cette recherche d'un point de vue scientifique et linguistique de son service de la langue arabe , et rendre justice à ces théories.

Mots clé: Abdouljalil mortad, Grammaire, Analogie, Langue, Dialecte, Analyse linguistique

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

مشروع مذكرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان

الموضوع :المجهودات النحوية عند الجزائريين المحدثين

(عبدالجليل مرتاض نموذجا)

إعدادالطالب: تحت إشراف:

عبدالقادر بن بوفلجة د. نورية شيخ

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض أستـاذ التعليم العالي جامعة تلمسان رئيسا

الدكتور(ة) نورية شيخي أستـــاذا محـاضرا "أ" جامعة تلمسان مشرفا ومقررا

الأستاذ الدكتور عبد الحكيم والي داده أستاذا محاضرا "أ" جامعة تلمسان مناقشا

الأستاذ الدكتور هشام الخـــالدي أستـاذ امحاضرا "أ" جامعة تلمســـان مناقشا

الأستـــاذة الدكتور(ة) لطيفة عبو أستـــاذا محاضرا "أ" جامعة تلمســان مناقشا

السنة الجامعية:2013-2014

يتضمن البحث ثلاثة فصول، فالأول والثاني يدخلان في القسم النظري، أما الفصل الثالث فهو يندرج في القسم التطبيقي.

الفصل الأول

ويتضمن ثلاثة مباحث تضمنها كتابه بالأخص "الفسيح في ميلاد اللسانيات"

آراء **عبد الجليل مرتاض** في ثلاثة مستويات

المستوى الأول آراءه اللسانية للغة العربية قبل وضع النحو، وذلك أن النحو وهو علم مستقل متأخر النشأة عن اللغة العربية، فلم يكن العرب يتكلمون الفصحى إلا عن سليقة. وهي أساس التواصلات بينهم؛ فلم يكن العرب تقوم باتصالاتها التجارية والتخاطب في المحافل و المواسم والأعياد إلا على أساس اللغة العربية الفصحى، وكان الإعراب- وهو الإبانة عن الحركات في أواخر الكلم- أهم ميزة في الفصحى، وهذه الحقيقة التاريخية المتواترة عن العرب طعن فيها بعض النقاد قديما وحديثا، فمن القدماء العلامة ابن فارس صاحب كتاب "الصاحبي في فقه اللغة" (ت390هـ) حيث ادعى وجود علمي الإعراب والعروض عند العرب ومع مرور الوقت تنوسيت هذه العلوم حتى جاء الخليل ويبوبه فجدداهما. ومن المحدثين أحمد عبد الغفور، حيث زعم أن العامية أقدم من الفصحى، وكان ردّ **عبد الجليل مرتاض** على كليهما، **بمنهج** علمي رصين من كتب وأقوال العلماء الأوائل الكبار من أمثال الخليل وابن جني، فالأول ابن فارس رد عليه بتعليل الخليل في سجية العرب، والثاني وهوأ حمد عبد الغفور ردّ عليه بما استشهد به من الشعر العامي في الفصيح بما أورده ابن جني بضعف ثبوت هذه الاستشهادات من كلام العرب ولا يتأتى ذلك إلا لمن كان له دراية بكلامهم، وهو منهج ينبغي الأخذ به لأن علم السلف من القدماء أحوط، وأثبت وأشمل في الحسم القضايا الخلافية. ونقيض الفصحى هو اللحن، فهو أيضا بمعناه-المشهور- الخطأ يعتبر حقلا آخر في الكلام عن الدراسات اللسانية قبل نشوء

اللحن، فقد جاء **عبد الجليل مرتاض** بتعريف آخر للحن؛ الذي يدلّ على الفطنة، ومن ثمّ فهو حقل اعتنى به الدارسون العرب وأوجدوا له مصنفات فهي من الفطنة التي حذق فيها العرب الأوائل لحفظ وجه ماء العربية، حتى لا تزول خصائصها البنيوية والإعرابية، وكان الحرص هذا نابع من صدر الإسلام في عصر النبوة إلى زمن الخلفاء الراشدين، خاصة في عهد عمر بن الخطاب الذي اشتهر بمحاربة اللحن والمعاقبة عليه، واستغل **عبد الجليل مرتاض** هذه المحطات التاريخية ليدلل على بكور العرب في دراساتهم اللسانية خاصة بعد انفتاح العرب على العالم بالفتوحات الإسلامية، وأهم محطة استوقف عندها هي الدراسات القرآنية، حيث تعد بواكر الدراسات اللسانية عند العرب، خاصة في الحقل الصوتي المتمثل في أداء القرّاء، فقد كان معظمهم من نحويي اللغة العربية، من أمثال أبي عبد الله بن أبي إسحاق، وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وغيرهم، فعليهم قامت دعامة إنشاء النحو، فلم يكن النحو لصيقا باللغة العربية، ولم يخلطوا استشهادات القواعد النحوية بالقرآن إلا بعد استقراره مثل باقي العلوم، وتمكن اصطلاحاته بعد زمن طيل في القرن الرابع الهجري، حيث بدأ الاشتغال في الاستشهاد بالقراءات على النحو.

أما المستوى الثاني الذي خاض فيه **عبد الجليل مرتاض** هو وضع علم النحو، ففيه أيضا إشكالات وطعون في وضعه ونشوءه، وهو الطعن في واضع النحو، فالمشهور والمتواتر أن أول واضع لعلم النحو هو أبو الأسود الدؤلي(ت69) ولا يمكن نكران هذه الحقيقة التاريخية التي تناقلتها كتب التاريخ والتراجم، وإن كان بعضها تكلم في أن أول واضع له هو علي بن أبي طالب، فلربما كان مبالغة منهم أو أن الأمر بإنشاء علم النحو لأبي الأسود بإيعاز منه، ولكن ذلك لا يهمّ، وإنما يقف **عبد الجليل مرتاض** في هذه المحطة التاريخية لينبه على أمر مهمّ وهو الأعمال التي سبقت الخليل وسيبويه حتى نشأ علم النحو، وقبل الكلام في ذلك، يحبّذ **عبد الجليل مرتاض** اصطلاح **"صناعة"** النحو على نشأته، فهو باعتباره علما لا يقوم به إلا الحذّاق من الكُتّاب والمهرة من الفصحاء، الذين يدركون كُنْه اللغة

العربية، مثل الصُنّاع أصحاب الحرف الذين لهم ملكة الصناعة، ولذلك كان القيام بتأسيس هذا العلم على كواهلهم دون آخرين، أودون تأثير خارجي – وهو موضوع تأثر النحو بغيره من علم أخرى أجنبية مثل المنطق الأرسطي، وسيأتي الكلام عليه- وهم الذين يشكلون الحلقة المفقودة -على حد تعبير بعض الكتاب، وهو عبدالعال سالم مكرم- من تاريخ النحو ابتداء من عصر أبي الأسود إلى زمن الخليل وسيبويه أين تبلور هذا العلم بمصطلحاته، وتعاريفه، وشواهده في السِّفر العظيم " الكتاب" لسيبويه(ت180هـ) ويقدم عبد الجليل مرتاض أدلة على أن أعمال بعضهم لازالت مفقودة، وآراء بعضهم مبتورة من كتب التراجم والتاريخ حتى يعرف الجانب الأصح في صناعة النحو.

أما المستوى الثالث فهو تشخيص اللهجات العربية، حيث تعتبر رافدا من روافد اللغة العربية، ولا تعتبر عبئا عليها وإنما تُضفي عليها طابعا لسانيا ثريا، واللهجات العربية قديما لم تكن تعرف بهذا الاصطلاح وإنما المتعارف عليه هو مصطلح "اللغات"، وعلى ذلك عرج **عبد الجليل مرتاض على** تعريف اللغو اللهجة، وإيجاد الفوراق بينهما وخصائص اللهجات العربي، وتنوعت مؤلفاته في هذا الحقل اللساني، منها الجانب النظري مثل كتاب " اللسانيات الجغرافية" فهو يفرق بين علم اللهجات -وهو علم نشأ عن الدراسات المقارنة للغات- واللسانيات الجغرافية لخصائص كل منهما، وأما الجانب التطبيقي في مثل كتاب "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة" و"تراكيب لهجية عربية جزائرية في الفصحى" . ويدل هذا على سعة الاطلاع وسبر لأنواع الكلام العربي ولهجاته القديمة والحديثة، ويتبين لي من ذلك أن مذهب **عبد الجليل مرتاض** هو أنه لا يوجد فرق بين اللغة واللهجة وأن اللهجات العربية هي لغات فصيحة، وقد جاء القرآن على لسانها وهو أفضل مدونة عربية للغة العربية، ومن ثم يعد له الفضل على اللغة العربية في تدوين هذه اللغات والحفاظ عليها من جهة، ومن جهة أخرى نشر هذه اللغات عبر العالم عبر قراءاته المتنوعة والتي أصبحت عالمية الاستعمال. ومن المواضيع التي انتبه إليها **عبد الجليل مرتاض**

موضوع جمع اللغة، وبين منهج القدماء في جمع المادة اللغوية وهو: الجمع دون التفريق اللهجي، فكان هذا المنهج شاهدا في أن لهجات العربية كلها لغة واحدة، لا تفاضل بينها سوى في كثرة الاستعمال والتداول، ومن مصطلح الاستعمال يجعل عبد الجليل مرتاض أنه السبيل لبقاء اللغة واستمرارها، وعرج على عوامل انتشار اللهجة ثلاثة وهي: عامل التواصل الشفوي والعامل الجغرافي، والمنظومة اللسانية التي من بينها ما تسمى بالعيوب اللسانية ما هي إلا فروق لهجية ينبغي أن تكون من اللغة، وهذه الآراء اللسانية في مباحث علم اللهجات درج عليه كُتّاب في علم اللهجات واللغة ويتفق معهم **عبد الجليل مرتاض** منهم أنيس إبراهيم، وأنيس فريحة، واخترت من كلام انيس فريحة في المبحث وقارنته بكلام عبدالجليل مرتاض.

الفصل الثاني

وهو يتضمن مسائل التأثير اللساني على اللغة العربية في القديم والحديث، ويحوي كذلك ثلاثة مباحث:

يتناول المبحث الأول مسألة تأثير الفكر اليوناني بالأخصّ المنطق الأرسطي على النحو العربي، لأن جمع المادة العلمية للنحو العربي إنما كان على يد الخليل وتلميذه سيبويه وقد قيل كلاما على مدى تأثر الخليل بعلوم الهنود واليونان واستخدم طرائق وتقسيمات علومهم خاصة اليونان وأطبقه على النحو العربي، وينتصر **عبد الجليل مرتاض** إلى القول بعدم تأثيره والشواهد على ذلك من كتب النحو ومن قواعد اللغة العربية بذاتها، فهي لغة ممتدة الآفاق لها روافد وخصائص مميزة لا تقبل تأثيرا خارجيا وإنما تستوعب الوافد إليها وتضمه إلى بنيانها، وقد عرج عبد الجليل مرتاض على المصطلحات النحوية العربية واليونانية وأتى بجذورها ليقارن بينهما، فمصطلح Gramatik في اللاتينية تعني السلوك ونحو أي لغة يعتمد على القياس بحكم أن أغلب اللغات تعتمد على النمطية في توليد

الجمل، ومن ثم يحتاج إلى القياس من أجل توسعها، فالتقسيم إذا عقلي تتقاسمه اللغات العالمية، وهذا المصطلح اللاتيني نقلته أغلب اللغات التي ورثت اللاتينية، أما مصطلح"النحو" العربي فهو من رحم اللغة العربية وفي تعريفه ينقل أكثر اللسانيين العرب تعريف ابن جني للنحو(ت...هـ) هو« انتحاء سمت كلام العرب إلى آخر التعريف» فالمقصود أن معنى النحو هو سلوك أو انتهاج، أو غير ذلك كلام العرب ليقاس عليه، والمشهور أن هذا الكلام من كلام علي بن أبي طالب في توجيهه لأبي الأسود الدؤلي حينما قال له:«ما أحسن هذا النحو الذي نحوته» وعلى هذا المنوال يطرح **عبد الجليل مرتاض** مسألة ليردّ بها على مزاعم الذين قالوا بالتأثير اليوناني، ألا وهو: كيف اهتدى علماء العرب إلى الكمّ الهائل من المصطلحات النحوية؟ والجواب على هذا أن اللغة العربية من خصائص توسعها الاشتقاق فهو روح تمدّدها، والنحت والقياس كلها أساليب عربية تجعل من العربية تتوالد وتتكاثر، ولا أدلّ على ذلك تلك القصة المشهورة عن أبي الأسود في سبب وضع المصطلحات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة: هو قول أبي الأسود للكاتب: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فاجعل نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فاجعل نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك فاجعل النقطة نقطتين» فكان انتقال المصطلحات من صور سمعية فيزيائية إلى مفهوم له اصطلاح خاص عن طريق الاشتقاق. ويعقد عبد الجليل مرتاض مقارنة بين النحو العربي والمنطق الأرسطي؛ ليتلخص له ثلاثة فوارق أساسية بينهما، أولها: **الوصف** فعند وصف اللغة العربية، نجد أن أبوابها متعلقة بباب العوامل والمعمولات ولا تعدو ذلك التقسيم الرباعي من ضمّ وفتح وجرّ وجزم، فهي لغة الإعراب على غرار اللغات السامية بينما المنطق اليوناني كتب بلغة اليونان ويتضمن بعض المقولات ذات المعايير المنطقية الخاصة بالفكر اليوناني، فشتان بين اللغتين كما هو البعد بين الفكر العربي واليوناني.

وثاني الفروق بين النحو العربي والمنطق الأرسطي هو فارق **المنهج**؛ فكلا العلمين ينتهجان طرقا مغايرة في تقعيدهما لعلومهما، فالنحو العربي يعتمد أساسا على القياس، فهو روحها بل إن أغلب الكلام العربي هو من القياس، وشكل القياس العربي غير شكل القياس المنطقي، فالعربي يعتمد على اطراد ونمذجة الجمل والتعابير والمفردات بالاستقراء الناقص بينما القياس يعتمد على مقدمتين ونتيجة، فيظهر الفارق بينهما في الاستعمال فضلا عن التشابه والتماثل بينهما؛ كما أن العلة التي يقوم عليها القياس شكلها مغاير عند العرب وهو اعتلال الألفاظ عندهم، ويسري فيها التعليل الفقهي القائم على علة الحكم الوصف فيطر الحكم باطراد الوصف، بينما التعليل عند المناطقة عقلي يعتمد على سلسلة العلل غير المتناهية، فهي فكرية بحتة.أما الفرق الثالث بين النحو العربي والمنطق الأرسطي هو **الغاية** فغاية المنطق هو خدمة الفكر اليوناني، لأرسطو درس اللغة للفكر و لم يدرس اللغة للغة بينما نجد الدرس النحوي عند العرب يقوم على دراسة اللغة من أجل اللغة، وإنما دخلت مصطلحات المناطقة في النحو العربي في القرون المتأخرة عندا أدخل بعض اللسانيين العرب من الفلاسفة وأرباب الكلام بعض القضايا المنطقية واستخدموا المصطلحات الأرسطية في النحو، وغاية ما أدركه الحداثيون أنهم لما رأوا تشابه هذه المصطلحات اعتقدوا تأثير المنطق الأرسطي على النحو العربي فاشتبه الأمر عليهم.

أما المبحث الثاني فتناول فيه **عبد الجليل مرتاض** مسائل الفكر واللغة، فهما من القضايا المهمة في العلوم اللسانية الحديثة، وكان له تآليف منها: "اللغة والتواصل" و"مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث وفي هذين الأثرين يعقد آراءه الفكرية المتصلة باللغة، ويربط دائما أفكاره بما جادت قريحته من كتب اللغة، وانطلاقا من أهم ما تزخر به اللغة العربية وهو القرآن الكريم فإن **عبد الجليل مرتاض** يلفت إلى أنه أبقى للغة عدة مزايا منها الحفظ على بعض الخصائص اللهجية لبعض اللغة التي كادت أن تندثر لولا أن القرآن استعملها وأصبحت مدونة، بل أصبحت عالمية الاستعمال من خلال تداول القرآن لمختلف بقاع

العالم من مختلف الأجناس البشرية، فكان منها أن جعلها لغة عالمية، ويلحظ هنا أمر في غاية الدقة أشار إليه **عبد الجليل مرتاض** وهو أن **بقاء اللغة في الاستعمال** وليس فقط في التقعيد اللغوي، فمتى كانت اللغة مستعملة كان حظها من البقاء واردا، واستدل على ذلك من كتاب سيبويه، حيث ذكر سيبويه استعمالات عربية لكنها زالت وأصبحت من الغريب. والاستعمال عند عبد الجليل مرتاض يكون بشقين هما التواصل واللغة الشفوية فاللغة المكتوبة متى كانت حبيسة الأدراج والملفات ولا تستعمل بالمشافهة فإنه حتما يكون إذن بوفاتها، خاصة إذا كانت هذه اللغة ممتهنة وعرضة للغزاة فإن الغزو يجعلها لغة منحطة جاثمة في متاحف الماضي، أما التواصل فهو مما ينبغي ان تعنى به الأجيال لأن التراكيب اللغوية يحافظ عليها الأولون ويمررونها لمن بعدهم، فلا يبقى مجال لاندساس ودخول ما ليس من اللغة الأم فيها، وكان قيام الأساس الفكري اللغوي عند العرب على مباديء أهمها السماع، فهو إضافة أنه لغة شفوية يعتمد على الملكة اللسانية فمعاملاتها العفوية تعامل معها الأولون على أنها منظمة لغوية لا تقبل الانزياح أولا، ثم القياس ثانيا بالاصطلاح الحداثي "التوليدية"، لذلك يعرّج **عبد الجليل مرتاض** على مبحث اللغة الشفوية واللغة المنطوقة ويقرّر العلاقة بينهما على أساس أن الشفوية أوسع من اللغة الخطية، لأن تركيباتها وفونيماتها أكثر بدليل أن بعض ما ينطق لا يكتب، وقد استدل على ذلك من كتب التراث في أمثلة اللهجات التي كانت حبيسة الاستعمال ولم يكتب لها الطول لأنها لم تكن لغة مكتوبة، ومن ثمّ فإن اللهجة تنبثق عن اللغة الشفوية لا عن المكتوبة.

أما المبحث الثالث فهو يتضمن بعض الآثار اللسانية في بعض المذاهب اللسانية المعاصرة **لعبد الجليل مرتاض**، فلقد كانت له مشاركات في عدة كتب اقتصرت على بعض منها:

1-البنيوية: فله كتاب " التحليل البنيوي للمعنى والسياق" تعرض فيه إلى السياق والمعنى من حيث البنية اللغوية، فالبنيوية قامت على أساس مراعاة المعنى من حيث المبنى وألغت السياقات المؤثرة في المعنى، ويثير عبد الجليل مرتاض قضية السياق في التراث، وإشكالاته في الدرس اللساني الحديث، فجعل منه سياق لساني لغوي، وآخر مقامي غير لغوي والسياق عند أهل التراث هو كذلك ينضاف إليه السياق القريني وهو موجود عند الأصوليين، وفي الدرس الحديث عنهم بما استحدثه دوسوسير بثنائية الاستبدال والتعاقب لأنه يقول باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، والسياق لا يحدد المعنى وإنما تحدده التفاعل بين العلامات اللسانية، وقد وافق **عبد الجليل مرتاض** سوسير في بعض ذلك مستدلا من كتب التراث حيث يقع الإبدال في بعض الألفونات لكن المعنى يبقى واحد مما يعني أنه لا علاقة للفظ بالمعنى، ولكن هذا ليس على إطلاقه، بل إن في التراث وجد ما يتعدد فيها اللفظ ويختلف المعنى وهو المشترك، ومنه يتعدد اللفظ والمعنى واحد وهو المترادف وكلها تدل على تنوع المعنى من حيث العلامات الدالة، لكن يبقى السياق الأكثر ورودا في معنى العلامة اللسانية وتثبيت معانيها، وجعل محددات ينبغي أن تدرس فيه العلامة اللسانية بعيدا عن السياق على رأي بعض المدارس اللسانية الحديثة منها البراغماتية وهي ثلاثة محددات:

- العلاقات بين العلامات في اللفظ المركب(السانتكس)
- علم العلاقات بين العلامات و الواقع
- البراغماتية في العلامة والاستعمال.

2-النحو الوظيفي:وهو من أصعب المذاهب اللسانية تدارسا لثقل مادته وتشعب مصطلحاته، وكتب فيها عبد الجليل مرتاض "الوظائف النحوية في مستوى النص" والوظيفية حسبه من فروع البنيوية ذات الأبعاد التداولية بعد ظهور الوظيفية الصوتية امتدت لتشمل المستوى التركيبي القائم على النحو، ويتطرق لمفهومه بعيدا عن التعريف

التقليدي الذي يشمل معرفة الإعراب والصرف، وإنما مفهومه عند الحداثيين يشمل الوصف التام للسان من قواعد تركيب وعلم المفردات، أو وصف مورفيمات لفظية في إطار البنى التراكيبية، أو وصف يتوافق مع الإعراب، أو بما يسمى عند التوليديين نموذج الكفاءة تقيم العلاقة بين الصوت والمعنى. وفي نظره يرى الفرق بين العلاقة والوظيفة فالعلاقة التركيبية (السانتكسية) تابعة للوظيفة، لأن العلاقة جزئية تكون بمراعاة التداعي بين العلامات، بينما الوظيفة كلية يراى فيها الكل لأجل صياغة المعنى العام، وهذا التدقيق عند **عبد الجليل مرتاض** هو بالنظر إلى اختلاف المذاهب اللسانية في النظر إلى علاقة بنية اللغة بوظيفتها، فمنها الصورية المتمثلة في النظرية التوليدية التحويلية، التي لا ترى بجدوى الوظيفة، والأخرى وظيفية ترى بالوظيفة السانتكية لأنها تؤدي مهمة التواصل، وارتباط اللغة بوظيفتها تبعية، ولعل أكثر ما نقل عبد الجليل مرتاض عن مارتيني مصطلحات ومفاهيم في الوظيفية، منها:

الاستقلال السانتكسي: منها المونيمات وهو مصطلح درج عليه عبد الجليل وجعله أساس استقلال التراكيب، لأن منها مونيمات مجردة وأخرى لواصق ذات سوابق ولواحق، وينتج عنها تقسيم رباعي تكون مونيمات وظيفية مستقلة في نفسها مثل غدا ، ومنها مرتبطة بغيرها إلا أنها توابع، ومنها مرتبطة بغيرها إلا انها أكثر استقلالية مثل حروف العطف، ومنها مونيمات أكثر حرية مثل المسند والمسند إليه.

التوسع: وهو من خصائص اللغة الطبيعية مثل العربية ولا ينبغي ان تسقط لأن ذلك يؤدي إلى خلل في المعنى، والوظيفية لا تأخذ بعين الاعتبار "المقام" فالوحدة السانتكسية فيها تستعمل كليا أو جزئيا بنسب متفاوتة إما استبدالية، أو لها علاقة بسائر عناصر الملفوظات أو مكتفية بذاتها، فالقسمة تكون خماسية في أ ي لغة، تحوي تراكيب مكتفية أو تابعة أو وظيفية أو مكملة أو إسنادية.

3- لسانيات النص: كتب **عبد الجليل مرتاض** فيها: "لسانيات النص" و"التناص" ويبدأ من مفهوم المدونة، باعتبارها أفضل موقع لمعاينة التناص، وإبداء المفاهيم في العلاقات بين المرسل والمتلقي، ولعبد الجليل مرتاض آراء، منها عدم الخلط بين المدونة والقواعد فالمدونات قابلة للتدريس وليس لها قواعد مسرودة وإنما تستنبط منها، بينما الكتب المعيارية والوصفية مثل أمهات كتب اللغة والأدب لا تعتبر مدونات مثل كتب الجاحظ والمبرّد بل وكتاب سيبويه. بينما المدونة ينطبق على الشعر المجموع في مدونات معروفة مثل الشعر الجاهلي المجموع في المعلقات.ومما ذكره عبد الجليل أيضا هو المنظومة اللسانية هي ذات مستوى خلفي قواعدي، واستعمالات منتهية وهي ذات مستوى أمامي، وهي التي عبر عنها دوسوسير بالآنية والتعاقبية.

أما بالنسبة لوظائف اللغة باعتبار النص أو المدونة الشفرة، فإن التقسيم السداسي عند جاكبسون للوظيفة اختصرها عبد الجليل في ثلاث وظائف قطبية:

- تعبيرية انفعالية للمتكلم(أنا)
- تحريضية للمخاطب(أنت)
- مرجعية إعلامية(هو)

ولكل منها استعمالاته الخاصة به وهي موجودة في فنون الشعر والأدب، تؤدي وظائف خاصة، وتعتمد أساليب منها الأولى تعتمد على أدوات التعجب والمحاكاة الصوتية والشتائم والنداءات، والثانية يتناسب معها أساليب الاستجواب والأمر، والثالثة تكون أكثر في الملفوظات ذا القيمة الاستعمالية الصرف مثل: "منعرج خطير" "عيدسعيد"...الخ.

أما القسم التطبيقي فقد كان في الفصل الثالث ويتضمن تحليل لساني لرواية "أنتم الآخرون" لعبد الجليل مرتاض، وقسمت إلى ثلاثة مشاهد من إحدى وعشرين مقطعا وتضمن التحليل مستويات أربع:

المستوى الصوتي: وفيه تحليل لمونيمات تركيبية وتتمثل في تحليل مقاطع كلمات عامية وردت ف يالنص الروائي لتوضيح صلة العامية بالعربية، وأخرى فوق التركيبية وتتمثل في التنغيم، حيث تم إحصاء الأساليب المستعملة في النص وتصنيفها إلى المستوى النغمي الذي تنتمي إليه حسب تصنيف التنغيم عند كل من تمام حسان وسلمان حسن العاني.

المستوى الصرفي: وتم فيه دراسة بعض الألفاظ منها لفظ" القرية" وما تحمله من دلالات لمشتقاتها التي تكررت في النص واصبح النص مكتظا بها، ولفظ "الخليفة" ومعناه الدلالي القرآني إضافة إلى ألفاظ قاموسية واخرى نادرة الاستعمال تبين معرفة الكاتب وقدرته اللغوية في إحاطتها بدلالات النص.

المستوى التركيبي: وتم فيه دراسة نموذج المشهد الأول أين وجدت استعمالا وردت في النص لم تكن ذات طبع تقليدي في السرد الحكائي، وإنما كان لها طابع الحكي في تمرير أفكار وسرد رؤى التجأ فيها الكاتب إلى السرد القرآني المحض لتركيب قرآنية أكثرها لفظية، مما يبين عمق تأثير الثقافة القرآنية في نفسية و أسلوب الكاتب إلى جانب استعمالات قرآنية أخرى مثل الالتفات والتعبير بصيغ الماضي والمضارع لسياقات مختلفة.

المستوى الدلالي: وفيه يتضح مختلف التأثيرات التي ساعدت على صياغة النص، وإدخال مختلف الأحاسيس والتعبيرات ذات الطابع الاجتماعي والتاريخي والثقافي والديني للشعب الجزائري من خلال قصة ذات أصل تارخي ترجع إلى الفترة الاستعمارية.